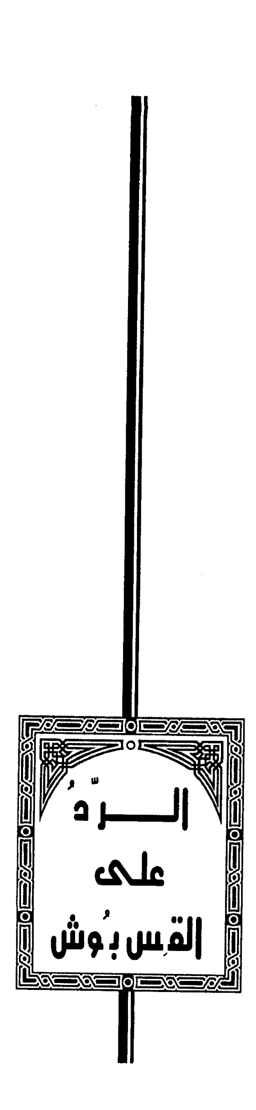

الـــرّدُ
على
القِس بُوش

سلسلة الردود على الإفتراءات
-١-

الرد على القس بوش

في كتابه

محمد مؤسس الدين الإسلامي ومؤسس إمبراطورية المسلمين

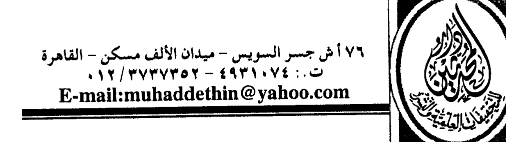
دكتور عبد الرحمن جيرة
أستاذ مساعد بكلية أصول الدين
جامعة الأزهر

الطبعة الثانية ١٤٢٧ / ٢٠٠٦م



رقم الإيداع

٢٠٠٦/١٧٦٩٤





إهـــداء

إلى روح أختي هانم

وإلى نجلها الراحل معها حمدي

سائلاً الله لهما

المغفرة والرحمة

والجمع معهما في مستقر رحمته

آمـــين

قال تعالى: ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ (آل عمران)

صدق الله العظيم

۞۞۞

تحـــذير!

إلى المقاومة الإسلامية في كل مكان

﴿ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ ﴾

مُقَدِّمَة

الحمد لله هدانا إلى توحيده، وجعلنا من المبتهلين إليه بالعبادة دون سواه، والصلاة والسلام على من بعثه ربه بشيراً ونذيراً، وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين.

أما بعد .....،،،

يخطئ من يظن أن الحروب الصليبية قد وضعت أوزارها، وأكثر منه إمعاناً في الخطأ من يظن أن الحرب الدائرة الآن في العراق هي حرب عسكرية فقط، وأكثر منه جهالة من يعتقد أنها حرب تحرير، وعلى أي لون فهم هؤلاء المخدوعون تلك الحرب فهناك معارك من نوع آخر قد لا يرونها، وهي أخطر من قاذفات القنابل التي رأيناها ولا زلنا نراها رأي العين تهوي على رؤوس أطفال ونساء وشيوخ العراق، وتسوي مساكنهم بأرضهم.

إنها الحرب الممتدة في كل قرية ومدينة من مدن المسلمين، وفي كل مؤسسة إعلامية أو تعليمية من مؤسساتهم، إنها الحرب التي تقضي على كل ما أتت عليه من فكر وثقافة، إنها حرب ظاهرة وباطنة تراها رأي البصر والبصيرة في الكتب المدرسية التي طبعت بمئات الأطنان، وحملتها بوارج حربية من سواحل أمريكا إلى عقول تلاميذ المسلمين في مدارس العراق الجديد.

لم تتردد أمريكا رائدة تلك الحرب في استخدام ما في حوزتها من وسائل التضليل الديني والسياسي، المباشر وغير المباشر، فأصبح فقراء المسلمين يتعرضون لإغراء المعونات، وجهلاؤهم للتضليل الديني، وأصحاب الطموح منهم لإغراء الشهرة والمناصب، وأما المعاندون من بين المسلمين فليس له إلا البطش العسكري، والإرهاب السياسي !

وسائل كثيرة للإغراء والتضليل، وللإرهاب والتنكيل باتت كلها رهن تصرف البطش الأمريكي، وها هي أمريكا تستخدمها بطرق متنوعة، وبصور رسمية وشبه رسمية، أحياناً في سجون منعزلة عن الرحمة، بعيدة عن قانون أمريكا، وغير بعيدٍ عنها حقد أمريكا، و لم يكن رئيس أمريكا غافلاً عن تعطش المسلمين إلى الديمقراطية، و لم يكن ليدع فرصة كتلك تمر دون استغلال، فراح يخلط الدين بالسياسة، والغزو الثقافي بالعسكري، ويرفع الشعار الإنجيلي الذي ينفي الآخر نفياً تاماً: «**من ليس معنا فهو ضدنا**» [1]

«**وبهذا الشعار المقدس أرهبت أمريكا ضعفاء الإيمان، وأربكت محدودي الفكر والثقافة من المسلمين،وهيمنت على وسائل الإعلام المحلية والعالمية**».

ونتيجة لكل ذلك باتت الفرية تخرج من أمريكا يتردد صداها في أنحاء العالم، وتظل تتكرر حتى يصدقها مخترعوها، ويضطر إلى التعامل معها

---

١ - وهو الشعار الذي أعلنه جورج بوش في بداية حربه على ما يسمى بالإرهاب، وهذا الشعار مقتبس من إنجيل متى ١٢: ٢٠ ولوقا ١١: ٢٣ وانظر مرقص٩: ٤.

منكروها. ومصدر كل الافتراءات هو تراث آل بوش، إنها البُوشْيِّة التي تشكك في توحيد رب العالمين، ويروج لها في وسائل الإعلام على أنها أنماط فكرية لا يسلكها إلا السادة المتحضرون، وبين يدي الآن أحد نماذج أو قل أحد مصادر الإضلال الأمريكي، كتاب عنوانه:

«محمد: مؤسس الدين الإسلامي، ومؤسس إمبراطورية المسلمين»

تصور ! من مؤلف هذا الكتاب؟.

إنه جورج بوش، ليس بوش رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الحالي، إنما جده الذي أمضى عمره في دراسة العبرية لينقض بالإنجليزية ديناً مصادره الأصلية ليست إنجليزية وليست كذلك عبرية!

إن من يقرأ أول صفحات هذا الكتاب يدرك على الفور ما يرمي إليه من ترويج لصورة رسمها خيال مريض بداء الحقد على الإسلام ورسوله، لهذا استقبلته الشعوب العربية بكل اشمئزاز وقرف، ولكن بعض وسائل الإعلام ممن دخلت مجال التأثير الأمريكي احتفت به، وعرضت له وكأنه أحد المؤلفات المقدسة، وما هو في الواقع إلا تكراراً لبعض مختلقات أو مخلفات العصور الوسطى، وليس رئيس أمريكا مثقفاً ليدرك ذلك، وليس بالذي يخجل من تقديس ما لا يفهمه، وقد لا يفرق بين مؤلفات جده وأناجيل ربه، ولم يخجل وهو يحتل أرض المسلمين، ويجرح مشاعرهم، وينشر المنصرين بينهم أن يتساءل في وقاحة: لماذا يكرهوننا؟.

إنه لا يعرف لماذا نكرهه، إن الفرع نسخة مكررة من غباء أصله.

تأمل حديث الابن عن محور الشر، وحديث جده عن رسول الله ﷺ!

كل هذا يكشف لك عن الدافع الحقيقي للحرب على العراق، وإن كان للمرتزقة حول رئيس أمريكا أسبابهم الخاصة، لكنهم يستغلون هذا الجاهل بدينه ودنياه، ليكن له ما يريد وليتحقق لهم ما أردوا، فليذهبوا هم بالمليارات من الدولارات، وليبارك الرب الذي صلبه اليهود لهذا الـــ «**بوش**» المغرور في أمريكا وما حولها.

والخبراء بسلوك آل بوش يقطعون بأن احتلال العراق لم يكن غرضه أسلحة الدمار، ونظنه وسيلة هيأها ربك لكشف القناع عن وجه الباطل القبيح، فقد أخزى الله تعالى رئيس أمريكا، وأظهر كذبه في العالمين، و لم يكن هذا إلا سبيلاً لفضح ما طواه الزمان من ضلال جد والد أبيه، حين تنافست جهالة الجد الدينية وسذاجة أحفاده السياسية، فغطت الجهالة الدينية بغير عناء على سياسة الابن الرعناء، وتراءت للموحدين رأي العين، غير أن التضليل الإعلامي لا يزال يعمل سحره في عقول ضعفاء الثقافة، ولا يزال هناك من ضعفاء الإرادة من هم في حاجة إلى خطوط سميكة، وأسوار عالية تحول دون سيطرة الطواغيت عليهم والتردي بهم في ظلمات التثليث.

إن على المسلمين التفكير بجدية في مصير أطفالهم، ذلك أن مصيرهم إن لم يحصنوا بالعلم النافع التغرير بهم، فالتعليم هو المصل الواقي لهم من التنصير والعياذ بالله، ولهذا فرضه علينا ربنا قبل الصلاة والزكاة، بل قبل شهادة أن «**لا إله إلا الله**» اقرأ – إن شئت – أول الأوامر الإلهية نزولاً على عبده محمد ﷺ لتدرك بنفسك أن ربك قد وضع لك الدواء قبل أن

يحل بك الداء:

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾

فالقراءة هي الطريق إلى المعرفة،والمعرفة هي بداية التكاليف الشرعية في الإسلام، لماذا؟.

لأنه لا يمكن أن تصل إلى عقيدة صحيحة إلا بها، ولا يمكن أن تحمى ما وصلت إليه من عقيدة إلا بها، فهي لهذا أول الواجبات عليك، وليس التعليم ترفاً في ديننا، فهو الذي يقينا خرافات صلب رب العالمين وتثليثه، وهو الذي يجنبا خداع المؤلفات التي تشرح الإسلام على الطريقة الغربية، أو تعتمد كلياً أو جزئياً على مصادر غير عربية، فمعظمها مؤلفات ينبغي الاحتياط عند قراءتها، ولا يجوز أن تعتمد كأبحاث علمية، أو مقررات دراسية بحال من الأحوال.

ولا يخفى عليك أن ظهور البوشية الدينية ليس ناتجاً عن دراسة للإسلام، بل إنه ناتج عن دراية متأخرة بحقيقة المسيحية، فبعد أن يئس الضالون من العثور على إجابة مقنعة لما يثار حول دينهم، لجئوا إلى قذف الموحدين بدائهم، فذنب محمد ﷺ عند آل بوش أنه جعل من المسيح مجرد نبي، فهذا ذنب لم يصل إليه نصراني ممن يظنون أنه — والعياذ بالله – ملعون بتعليقه على الصليب، ولا يهودي ممن أجمعوا على أنه ابن زنا.

ولن أتدخل في شرح تفاصيل العلاقة بين محتقري المسيح وعابديه، وعلى أي شيء يجتمعون وعلى أي شيء يفترقون، وإنما سأحرص على أن أبرز بنوع خاص الدافع وراء ما ردده بوش حول الرسول الكريم ﷺ وسوف أعمد – بعون الله تعالى – إلى رد كل فرع إلى أصله، وكل عيب إلى أهله، وسوف ترى ما يتساقط من آنية الدنس لا يتعدى رؤوس أصحابها الملوثين بأقذار الرذيلة، بينما شمس الموحدين في سماء الحقيقة لا ينالها نبح النابحين، ولا قذى القذرين، ولا دنس الوسخين، «**حتى إن طيور السماء تأتي وتتآوى في أغصانها**»!

لقد قام بعض إخواني مشكورين بجمع ما تناثر من طبخ آل بوش، وطلبوا مني فحص هذا الغذاء، لمعرفة أجيدٌ هو أم رديء، فراجعت الترجمة العربية لكتاب بوش، واستفدت معرفة سياق كل شبهة وردت فيه، فنسبتها إلى موضعها منه، وركزت عليها دون ما حولها من أخطاء لا تخفي على قارئ مبتدئ، فهي على شاكلة أوهام زكريا بطرس الذي بات معروفاً بوجهه القبيح لدي مشاهدي قناة الحياة.

ولدي علم بأن رسالة ماجستير يجري إعدادها الآن في جامعة الأزهر للرد على هذا الكتاب الذي نحن بصدد الرد عليه الآن، والأستاذ عبد البديع كفافي قد سبقني وسبق هذه الرسالة برد شامل على كتاب بوش بعنوان: «**الدر المنقوش في الرد على جورج بوش**» ط/ دار الفتح للإعلام العربي، غير أن حرصه على أن يجيب على ما يمكن أن يطرأ في عقل المسلم، جعلني **أفكر** في التركيز على جانب آخر، وهو ما يمكن أن

يقع في ذهن المسيحي المنتفخ بباطله، المغرور بصلب معبوده، وقد لا ترى الأمر يستحق ما أعد وما يعد، فما طفح إناؤهم بجديد، وما سنأتي به لن يخرج عما جاد به السابقون، لكن عليك أن تميز بين العجز والسكوت، وبين ما قيل وما يمكن أن يقال، فالرد هنا يأتي في سياق يكشف عن أخر ما وصل إليه الحقد الصليبي على الإسلام والمسلمين، لقد بات الغرب يضغط علينا من أجل تغيير مناهجنا الدراسية، بل وتغيير قيمنا وفهمنا للإسلام، وهذه الأماني الغربية تلتقي مع ما يطرحه كتاب بوش من فكرة أساسية مفادها أن الشرق الأوسط الجديد الذي تبشر به الإدارة الأمريكية اليوم مصيره المسيحية طبقاً لنبوءات الكتاب المقدس.

وفضلاً عن ذلك يفضح هذا الرد ما سطره هذا الكاتب الذي ظل حتى سنوات قليلة مغموراً بين آلاف المستشرقين الذين طعنوا في توحيد رب العالمين، ففي خمسة فصول بعد تمهيد حول الكتاب ومؤلفه، سوف يأتيك الرد على النحو التالي:

الفصل الأول: الرد على دعواه حول البشارة بمحمد ﷺ .

الفصل الثاني: الرد على دعواه حول الوحي.

الفصل الثالث: الرد على دعواه حول معجزاته ﷺ .

الفصل الرابع: الرد على دعواه حول سلوك النبي ﷺ وهديه

الفصل الخامس: الرد على دعواه حول زوجات النبي ﷺ وصحابته.

والله تعالى أدعو أن أكون عند حسن ظن إخواني المسلمين ،
وأن يلهمني الصواب فيما أكتب،والإخلاص فيما أعتقد.
إنه حسبي ونعم الوكيل.

د/ عبد الرحمن جيرة
القاهرة٢٩يونيو ٢٠٠٦م
oneway_٤٤@hotmail.com

تمهيد

في هذا التمهيد السريع نتعرف على بعض النقاط المتعلقة بالكتاب وكاتبه.

عنوان الكتاب:

«محمد مؤسس الدين الإسلامي ومؤسس إمبراطورية المسلمين» اسم كتاب مترجم عن الإنجليزية بدأنا نسمع عنه عقب احتلال أمريكا للعراق، حيث ظهرت الطبعة الأولى مترجمة إلى العربية إبريل ٢٠٠٤م عن دار المريخ للنشر، وطبقاً لما أورده المترجم في مقدمته فإن البيانات الخاصة بهذا الكتاب في مكتبة الكونجرس هي على هذا النحو:

- «The life of Mohammed; Founder of the religion of Islam, and the empire of the Saracens, »
  LC Control Number: ٤٤٠٢٧٢٩٨
- Type of Material: Book «Print, Microform, Electronic, etc.»
- Brief Description: Bush, George, ١٧٩٦- ١٨٥٩, ((from old catalog)
- The life of Mohammed; Founder of the religion of Islam, and the empire of the Saracens,
- New-York, Harper & brother, ١٨٣٩. ٢٦١ p. front. (fold. plan)١٦ cm

  CALL NUMBER: Bp٧٥. B٨ ١٨٣٧

۞ مؤلف الكتاب:

لم يسمع أحد من دارسي الاستشراق في العالم العربي قبل هذه الأيام عن مستشرق باسم «**جورج بوش**» ولكن منذ سنوات خرج علينا كتاب مترجم عن الإنجليزية وعلى غلافه اسم هذا المؤلف، ومن يومها عرف المهتمون بالجانب الديني في العالم العربي البوشية كنظرية صليبية، ودخل الجد عالم الثقافة بعد أن دخل أحفاده عالم السياسة، وليس باستطاعتي أن أسجل شيئاً عن حياة هذا الجد طالما أن مراجع الاستشراق لم تذكر لنا من أمره شيئاً، وبإمكانك أن تكتفي بما ورد في الصفحة الخيرة من تعريف بالكاتب، أو بما ورد على غلاف الترجمة العربية، حيث جاء:

«مؤلف هذا الكتاب «**جورج بوش**» الجد الأكبر (١٧٩٦ – ١٨٥٩م) كان واعظاً بارعاً في الجدل والمناظرة، وراعياً لإحدى الكنائس في إنديانا بولس، وأستاذ في اللغة العبرية والآداب الشرقية في جامعة نيويورك، وله مؤلفات وأبحاث في شروح أسفار العهد القديم، ومن أهمها هذا الكتاب، عن حياة نبينا الكريم وأمة العرب والمسلمين، وهو ينطوي على بذاءات وادعاءات تصف العرب والمسلمين ونبيهم بما يوصف بأنه أشنع ما كتب عنهم في الغرب» .

أما علاقة صاحب هذه البذاءات بـــرئيس أمريكا الحالي فربما تضاربت الأقوال، وحسبك أن تعلم أن هذا السياسي المتعجرف هو خلف لذاك اللاهوتي المتعصب.

مصادر الكتاب:

يذكر المؤلف العديد من المصادر التي رجع إليها، وبكل أسف لا نجد من بينها مصدراً واحداً مترجماً عن كاتب مسلم، ولهذا فإن ما سيذكره هنا غير معروف للقارئ العربي على الإطلاق، وقد يشعر القارئ العربي – لولا أسماء الأعلام والمدن – أن المؤلف يتحدث عن محمد آخر غير رسولنا ﷺ وإليك هذه المصادر كما ذكرها المؤلف:

- ترجمة سيل للقرآن الكريم في مجلدين.
- تاريخ العالم (سلسلة مود) مجلد رقم (١)
- كتاب جيبون عن سقوط الإمبراطورية الرومانية مجلد (٣)
- حياة محمد لـــ «بريدو».
- حياة محمد بولينفيليير
- حياة محمد كتاب رقم (٤٥) من سلسلة مكتبة المعلومات المفيدة.
- قاموس بايل التاريخي مادة محمد.
- تاريخ الشرقيين لهوتنجر.
- تاريخ الأسرات الحاكمة لأبي الفراجي بترجمة بوكوك.
- شرح الإسلام في مجلدين. مرجان
- كشف حقيقة الإسلام لفوستر في مجلدين.
- المكتبة الشرقية لدير بلوت.
- الوضع الحالي للإمبراطورية العثمانية رايكوت.

- تاريخ العرب والمسلمين لأوكلي في مجلدين.
- مجموعة محاضرات هُويت.
- ترجمة لي Lee لكتابات الموقر هـ. مارتين المثيرة للجدل.
- أصول الأريوسية هويتيكر
- النبوة والنبوات لـ فيبر في ثلاث مجلدات.
- وأخيراً رحلات بكنجهام وكيبل وبوركهارت ومادن في بلاد الشرق.

هذه هي المصادر التي عول عليها المؤلف، وليس من بينها مرجع واحد عربي، ولا مرجع واحد مترجم عن العربية مباشرة غير ترجمة سيل سيئة السمعة للقرآن الكريم، وعلى أساسها حكم بأن القرآن الكريم مضطرب وغير متناسق، وعلى أساسها مضى في تضليل ضعفاء الفهم، معلناً أنه اكتشف الخداع من وصفهم بـ «**المنحطين**» في الإيمان بتوحيد رب العالمين.

۞ الهدف من نشر الكتاب:

لا ينبغي أن نفصل ظهور الكتاب عن الأزمات التي تمر بها أمتنا الإسلامية، وإن كان الناشر يصرح بأن الحافز له على نشره هو «**الكشف عن المصادر الأساسية للكره والحقد والعنصرية التي يمارسها تيار متطرف في فكر الغرب الأمريكي**».

ومن حقك أن لا تتفق مع هذا الرأي، ولكن اختيار هذا الكتاب من بين آلاف الكتب التي تحمل نفس الأفكار وربما صوراً أشد كراهية يؤكد ارتباط الصراع العسكري في منطقة الشرق الأوسط بالدين.

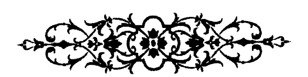
ولست هنا بصدد التشكيك في نية الناشر، فنشر الكتاب يؤدي إلى معرفة الرابط بين الحقد القائم ونبوءات دينية لا وزن لها — في نظرنا — من الناحية التفسيرية أو التطبيقية، غير أن هذا قد لا يظهر إلا لطائفة معينة من القراء، وليس إلى كل القراء.

وإذا صح ما يشاع من أن هذا الكتاب قد خرج برضا أمريكا ومباركة رئيسها في إطار حملته التي تهدف إلى عودة الشرق الجديد إلى المسيحية، فلا أصدق أن يخرج من بلد يعتبره المسلمون مصدر الإسلام وقلب العروبة النابض بالحياة، لقد عودتنا المملكة السعودية المبادرة إلى الدفاع عن الإسلام، إنها الدولة التي لا تزال راعية للأصالة الإسلامية، و لم تهرول وراء الغرب بثقافته كما فعلت دولٌ من حولها، فالمسلم في كل مكان لا يزال يثق بأمانتها وإخلاص قيادتها للدين، ولا زلنا نراها ترقب كل ما يترجم أو يطبع على أراضها، لقد عودتنا أن يصلنا منها وبالمجان كل ما هو طيب

من كتب التراث القيمة، وقد وصلني كتاب إظهار الحق، للشيخ رحمت الله الهندي طبعة فاخرة في أربعة مجلدات محققة، طبعته الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة، فهل بعد إظهار الحق تنشر دار المريخ من العاصمة السعودية ما ظن تيار متطرف في الغرب الأمريكي أنه يهدم هذا الحق؟.

إن الثقافة الإسلامية التي تعثر محوها طول فترات الاستعمار لن يزعزعها بفضل الله آلاف من مثل هذا الكتاب، وقد لاحظنا إقبالاً ظاهراً على التمسك بالإسلام عقب احتلال العراق والتبشير بالديمقراطية فيه، وليس من سبب سوى أن المسلمين أبصروا قبح التثليث فراحوا يتشبثون بتوحيد رب العالمين.

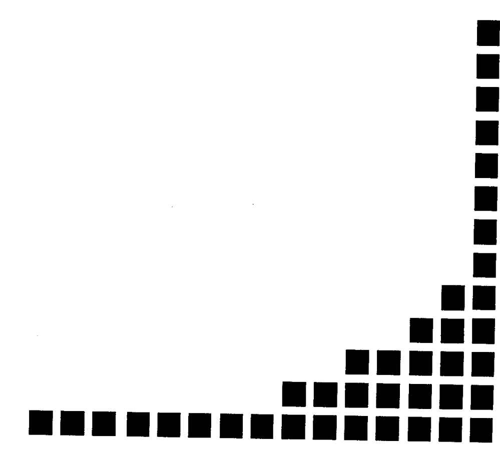
لكن علينا أن نأخذ حذرنا فالفقر أحياناً يدفع بضعفاء الإرادة إلى اللامبالاة إن كان ما يأتيهم من رزق من عند الله أم من خزائن أعدائه!





الفصل الأول

الـــرد على دعواه
حول النبوة بمحمد ﷺ



الفصل الأول
الرد على دعواه حول النبوءة بمحمد ﷺ

في هذا الفصل نحاول أن نقدم إليك موقف جورج بوش من مسألة تنبؤ الكتاب المقدس بمحمد ﷺ، ويبدو من خلال ما كتبه حول هذا الموضوع أنه من الذين رأوا أن الاعتراف ببعض النبوءات عن محمد ﷺ في الكتاب المقدس يجنب إلههم تهمة الغفلة عما كان سيحدث للعالم بعد عدة قرون من قيامه بعملية الفداء الفريدة في التاريخ، وربما ظن بوش أن إقراره بنبوءة أو عدد من النبوءات تحذر من إنسان الخطية يمكن أن يشكك في نقد الإسلام للمسيحية، فاختيار هذه النبوءات وتحديد نصوصها بعناية قد يزيل – حسب اقتناع بوش – عوائق كثيرة تحول دون الاقتناع بعقيدة الصلب والفداء التي هي بالأساس بالغة التعقيد في فهمها والاقتناع بها، وعلى أساس هذا يسهل اتهام المسلمين بوضع مبشرات للدلالة على نبيهم، ويكفي أنهم – كما ظن بوش – يتشبثون بفقرة من سفر التثنية لإثبات صدق نبيهم مع جهلهم بجغرافيا البلاد التي يعيشون فيها .

والنبوءات التي يصدق بوش أنها متعلقة بمحمد يظهر فيها ومن خلالها كم كان هذا الرجل يعاني من الحقد، فقد ظن أن محمداً ﷺ هو إنسان الخطية الجالس في هيكل الله، مظهراً نفسه كأنه إله، ومن ثم اعتبره عقاباً من الله لشعب الكنيسة المقدسة، وسبب هذا العقاب هو ارتداد الشعب

المسيحي عن الدين الصحيح، وطبقاً لاعتقاد بوش فإن الذين ارتدوا عن المسيحية سيعودون حتماً إليها، وعندها سيعود المسيح إلى دنياهم طبقاً لنبوءة بولس ودانيال اللتان سيأتي شرحهما في هذا الفصل إن شاء الله تعالى.

ومن جانبهم لا يعتقد المسلمون أن ثبوت رسالة الإسلام يتوقف على ما عند آل بوش من أسفار، فأسفار الكتاب المقدس ليست ثابتة في نسبتها إلى الله تعالى، فسيان عندنا أن تتنبأ بمحمد أو لا تتنبأ، فلدينا ما يقطع الشك باليقين في أمر رسالته ﷺ وهو معجزة القرآن الكريم، وليس لدى النصارى إلا الظنون والأوهام في أمر أناجيلهم، فالكتاب مجهولون، والأماكن والأزمنة التي كتبوا منها أو إليها غير معلومة، والكل يقترح وليس هناك ولا هنا من يضع حداً لهذه الاقتراحات.



١- اعتراف بوش بنبوءات عن محمد ﷺ لماذا ؟.

لا خلاف على أن الرؤى والنبوءات تمثل جزءاً أصيلاً في أديان البشرية، فهي معروفة لدى الأمم التي لها والتي ليس لها كتاب مقدس، وقد يقع التصديق بنبوءة لكونها في سفر يعتقد المؤمنون به أنه مقدس، ورغم أنها قد لا تكون بالدليل القاطع على ذلك إلا أن من أتباع الأديان من لا يصدق إلا بها، فتفسير النبوءة في أغلب الأحوال يحتاج قروناً طويلة، ويختلف بين أمة وأخرى، وشخص وآخر، ولهذا لم تحل النبوءات الموجودة في الكتاب المقدس دون وقوع الشك فيه، بل أصبحت بمرور الأيام وتوالي التفسيرات والاختلافات من أهم أسباب التشكيك فيه، وفي إطار البحث عما يقوض دعائم الشك المتواصل حاول بوش أن يستغل ما دعاه بالحقيقة التاريخية في تفسير ظهور الإسلام، وبسذاجة قلما تتوفر لأحد ظن أنه لكي يكون كتابه المقدس صحيحاً يكفي أن يكون قد تنبأ بمحمد ﷺ على النحو الذي وصفه به كإنسان الخطيئة الذي يعاقب الله به شعب القديسين.

لم يكن بوش أول من تحدث عن محمد بهذه الطريقة، ولا أول من طبق عليه هذه النبوءات، إذ يبدو أن صورة الإسلام في الغرب كانت متفقة اتفاقاً تاماً مع بعض النبوءات القديمة لدى كثيرين من المستشرقين قبل عصر بوش بقرون عديدة، «إذ فتح المسلمون بيت المقدس في عام ٦٣٨م وبنوا مسجدين عظيمين على جبل المعبد ، وبدا أنهم حقاً يحكمون العالم، وقيل أيضاً إن محمداً قد أتى بعد المسيح حيث انتفت الحاجة إلى تنزيل جديد، ولكنه نصب نفسه نبياً وارتد كثير من المسيحيين واعتنقوا الدين

الجديد، وكانت بحوزة يولوجيو والفارو الإسباني سيرة مختصرة لحياة محمد تقول إنه توفي عام ٦٦٦ من التاريخ الإسباني، وبذلك تسبق الحساب التقليدي بثمانية وثلاثين عاماً، وكانت تلك السيرة النبوية التي كتبت في أواخر القرن الثامن من وجهة نظر غربية قد قام بإعدادها أحد الأديرة، ويدعى (دير لير).

كانت صيحات التهجم التي أطلقها شهداء قرطبة ضد نبي الإسلام تستند إلى تلك السيرة القائمة على الرؤيا وصور الوهم للأذهان التي سيطر عليها الرعب أن محمداً دجال كاذب، نصب نفسه نبياً ليخدع العالم، وصور لهم الوهم أنه فاسق يستمرئ الفسق البذيء ويدفع أتباعه إلى محاكاته، وصور لهم الوهم أنه كان يجبر الناس على اعتناق عقيدته بحد السيف.[1] وهو الوهم الذي لا يزال يعيش فيه بابا الكاثوليك الحالي بنديكيت السادس عشر .

والواقع أنه بعيد الإصلاح الكنسي ومعرفة الكثير عن تفاصيل المسيحية وكتابها المقدس انتقل الغرب إلى واقع فكري جديد، لم يعد الإسلام فقط هو الدين المؤكد بطلانه في نظر الغرب، لم يعد ثمة جدوى من الإصرار على عدم وجود نبوءات تكشف عنه ﷺ لقد دفع هذا الإنكار من قبل مسيحي الشرق في الماضي ببعض المسلمين إلى مراجعة الأناجيل لا لإثبات نبوته ﷺ من خلالها وإنما لإقامة الحجة على منكريها بما لا ينكرون، وقد استمر البحث والإنكار قروناً دون جدوى، ففي كل مرة استغل أهل

١- سيرة النبي محمد / تأليف كارين آرمسترونج صـ ٣٦ ، ٣٧

الإنجيل عدم معرفة المسلمين بلغات الكتاب المقدس ليمثلوا عليهم دور العلماء، فكلما أشار المسلم إلى اسم أو صفة معتقداً أنها تشير إلى نبيه ﷺ رد أساتذة اللاهوت بأن هذا الاسم أو تلك الصفة ليست بهذا المعنى في اللغة الأصلية، وتبعاً لهذا التردد بين المعنى الأصلي وغير الأصلي دارت نقاشات طويلة حول نص النبوءات تارة، وحول تطبيقها تارة أخرى.

ولكن هذا الموقف بدأ يفقد أهميته منذ أن انكشف للعلماء حقائق دفعت بهم — كما هو معلوم – إلى الثورة على التقليد الذي تسلحت به الكنيسة دينياً، كما تخلى الأدباء عن اللاتينية التي تسلحت بها الكنيسة أدبياً، وبسهولة قضى العلم التجريبي على منطق أرسطو الذي كان السلاح العلمي في حوزة الكنيسة لقرون طويلة، لم يعد خافياً على هؤلاء الثائرين بطلان ما كانت الكنيسة تتسيد به عليهم، وما كانوا هم أنفسهم أو بعضهم يحتج به أحياناً على أعدائهم المسلمين، ولئن كانت تفاصيل بطلان هذا أو صحة ذاك بقيت غامضة أمام بعضهم إلا أنها أمدتهم جميعاً بحماس دفع بهم إلى القفز من قفص الكاثوليكية المظلم، وبعد ذلك اقتنع بعضهم ودون جهد ولا مشقة من المسلمين أن كل شيء ممكن إلا أن تنطبق إشارات العهد القديم الغامضة على المسيح باعتباره إلهاً على نحو ما آمن آباء الكنيسة في العصور الأولى.

وكان لا بد أن يتبع ذلك اهتمام المستشرقين بدراسة الإسلام باعتباره الدين الذي سبق وتحدث بوضوح عن أوجه القصور في عقيدة النصارى، ويُرجع بعض الباحثين ذلك الاهتمام إلى الاستعمار وما خلفه من طمع في

الاقتصاد والسيطرة، ولكن هناك أيضاً أسباباً أيديولوجية ونفسية شكلت الحافز الأكبر على مثابرة المستشرقين في دراستهم الشاقة لتراث المسلمين، وبسبب تنازع الإصلاح والتقليد حول الحق والباطل نال الكنيسة الكاثوليكية وطقوسها بعض التغيير، وبسبب ما نال الكنيسة تطور أسلوبها في نظرتها إلى الخارجين عليها يوماً بعد يوم، والغريب أنه كلما زادت حدة نقد البروتستانت للكاثوليكية خفف المستشرقون من نقدهم العلني للإسلام الذي لاح أمام كثيرين منهم كبديل جيد عن الكاثوليكية المتعثرة أمام العلم والفلسفة معاً، ورغم استمرار هذا التعثر تآلف بعض اللاهوتيين مع المستشرقين رغبة في التصدي لنزعة الفرار من الدين، وبعض اللاهوتيين أحب أن يكون مستشرقاً، وبعض الذين أصبحوا مستشرقين أحبوا العمل في التنصير وممارسة مهارة الجدل بعيداً عن شراسة الملحدين الذين انتشروا في أنحاء أوربا، ذلك أن الاحتجاج على المسلم يقوم على أن القرآن الكريم تحدث عن المسيح وإنجيله، وبالنسبة لهواة الجدل من المسيحيين لا يوجد أيسر من مجادلة تدور حول مضمون هذا الحديث المفصل في القرآن الكريم، فإطالة الجدل مع ما بين المسيحية والإسلام من اتفاق في نقاط أساسية تكفي ليرجع كل ذي رأي برأيه عندما ينتهي الجدل إلى شيء، ولكن الأمر مع أتباع المدارس النقدية لا يسير على هذا الطريق، وبالتالي لا يصل إلى هذه النتيجة. فالجدل مع المسلم بصرف النظر عن حجم ثقافته يدور حول شكل الدين، ولكنه مع الملحد – وهو في الغالب أكثر ثقافية – يدور حول موضوع الدين وحتى الوجود التاريخي للمسيح،

وفراراً من الأخير لم يجد بوش ما يمنعه من تفسير النبوءات على هواه لا ليتحاور من خلالها أو من خلال تفسيرها مع المسلمين، وإنما ليتجاوز الجدل العقيم حول الشك في العقيدة، وفيما بعد حول الوجود التاريخي للمسيح عليه السلام.

وفي سبيل ذلك كان لا بد أن يتجاوز ما ظل يعتقده المسيحيون الشرقيون تفسيراً صحيحاً لهذه النبوءات، و لم يكن بوش أول ولن يكون آخر من فسر أو اختلف حول هذا الموضوع، ولكنه امتاز بجرأة جعلته أكثر تحريفاً لنص النبوءة، كما أصبح التاريخ عجينة طرية يشكل أحداثها كيفما شاء، لم يجد بوش من حرج أن يغير من النبوءات أو من تفسيراتها ما قرر الآباء قبوله يوماً ما، فلقد حصر الآباء النبوءات وتطبيقها في المسيح، فكاتب إنجيل «**متى**» صرف كل نبوءات العهد القديم إلى المسيح، وكثيراً ما كان يجد النبوءة في الأسفار القديمة فيخترع لها الحدث في الإنجيل، وربما تمثل هذا الحدث في رحلة طويلة وشاقة على نحو ما نراه في زيارة المسيح إلى مصر، و لم يكن من ضرورة لهذه الرحلة ولا لإطالتها لو تذكر متى أن الهدف هو مجرد نجاة المسيح من بطش هيرودس، أو أن المسيح الذي أنجاه الله من كيد هيرودس في أول الإنجيل هو نفسه الذي وقع في قبضة بيلاطس في نهايته، لكن متى اخترع هذه الرحلة ليتحقق قوله «**ومن مصر دعوت ابني**» [متى ٢/١٥] وربما بالغ «**متى**» فادعى نبوءات لم يستطع باحث التعرف عليها بصورة واضحة في العهد القديم حتى اليوم. كادعائه بأن المسيح سكن الناصرة، وكان هذا الإدعاء لكي

يتم ما قيل بالأنبياء « **إنه سيدعى ناصرياً**» متى ٢ / ٢٣ ولا أحد يعرف من قال ذلك من الأنبياء.

لقد قبل الآباء هذه التطبيقات في عصرهم، إلى أن جاء العلم الحديث ليجعل حتى الأتقياء منهم ينحرفون سراً وعلانية عن سير الآباء بمقدار ما يختلف به باحث عن آخر، وعلى نحو ما تكشف الأيام من أخطاء ظاهرة أو باطنة في النصوص أو ترجماتها.

ورغم أن الآباء صرفوا ما جاء في إنجيل يوحنا عن «**البراكليت**» بتعسف إلى «الروح القدس» إلا أنهم تمسكوا بأن هذا الروح هو إله كالمسيح، ومنحتهم السذاجة فرصة للتصديق بأن الآلهة يتنبأ بعضها ببعض، فساروا في تفسير النبوءات على درب متى في فهمه للعهد القديم، ولوقا في تفسير «**البراكليت**» ونتيجة لهذا الغموض في تفسيراتهم أنكروا معرفتهم بمحمد ﷺ جملة وتفصيلاً، ورضوا أن ينطبق على الآلهة ما رآه غيرهم لا ينطبق إلا على البشر، وفي النهاية لم يكترث المسلمون بإنكارهم ولا بتفسيرهم، فالأسفار الخمسة ليست هي توراة موسى، وليس إنجيل المسيح أربعة أناجيل، هذه النظرة الإسلامية تتعاضد دائماً برأي علماء الغرب في العصر الحديث، فالذين يشككون الآن في نبوة محمد ﷺ يتجاهلون قوافل من بني جلدتهم لا ينكرون فقط ألوهية المسيح بل ينكرون وجود المسيح نفسه في التاريخ. وفي بحثه القيم «**لماذا أنا غير مسيحي؟**» يؤكد الفيلسوف «**برتراند رسل**» أنه من الناحية التاريخية هناك شك فيما إذا كان المسيح قد وجد فعلاً، وإذا كان قد وجد فإننا لا

نعرف عنه شيئاً».

وقد راح «رَسِل» يجادل حول القضية الأولى تارة ويدافع عن الثانية تارة أخرى، وفي مناظرة أشرف عليها اتحاد طلاب إحدى جامعات غرب أمريكا، وحضرها ما يقرب من ألفين وخمسمائة طالب وطالبه من أبناء الجامعة،[1] لم يرجع «رسل» عما في دماغه أمام حماسة أنصاف المتعلمين من الطلاب وثبات الراسخين في العلم من أساتذهم، لقد خرج أشد تمسكاً برأيه مما كان. لم يعد أمام أساتذة اللاهوت المنهزمين أمام هؤلاء الملاحدة سوى القناعة بالجدل حول لفظة قد لا يعرف من يصادفهم من المسلمين نطقها ولا يفهم معناها، لقد لجأت الكنيسة الكاثوليكية إلى فتح باب الحوار «الشكلي» أخيراً مع الأزهر الشريف بهدف استعادة توازنها أمام هؤلاء الملحدين. ولكن أنى لها ذلك؟ إنه لم يعد مقبولاً أن تظل تخترع أجوبة غير مقنعة على الصعوبات التي يضعها أتباع المدارس النقدية الحديثة، فهل هناك بديل عن التمسك بما هو غير مقنع؟.

يترعج المتعصبون من أتباع البوشية الدينية أو السياسية عندما لا يجدون بديلاً عن ذلك سوى الإسلام، ولعل تأخر الكنيسة في طرح حل مقنع لمشكلة يسوع التاريخية ساهم في ظهور دراسات خارج الخط التقليدي أدت في النهاية إلى نفي وجود المسيح عليه السلام في التاريخ، ومن ثم سيطرة الترعة الإلحادية على أوربا الغربية والشرقية، وعلى أمريكا الشمالية والجنوبية، واستمر الباحثون الكارهون للإلحاد يعملون على حل

---

١ - برهان جديد يتطلب قراراً جوش ماكدويل صــ ١٥٠ ط/ دار الثقافة ٢٠٠٤م

إشكاليات الكتاب المقدس مع العلم، وآخرون اجتهدوا في التوفيق بين التاريخ المدني والتاريخ المقدس، وهناك مستشرقون أخذوا على أنفسهم حل إشكاليات الكتاب المقدس مع الإسلام، في البداية كانوا أكثر حماسة، وأقسى هجوماً على الإسلام، ولكن سرعان ما بدأت أعدادهم تقل يوماً بعد يوم بفعل الاكتشافات العلمية ودراسة المخطوطات القديمة للكتاب المقدس، هذه الدراسات أصبح لها رونقاً خاصاً يجذب إليه محبي المعرفة، فانتشر على إثرها منكرو التثليث ومنكرو عماد الأطفال في أنحاء أوربا، وأكثر دارسي العبرية - بصفة خاصة - اكتشفوا أخطاءً جوهرية في صلب النبوءات بين الترجمة السبعينية والعبرية للعهد القديم، فكلمة «**العذراء**» التي اقتبسها متى من إشعياء وجعلها في الإصحاح الأول عدد [٢٣] من إنجيله بات واضحاً أنه لا اتفاق على معناها بين السبعينية والعبرية، والذين وقفوا على الترجمتين وصفوا متى بالمخطئ في اعتماده على السبعينية دون العبرانية، وبالتالي ما بني على خطأ متى فلن يكون هو الدين الصحيح من البداية، وبهذا لم يكن «**متى**» مصيباً في ترجمة الكلمة بـــ «العذراء» ولا في تطبيقها على مريم عليها السلام بعد ذلك، فهذا هو ما غاب عن القس بوش وهو يطبق نبوءة دانيال على إمبراطورية الصيع، وما أصبحنا نبصره بعد ذلك في المراجع المسيحية الحديثة ككتابات القس حنا الخضري[1] وإخوانه من البروتستانت المستنيرين.

---

١ - القـــس حنا جرجس الخضري كان يعمل أستاذاً في كلية اللاهوت الإنجيلية، وتوفي نهاية القرن الماضي، وله مجموعة مؤلفات أشهرها «**تاريخ الفكر المسيحي**» في أجزاء.

غير أن بوش وهو دارس للعبرية اختار أن ينضم إلى تيار اقتنع بعدم جدوى الإصرار على النفي المطلق لأية نبوءة بمحمد، وقد رأي أنصار هذا التيار أن المصرين على نفي النبوءة بمحمد جاهلون بأن صمت كتابهم المقدس عن ذلك يقدح فيه لا في محمد ﷺ ومن هنا رأى بوش أن الكتاب المقدس تنبأ بمحمد ﷺ ولكنه أصر على وصفه بما تشمئز منه نفوس المسلمين، وبهذا كان أسوأ من المنكرين بالأساس، وعلى كل حال فإن إقراره أو إنكاره ليس بذي قيمة عند المسلمين، فسيان عندنا أن تتنبأ الكتب السابقة به ﷺ أو لا تتنبأ، فهي ليست ثابتة في ذاتها ليبنى عليها نفي أو إثبات لغيرها، وإخبارها بمحمد على خلاف الواقع أو عدم إخبارها هو الدليل القاطع على تحريفها.

ولكن بوش افترض أن محمداً ﷺ شر أصاب العالم، وأن صحة كتابه المقدس تكمن في أنه تنبأ بحدوث هذا الشر قبل أن يكون، وفي هذا يقول بوش في صـ ٤٧٥ من الترجمة: «**لقد بُهت المفسرون تماماً للدقة المدهشة لهذه الصورة (التي رسمها يوحنا في نبوته) ولانطباقها التام مع التفاصيل التاريخية، يقول الدكتور زوخ: إن هذه الحقائق التي جرى التنبؤ بها في الإصحاح التاسع من سفر الرؤيا كافية في حد ذاتها لإثبات قداسة هذا الكتاب**» .

لم يوفر النقد الحديث لبوش من طريق لإثبات صحة كتابه المقدس سوى الإقرار بأنه قد تنبأ بظهور محمد ﷺ وهو الأمر الذي لا زال كثيرون من النصارى يصرون على إنكاره حتى اليوم، لقد رأى أن يقف بهذا التفسير

الغامض في وجه الشك القديم واليقين الحديث حول صحة سفر الرؤيا، إنه لا يسير إلا في ركاب المستشرقين الذين أتعبوا أنفسهم في تحريف سيرته ﷺ، وفي سبيل نيلهم منه وفر هؤلاء المستشرقون لرجال اللاهوت كماً عظيماً من المعلومات الباطلة عن محمد ﷺ لقد اتجه الاستشراق إلى دراسة العدو للنقد والهجوم، وفي الوقت نفسه انكفأ اللاهوت على تفحص الذات وإعداد الحجج للدفاع عنها، ولم تنته أهداف الدفاع والهجوم بتحريف الإسلام على يد المستشرقين والكتاب المقدس على يد اللاهوتيين، بل من خلال هذا التحريف وذاك ظهر العديد من الأعمال التي مزجت الحقد بالجهل مشكلة في النهاية صورة واضحة لنفسية الغرب المريضة تجاه الإسلام، ولم يكن أول ولن يكون أخر من جسد هذا المزيج كتاب القس بوش عن إمبراطورية الصبيع أو المنحطين.

لقد دفعه الحقد إلى الانضمام إلى هؤلاء البائسين الذين تخلوا عن العقل والعلم معاً، وشكلوا عائقاً أمام الدراسات الجادة في القرنين الثامن والتاسع عشر، ولكن سرعان ما تجاوزتهم هذه الدراسات بعودة حملة نابليون من مصر لتكون داعمة للثورة الفرنسية، مساهمة في نجاحها، ولتكون تلك الثورة نقطة انطلاق لتحرر الغرب من أقصاه إلى أقصاه، هذه الحملة وما سبقها من حروب صليبية وإن كانت قد فشلت عسكرياً إلا أنها حققت أهدافها العلمية، وساهمت في تقدم فرنسا على غيرها في مضمار التسابق إلى عالم الحرية.

ولا شك أن ما حصلت عليه الحملة العلمية المرافقة لنابليون من

معلومات عن تاريخ المسلمين وثقافتهم كان له أثره على المدى القريب على نفسية المتعصبين ضد الشرق، وبدأت الثقافة الفرنسية المطعمة بالفكر الإسلامي منذ نشأة جامعة السربون[١] تؤثر على الراغبين في التحرر من التقاليد، والطامحين إلى التمسك بالعلم الحديث، واتجه الغرب إلى دراسة وتحليل الدين بعدما كان منصرفاً بكل طاقته إلى الخضوع بطريقة عمياء لهذا الدين، وقد ساعده على ذلك ظهور العديد من التساؤلات والمشاكل التي تمس صميم تعاليم الإيمان والتي لم تجد أجوبة مقنعة حتى الآن، وقد بحث رجال اللاهوت المحافظون في أقوال الآباء أو قرارات المجامع علهم يجدون ما يعتقدونه حلولاً مناسبة لهذا التساؤلات، وفي أغلب الأحيان جاءت حلولهم بعيدة عن العقل بصرف النظر عن كونها مناسبة أو غير مناسبة لعصرهم، ومع كل ذلك توالى طرح الاجتهادات لأنه لا شيء يمكن فعله لوقف مسلسل الشك حول أساسيات العقيدة، ولم يكن الإسلام في هذه الفترة هو الخصم الظاهر وإن كانت البلاد الإسلامية قد

١- السربون أو جامعة باريس وهي الجامعة التي أنشأها روبير دي سربون ١٢٠١ – ١٢٧٤م كاهن القديس لويس التاسع الذي قاد بعض الحملات الصليبية على بـــلاد الشرق الإسلامي انظر / الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط يوسف كرم صـــــ ١١٩ ويكفي أن نشير هنا إلى أن هذه الجامعة كانت تشتمل على تسع مخطوطات لابن رشد، على حين لا تشتمل لسان فكتور وسان جرمن على غير مخطـــوط واحـــد أو مخطوطين / انظر ابن رشد والرشدية /أرنست رينان ترجمة عادل زعيتر صـــ ٢٨٢. ط/ دار إحياء الكتب العربية.

أضحت مرتعاً للاستعمار، ولكن عدو الكنيسة في هذه الفترة كان هو العلم الذي أصبح يهدم كل يوم مسلمات مقدسة، وقد شعر بعض المستشرقين أن هدم عقائدهم قد يكون في النهاية لصالح دين لا يدري أتباعه عن العلم ولا عن الفلسفة إلا التفاخر بالأجداد، وقد كان، فالإسلام يمثل حاليا الديانة الثانية في أغلب البلدان الأوربية، والمسلمون إذا لم يتفاعلوا مع دعوة دينهم إلى تحصيل العلم فإنه سوف يصبح ديناً لغيرهم من أهل العلم أينما كانوا، قد يصبح الإسلام قريباً الديانة الأولى في الغرب، فلن يحول حقد آل بوش دون ذلك، لقد حاولت البوشية ربط المسيحية بالغرب المتقدم، ولكن ها هو الغرب كلما تقدم استبدلها بالإسلام. وبهذا ظهر أن ما حسبوه أيسر الخصوم ليس إلا أشرسها، فقد تحداهم القرآن الكريم ولا يزال يتحداهم بأنهم يعرفون محمداً كما يعرفون أبناءهم، وتحداهم كذلك ولا يزال يتحداهم أن يأتوا بحديث مثله، وبرهان كذبهم في إنكار الأول هو عجزهم عن الثاني.

وهكذا أصبحت نبوءات الكتاب المقدس عن محمد معضلة لا حل لها أمام العقل الغربي، فماذا لو أنكر الغرب هذه النبوءات فأنكر المسلم بدوره صحة الأناجيل وصلتها بالمسيح؟ إنه طعن قدمه المسلمون منذ البداية بتلقائية معتمدين على إشارات قرآنية، ولكن العجيب أن الدراسات المسيحية أصبحت تنتهي إليه تباعاً. وظهرت أمور كثيرة لم يعد في إمكان الباحثين أن يتجاهلوها منها:

- الخلل في النبوءات وعدم تطابق السبعينية مع العبرية فيما يتعلق بالعهد القديم.
- الصعوبات التي تحول دون معرفة كتبة الأناجيل المقدسة معرفة يقينية.

وعلى هذا إذا أراد لاهوتي أو مستشرق أن يتصدى للملحدين في الغرب فليس له ذلك قبل أن يحصل على إقرار صريح بوجود المسيح في التاريخ من أهل البلاد التي عاش فيها المسيح ﷺ، إن هذا الأمر إنما هو ضروري قبل المضي في مواجهة لا تحسمها أناجيل ولا رسائل، فما المانع أن تدعي البوشية – طالما أنها ترغب في إقناع منكري الوجود التاريخي للمسيح – أن الكتاب المقدس يربط الماضي بالحاضر بحديثه عن الإسلام.

فشعار «**اعترف وأنا أعترف**» هو ما بات يعلق عليه بوش آماله في مواجهة الشك والإلحاد، لكنه لن يمنح محمداً بعد اعترافه بالمسيح وإنجيله سوى أن يقر هو بأن الإسلام الذي جاء به إنما هو شر أصاب شعب القديسين، «**إن محمداً لم يكتف باعتبار العهدين القديم والجديد وحياً أنزله الله رغم ما بهما من تحريف، ولكنه أيضاً أكد أن فيهما إشارات تنبئ ببعثته نبياً ورسولاً**» [صـ ٤١٥ من الترجمة].

فهذا الاعتراف من محمد ﷺ وهذا التأكيد لن يجدي إذا أنكر النصارى وجود محمد في كتبهم أو أقروا بنبوءات جاءت على غير وجهها، إن عدم اعترافهم ببعض النبوءات عن محمد والمغالطة في تفسير بعضها الآخر يبقى هو السبيل الوحيد لخداع المسلمين بجرهم إلى محاولة الإثبات تارة

والتصحيح أخرى، مما يعني في النهاية اعترافاً ضمنياً منهم بالأناجيل كمصدر لإثبات الوجود التاريخي للمسيح ﷺ . وبالتالي المسيحية كدين قائم على هذا الوجود.

وعلى كل الأحوال لم تنتظر المدارس النقدية اعتراف أو عدم اعتراف المسلمين بأسفار الكتاب المقدس، فبادرت تستبعد سفراً وتشكك في آخر، وأصبحت مجادلة المسلمين حول التحريف أو النبوات المهرب من مواجهة هؤلاء الشكاك والملحدين، إن المسلمين حسنا يقولون إن المراد بالمعزي في إنجيل يوحنا محمد ﷺ فإن **«بوش»** يشكر لهم محاولة الاستشهاد بكلام السيد المسيح، ولكن للأسف المعزي أو الباراكليت ليس هو محمد كما حسبوه، لأن أصل الكلمة في اللغة كذا (...) وبهذا ينقلب بوش من أستاذ لاهوت إلى أستاذ في اليونانية وهي لغة ما تحدث ولا كتب بها المسيح إنجيله.

هذا السيناريو لا زلنا نلمسه في كل بحث يتناول هذا الموضوع تصدره الكنيسة الآن، ولئن قلنا لهم إنكم حرفتم الكلمة أو تفسيرها ردوا بأن القرآن يشهد بأنه «**لا تبديل لكلمات الله**» دون أن يؤمنوا بالقرآن أو ينشغلوا بالبرهنة على كون كتابهم هو فعلاً كلام الله تعالى.

وليس جورج بوش هو مخترع فكرة جر المسلمين إلى الجدال حول معان غامضة في الكتاب المقدس، فكما يظهر من عزوه للنصوص هذه الفكرة موجودة بوضوح في المصادر التي نقل عنها، مثل «**حياة محمد**» لـ «بريدو» الذي ينقل عنه قوله: «**أخيراً فقد الله صبره – أعوذ بالله –**

فقد طالت معاناته فبعث الساراسين ليكونوا أداة سخطه ليعاقبهم لهذا»
[انظر صـ ١١٢ من الترجمة].

لا تحتاج إلى أن نقول لك إن هؤلاء الكفرة الفجرة هم الذين فقدوا صبرهم، وفقدوا أعصابهم، فكلام هذا القس المتهور هو خير شاهد على انحرافهم عن تعاليم المسيح، ولكن هل تتخيل الله ﷻ يرد ضلالهم بنشر باطل يتعهده بالرعاية؟ .

وما فائدة الصلب إذا أصبح الإله بعد صلبه عاجزاً عن تحمل معاناة انحراف النصارى عن دينهم؟.

وهل الذي صلب ليريح الناس من معاناة الخطيئة يقع هو في هذه المعاناة مرة أخرى وإلى الأبد، حيث لا فداء بعد الفداء؟ فماذا يفعل وقد طالت معاناته؟ .

في نظر بوش أن المعاناة هي التي دفعت بالإله ليرسل السارسين ليكونوا أداة سخطه على القديسين، وقد استخدم من يدعي القداسة كلمة Saracens عوضاً عن كلمة المسلمين، وحتى في عنوان كتابه يستخدم هذه الكلمة القبيحة، وهي من مخلفات الماضي البعيد في نظره أو الحروب الصليبية في نظر آخرين، وبما أن المترجم جزاه الله خيراً يريد أن يكشف لنا عن مصادر الحقد والعنصرية في الغرب فكان عليه أن يرفض هذه التسمية ويوضح بأية طريقة يراها مناسبة سبب إصرارهم على نعتنا بالأوصاف القبيحة، ولست أدرى لمصلحة من نحاول إضفاء لوناً من الجمال أحياناً على بذاءات المستشرقين؟ فإن كان المترجم ينقل الكفر

فلينقله دون خوف، لأن ناقل الكفر في النهاية ليس بكافر، وليست المشكلة في نقل الكفر ولكن في تجميله بوضع الوصف الحسن مكان القبيح.

صحيح قواميس اللغة الحالية تجعل كلمتي «عربي» أو «مسلم» تقابل كلمة «**ساراسين**» الإنجليزية، لكن لماذا نعتبر هذه القواميس قرآناً، ولم لا نتحفظ عليها باعتبارها تمثل شتماً وإهانة لنا، ولو أخذنا بترجمة الصفة إلى اسم أو الاسم إلى صفة فإن هذا يؤدي إلى ضياع المعنى الأصلي والفرعي، وإذا كانت كل المرادفات ليست صالحة أحياناً للترجمة[1] فهل يمكن أن نضع الاسم مكان الصفة أو العكس؟ إننا بهذه الطريقة ننأى بأنفسنا عن الأمانة، وما كان المسلمون ليستخدموا هذه الأساليب مع أن دينهم ليس فيه «باركوا لاعنيكم» أما بوش فرغم أن دينه فيه هذا التوجيه إلا أنه أطلق للسانه العنان ليأتي بكل قبيح، حتى جعل من الفعل العربي «**سرق**» علماً على أمة تقطع يد السارق، «**فالسلب — في نظره — خاصية من خصائص العرب**»[2].

إنه يصر على نعت المسلمين بكلمة Saracens, القبيحة، ويؤكد معرفته بأصل معناها بسرد مرادفاتها الإنجليزية، «فأصلها اللغوي — كما يرى في ٩٦ من الترجمة - مشكوك فيه، وربما كانت من الفعل سرق، وتعني كلمة «**الساراسين**» اللصوص والسرّاقين والنهابين».

---

١ - لا يمكن مثلاً ترجمة اسم مؤلف الكتاب بـ «جورج ذنب الثعلب»

٢ - انظر الترجمة العربية صـ ١٣٨

- Saracen, - Etymology doubtful; supposed to be from Sarak; to steal; a plunderer, a robber

فهذا هو معنى كلمة Saracens الواردة في عنوان كتابه، والتي تطلق كثيراً على المسلمين في طيات الكتاب، فهي من الفعل « ;Sarak» وحسب بوش يرجع إطلاقها على العرب إلى ما قبل الإسلام، حيث وصف جيروم قيدار «**بأنها منطقة الصحراء العربية التي يسكنها الـ « ساراسين»** ،**ويعلن القس بوش أن اليهود يتفقون معه تجاه تسمية الدين الجديد**، «**لقد كان لفترة يعتقد أنه يُعيد الدين الحنيفي الحق الذي أوحاه الله إلى إبراهيم، ونقله إبراهيم إلى إسماعيل والذي سماه محمد دين الإسلام والذي يعني الإخلاص لله وطاعة دينه إلا أن اليهود حرفوا الكلمة وأحلوا حرفاً محل حرف وأسموه الدين الإسماعيلي بدلاً من الدين الإسلامي نسبة إلى الجد الأعلى للنبي**» انظر صـــ ٤١٤ من الترجمة .

وأما النصارى الحاقدون فلم يقتنعوا بتغيير الحروف، بل غيروا الاسم والصفة معاً، وأطلقوا على المسلمين أو الإسماعيليين كما يسميهم اليهود اسم «**الصيع**» لتكون هذه التسمية كافية لتبرير قتلهم والتخلص منهم دون أدنى مسئولية جنائية، أو حتى تأنيب ضمير، وهذا ما تنشره وسائل الإعلام كل يوم عن الجنود الأمريكان في العراق، وبينما أسجل هذه السطور أقوم من وقت لآخر فأستمع إلى الأخبار، الأخبار تقول الآن إن الجنود الأمريكان - الذين قدموا ليحرروا الساراسين من طغيان حكامهم- أنهوا مهامهم اليومية المعتادة، ولم يجدوا ما يلهون به بقية

يومهم سوى اصطياد الأطفال كالعصافير، فقد دخلوا مدينة «حديثة» واقتحموا بعض المنازل وقتلوا من فيها من أطفال وشيوخ ونساء، أربعة وعشرون نفساً ما بين رضع وأطفال وأمهات وآباء وأجداد هم ضحية العنصرية في ساعة من ساعات اللهو الصليبي، هذه صورة بسيطة لمن يدعون أن دينهم هو دين المحبة !



٢ – حكمة غامضة تثبت صحة الكتاب المقدس!

لم يجد بوش إجابة على أسئلة كثيرة في سيرة محمد ﷺ فأقر بأن انتشار الإسلام وانتصاره يرجع إلى عوامل غير بشرية، ولكن كيف يرعى الله من يحارب شعب القديسين ويسمح بنشر عقيدته الباطلة؟ .

هنا يجيب بوش بأن هذا ينطوي على حكمة غامضة، وبهذه الإجابة الغامضة يطوي كل محاولة للإقناع أو الاقتناع بنظريته في التفسير التاريخي لنبوءة دانيال، وبهذا يفشل في تحقيق ما قصده من البداية من رغبة في تحقق الاقتناع بصحة الكتاب المقدس بصدق النبوءات المبثوثة فيه.

لقد احتار بوش كيف يفسر قول دانيال «وستعظم قوته ولكن ليس بقوته»؟ فلم يجد بداً من الاعتراف بأن النجاح الملحوظ للإسلام يرجع مباشرة إلى رعاية الله له، ذلك أن النتائج التي حققها الإسلام كانت فوق مستوى الفهم إذا قسناها بالأسباب البشرية المعتادة، فيد الله واضحة في كل مرحلة من مراحل تقدم الإسلام.

وهكذا ارتأى أن ظهور محمد يرجع إلى القضاء والقدر، «لقد قدر الله سلفاً انتشار الإسلام، وليس من تفسير بشري معقول لهذا الانتشار والانتصار، ولا يمكننا بالحساب الذي نعرفه أن نفسر هذا، فلا مناص من أن نقول إن الله أراد ذلك، والحقيقة أن ما حققه نبي الإسلام والإسلام لا يمكن تفسيره إلا بأن الله كان يخصهما برعاية خاصة، فالنجاح الذي حققه محمد لا يتناسب مع إمكاناته، ولا يمكن تفسيره بحسابات بشرية معقولة.

لا مناص إذن من القول إنه كان يعمل في ظل حماية الله ورعايته، لا

تفسير غير هذا لتفسير هذه الإنجازات ذات النتائج الباهرة، ولا شك أنه يجب علينا أن ننظر للدين المحمدي في أيامنا هذه بوصفه شاهداً قائماً ينطوي على حكمة غامضة لله سبحانه لا ندري مغزاها، حكمة لا تفهمها عقول البشر أو على الأقل لا تفهمها عقول البشر حتى يتحقق الغرض منها». [صـ ٣٥٣، ٣٥٤ من الترجمة] .

هكذا يحتار بوش بين الإقرار بالحقيقة والتنكر لها، فليس أمامه إلا أن ينعتها بالغموض، فحكمة الله أصبحت غامضة لا يدري البشر مغزاها، فهلا تعرف على حكمته تعالى البالغة، إنما سنة الله تعالى ماضية، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ولن تجد عن حكمته بديلاً، فقد ضل النصارى بإقرار أهل الورع وغير أهل الورع منهم، فالله يرسل من يهديهم لا من ينافسهم في الضلال، وهذا ما يجليه قوله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾ (المائدة: ١٩)

ولكن القس بوش بدلاً من أن يسير مع هذا المنطق إلى النهاية فيؤمن بمحمد ﷺ إذا به يسير في الاتجاه المعاكس فيؤمن أن الله عالج انحراف النصارى بالسماح بانتصار نوع من الانحراف أشد ضلالاً، فالانتقال من التثليث إلى توحيد رب العالمين هو في نظر بوش عقابٌ من الله تعالى.

وإذا كان يعتقد أن الإضلال والضلال قد ظهرا بقدر الله تعالى فلا مانع

لو جاء بوش الابن يتوهم أن بإمكانه محاربة قدر الله الذي استسلم له جد أبيه، فذهب يغزو العراق ليكسر بيده ما قال عنه الوحي إنه «**بلا يد ينكسر**».

لقد أراد كسر الإسلام، فمضت عليه سنة الأولين، ورأى العالم القوة العظمى تقف عاجزة أمام أمة ضعيفة، ولو يعلم المغرر بهم من أبناء هذه الأمة ضعف أمريكا ما لبثوا في العذاب المهين.

لقد توهم بوش أن الردة الجماعية التي تحدث عنها جده ستكون على يديه، وأن تفسير النبوءات على النحو السابق ليس إلا نبوءة تلقاها جده كما تلقى الإنجيليون أناجيلهم، ولكن بينما حصل الإنجيليون على تعاليم المسيحية حصل جده على ما يبطل ما عداها من تعاليم، وبالتالي فإن كان الرسل قد نشروا المسيحية، فإن الدور الموكل إلى بوش الآن هو محو كل ما يناقضها من أديان ومذاهب، وهكذا يبدأ بالإسلام، وبسرعة يبني أخطر القرارات على أضعف الاحتمالات، فقد توهم أن إحلال الديمقراطية محل الاستبداد في الشرق الأوسط الجديد يمهد لإحلال كتاب جده محل القرآن، والمسيحية محل الإسلام، ولكن أربع سنوات مضت، وأخرى بدأت ولم يحدث إلا ما يبشر بعكس ذلك، فأصيب بالإحباط، وعلت الكآبة الدائمة وجه الكذوب، وتحول عنف نبرته في أول الطريق إلى خنوع ومذلة في آخره.

قد لا نحتاج إلى شرح لندلل لك على حقد آل بوش على الإسلام، فحسبك التاريخ والجغرافيا، وحسبك ما هو كائن لتعرف ما كان،

حسبك ما حواه هذا الكتاب من افتراءات وأكاذيب، وهي وإن كانت كذلك إلا أنها جعلت رئيس أمريكا يعتقد أن ساعة عودة النصارى إلى دينهم وعودة المسيح إلى دنياهم باتت وشيكة، وهي وإن لم تتحقق الآن فلن تتحقق أبداً.



٣ - إنسان الخطية:

إن النبوات التي يذكرها «**بريدو**» و«**بوش**» وغيرهما من أهل الغرب ليست نبوات حقيقة، فدارسو الأديان لا يرون في كلام بولس نبوءة، وإنما قصد بولس الإجابة على سؤال طرح عليه، وعلى أحسن الأحوال قد يكون أراد تفسير نبوءة بدأ يظهر للناس تخلف تحققها، وأقصد هنا ما ذكره متى في العدد ٣٣ ، ٣٤ من الإصحاح الرابع والعشرين من قرب ظهور ابن الإنسان.

وبعض النبوءات التي قصد بها قائلوها التنبؤ مثل دانيال، وهي في نظر بوش نبوءات لما ستعانيه الكنيسة المسيحية من نير إنسان الخطية، ونختلف معه هنا، ونظن أن هذه النبوءة تشير إلى بولس أو إثناسيوس أو غيرهما ممن ساهموا بشكل مباشر في صناعة المسيحية بعد المسيح.

ومع ذلك ترسم البوشية صورة لمحمد ﷺ تختلف عن تلك الموجودة في ذهن من عرفوه والتقوا به من أتباعه، فهو إنسان الخطيئة الوارد في رسالة تسالونيكي الثانية، ويشرح بوش هذه النبوءة على هذا النحو:

إنه «خلال القرن الرابع نجد أن سر السؤال[1] mystery of iniquity الذي كان يمارس منذ زمن بعيد سراً أو في الخفاء أصبح يكشف عن نفسه بشكل أكثر وضوحاً، ورغم أن المسيحيين على وفق قوانين الإمبراطورية لم يعودوا يتعرضون للاضطهاد إلا أنه منذ هذا الوقت فصاعداً زاد

---

١ - لا أعرف في الأسرار الكنسية سراً بهذا الاسم .

انحرافهم وارتداهم، وكان يمكن تتبع هذا خلال كل حقبة لاحقةً حتى وفاهم أخيراً إنسان الخطية في القرن السابع، وعلى وفق نبوءات الكتابات المقدسة كما جاء في الإصحاح الرابع من الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكي:

«ثم نسألكم أيها الأخوة من جهة مجيء ربنا يسوع المسيح واجتماعنا إليه أن لا تتزعزعوا سريعاً عن ذهنكم ولا ترتاعوا لا بروح ولا بكلمة ولا برسالة كأنها منا، أي أن يوم المسيح قد حضر، لا يخدعنكم أحد على طريقة ما، لأنه لا يأتي إن لم يأت الارتداد أولاً، ويستعلن إنسان الخطية ابن الهلاك، المقاوم والمرتفع على ما يدعى إلهاً أو معبوداً، حتى إنه يجلس في هيكل الله كإله، مظهراً نفسه أنه إله».

۞ ويفسر القس بوش هذه النبوءة على هذا النحو:

لقد استشرت هذه الردة المرعبة وبلغت ذروتها في حوالي الفترة التي ظهر فيها محمد ﷺ وبلغ الآثمون تمام أمرهم.

لقد تخلت الكنيسة التي لم تصبح جديرة باسمها عن عقائد الكتاب المقدس وأخلاقياته، فأصبحت على وشك التخلي عن المسيحية.

لقد دخلت التحريفات القبيحة والخرافات في الكنيسة وبلغت مبلغاً كبيراً حتى انفصل لوثر وغيره من الإصلاحيين عما أسموه مجتمعاً معادياً للمسيح. [انظر صـ ١١٠ من الترجمة].

وإذا كان يرى أن هذا كله قد تحقق، وأن إنسان الخطية قد جاء، فأين المسيح؟

❖ لماذا لم يأت حسب نبوءة بولس أو تفسير بوش لها؟.

لا نعرف على أي نحو قرأ بوش هذه النبوءة، إنها تقول: إن المسيح لن يأتي إلا بعد حدوث الارتداد عن الدين، ويستعلن إنسان الخطية ابن الهلاك، وقد رأى كل ذلك في محمد ودينه، فكتاب بوش لا يزال يتحدث عن تحقق شرط عودة المسيح دون أن يذكر علة واحدة لتأخر مجيئه اثنتي عشرة قرناً بعد بعث محمد ﷺ ولا زال النصارى ينتظرون عودة الناس إلى دينهم والمسيح إلى دنياهم، ولكن كيف يعود الناس وهم يرون كذب النبوءة بتأخر عودة المسيح حتى الآن.

والواضح من الرسالة أن هناك من كان يبعث برسائل إلى أهل تسالونيكي غير بولس، أما من هو هذا المناهض لبولس فلا تصرح به الرسالة، ولكن بولس يطلب منهم أن لا ينخدعوا بأية رسالة يلتبس عليهم أنها منه، ونفهم من رد بولس أن هذه الرسائل الخادعة كانت تخبرهم أن يوم المسيح قد حضر، وأن أهل الضلال كان يشاغب بعضهم بعضاً بهذه الأفكار قبل أن تصبح هذه الفكرة ديناً وتلك هرطقة، ويعتبرها القس بوش نبوءة تستدعي أن يشمر عن ساعده لتفكيك رموزها، والغريب أنه يحاول شرحها والنفخ فيها بعد ما قضى الدهر بكذبها، فقد جاء محمد ولم يأت المسيح، وربما حاول بوش أن يضع هو الآخر حلاً أو نبوءة على نحو ما فعل بولس، فقد ذهب أهل تسالونيكي يستفتون بولس عن سبب تأخر عودة المسيح التي بدأت الوعود بقربها تتبخر يوماً بعد يوم، فلجأ كشأن الكهنة في كل عصر إلى اختراع التفسير، ولكن سرعان ما تظهر

الاعتراضات على ما يخترع من حلول، وبهذا صمم بولس المسيحية على شكل ما يطرح عليه من مسائل، فقد ظن أن المسيح لن يرجع إلا عندما يحدث الارتداد عن الدين، ويأتي من يتزعم الكفر، عندها يأتي المسيح ليعيد الناس إلى الإيمان الذي ارتدوا عنه، و لم يكن بولس يبالي أتكذبه أم تصدقه الأيام، فالمهم أنه يكذب ليزداد صدق الله فيه، وهو لا يرى في هذا خطأ ولا خطيئة، لأنه بحسب نظره: «**إن كان صدق الله قد ازداد بكذبي فلماذا أدان أنا كخاطئ؟**» [رومية ٣: ٧] ويبدو أن هناك من جرب عليه الكذب، فكان يبرر ذلك بأنه إذا كان يكذب لصالح الله فليس بخاطئ، وحاشا لله أن يقوم دينه على الكذب، فهذا الكذاب نسي ما سبق أن أعلنه من أن المسيح قد جاء ليرفع الناموس والخطيئة، فلم يعد مجالاً للخطأ ولا للخطيئة بعد أن نزل الرب بنفسه وصلب برهاناً على نهاية الخطيئة.

وتستطيع أن تتبين من كلام بولس من هو إنسان الخطيئة، ذلك أنه لا بد أن يكون هو من لا يرى سوى الكذب برهاناً على صدق الله تعالى، وحسبك أن بولس وضع أسس الردة عن توحيد رب العالمين وأكملت المجامع البناء على ما رسمه لها من قواعد، وبعد حلول الظلام ووقوع الشرك لم تعد الإنسانية في حاجة إلا إلى منقذ من الضلال، وهنا جاء محمد ﷺ ليس سبباً ولا امتداداً للضلال، أحد عشر قرناً مضت على مجيئه ﷺ ولا يزالون ينتظرون رجوع المسيح، ولما طالت الأماني لعب قاتلو المسيح بعقل عابديه وأوهموهم أن تحقق النبوءة لن يكون إلا بعد أن يبني

اليهود هيكلهم المزعوم في أورشليم، والغريب أن بوش الابن أصبح يؤمن بهذا الوهم مما يفسر انحيازه الأعمى لصالح اليهود، وربما أراد ربك أن يسلكوا طريق الظلم من أول تاريخهم إلى نهايته ليظل حكم القرآن الكريم «**لا ينال عهدي الظالمين**» صادقاً عليهم.

وعلى كل حال لا يستطيع منصف أن يعتبر محمداً ﷺ هو المقصود بإنسان الخطيئة، وعلماء المسيحية أنفسهم لم يجدوا وجهاً يطلقون به عليه صفة واحدة من صفات إنسان الخطيئة، وليس الأمر قاصراً على علماء المشرق، حتى نفسر موقفهم بمراعاة مشاعر المسلمين، بل علماء الغرب أنفسهم، وهذا القس بوش نفسه يذكر في صـ ١٦٧ من الترجمة ما نصه «**لكننا لا نملك برهاناً يقنعنا باعتبار محمداً يستحق أن نطلق عليه لقب عدو المسيح، أو المناهض له**».

فهذه شهادة من بوش الأكبر تناقض ما ذكره من صفات إنسان الخطيئة والتي هي «**المقاوم والمرتفع على ما يدعى إلهاً أو معبوداً، حتى إنه يجلس في هيكل الله كإله، مظهراً نفسه أنه إله**» .

فكيف يكون إنسان الخطية بهذه الصفات ولا يكون عدواً للمسيح ولا مناهضاً له؟.

يقولون سراً وعلانية: إنه أنكر الثالوث. فهل إنكار محمد للثالوث يعتبر خطية؟.

إن هذا يلزمهم أن يبرهنوا أولاً على صحة الثالوث، ولهذا يتفهم القس بوش موقف محمد ﷺ من الثالوث، ذلك أنه «**مثل آخرين في عصور**

أخرى، لم يستطع أن يتصور عقيدة المسيحيين في نسبة المسيح إلى الله، أو بتعبير آخر لم يستطع أن يفهم بنوة المسيح لله أو تحدره منه، مع أن هذه الفكرة – في نظر بوش – لا تؤثر بشكل مباشر في حقيقة أن الله جل جلاله واحد، أو بتعبير آخر مع أن هذه الفكرة لا تؤثر مباشرة في التوحيد الأساسي للذات العليا» [انظر صـ ١٨١ من الترجمة].

لكن كيف لا تؤثر وهي لا يمكن صياغتها بطريقة سليمة لغوياً ولا عقلياً، فقوله إن المسيح هو ابن الله تستدعي أن يوضح هل هو ابن الله الثالوث أو ابن الآب فقط، فيكون الأقنوم الثاني ابن الأول، أو الأقنوم الأول أب للثاني، دع عنك الحديث عن الأقنوم الثالث، ولو تأمل كل مسيحي هذه المسألة وحاول صياغتها صياغة لغوية سليمة لعجز، وبالتالي عذر أخاه المسلم في الكفر بالثالوث !

وإذا عجزوا عن تصور الإله الواحد فهل علينا من لوم إن عجزنا عن تصور الثالوث؟ .

قد تجد في الأمم البدائية من يمتلك خيالاً أوسع فيتصور الله سابوعاً أو تاسوعاً، لكن المسلم لا تنهض إمكانياته العقلية لمعرفة أكثر من إله واحد لا شريك له.

إننا لا نبغي العداء لأحد، ولا نطمع في شيء سوى أن يصرفوا حقدهم من حولنا، نأمل أن لا يفرض الدين بالقوة على الناس، فإذا عجزنا عن تخيل ثالوثهم، وعجزوا عن تخيل توحيدنا فلتسمح لنا البوشية التي باتت تمتلك القوة أن نعيش جنباً إلى جنب في هذه الدنيا، لكنها كالنازية لا

ترى في الوجود غير نفسها، الغريب أنه منذ احتلال العراق وجيوش القساوسة يطلون علينا من على شاشات التلفاز واعظين: «**إنه إن لم تؤمن (..) فلن تعرف الحق**» فهل أخطأ رسولنا ﷺ عندما رفض الإيمان قبل المعرفة؟.

إن القس زكريا بطرس يطل علينا يومياً يحاضر المسلمين ممجداً الثالوث ومتهكماً على توحيد رب العالمين، فلا المسلمون يقتنعون بما يقول ولا هو بالذي يسكت، وليته يريحنا من نباحه وليأت بحديث مثل القرآن الكريم، فإذا طال نباحه وانبح صوته دون فائدة فليجرب طريق التحدي فقد يقتنع المسلمون بسورة يؤلفها فيخرجون من الإسلام أفراداً وجماعات، وإني أعده صادقاً أن أكون أول الداخلين في دينه لو استطاع أن يأتي بمثل القرآن الكريم، وإلا فنحن مشفقون لاستمرار نباحه دون فائدة !



٤- متى يبرأ القدس؟

لم يعد من المفيد إذن أن يستمر إنكار النصارى لوجود محمد ﷺ في الكتاب المقدس، فليكن موجوداً ولكن بالصورة التي ترسمها له الصليبية الحاقدة، لا يشك بوش في أن كتبه المقدسة «**قد تنبأت – حسب وصفه – بهذا المدعي الكبير ودينه لكن بمعنى آخر يختلف عما ذكره محمد وأتباعه، فلم تكن كتبه المقدسة لتغفل التنبؤ بهذا الدين الذي أتى به محمد وهذه الإمبراطورية التي شاهدها .. بوصفها سوط عذاب نزل على الكنيسة والعالم المتحضر لا يمكن تناول ظهور الإسلام وتقدمه وانتشاره بمعزل عن النبوءات التي تنبأت به**» ؟

[صـــ ٤١٦ من الترجمة].

تأمل وصفه الإسلام بأنه سوط عذاب نزل على الكنيسة والعالم المتحضر، وحاول أن تستمع إلى خطب حفيده في إطار ما دعاها بحربه على الإرهاب، وتأمل حديثه عن «**العالم المتحضر**» وغير المتحضر، ومحور الشر ومحور الخير..

دعك من الحديث عن الخير والشر، وربط الماضي بالحاضر، ولننتقل مباشرة إلى ترجمة نبوءة دانيال، وسوف أقتصر على نص الترجمة كما أشار إليه القس بوش من الإصحاح الثامن، وإن كان السياق يحتم أن نقرأ النص كاملاً، لكننا لا نريد الإطالة فيما نظن أنه لا فائدة من الإطالة فيه، لقد أصبح مترجم كتاب بوش في حيرة عندما وصل إلى هذا المقطع من

الكتاب، ذلك أنه لم يجد ترجمة بوش واضحة بدرجة تشعره أنه يتحلى بالأمانة، وبما أنها ليست متفقة مع الترجمات الأخرى لم يكن أمامه سوى الإكثار من الأقواس التوضيحية، والانتقال من ترجمة إلى أخرى، عله يحقق الاستفادة من خبرة السابقين، ولن ندخل في تفاصيل الخلاف بين الترجمات، وفقط سوف نعتمد على الترجمة العربية للكتاب المقدس طبعة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، والنص فيها على هذا النحو:

«فتعظم تيس المعز جداً، ولما اعتز انكسر القرن العظيم وطلع عوضاً عنه أربعة قرون معتبرة نحو رياح السماء الأربع، ومن واحد منها خرج قرن صغير، وعظم جداً نحو الجنوب ونحو الشرق ونحو فخر الأراضي، وتعظم حتى جند السموات، وطرح بعضاً من الجند والنجوم إلى الأرض، وداسهم، وحتى إلى رئيس الجند تعظم به وأبطلت المحرقة الدائمة، وهدم مسكن مَقْدِسه وجُعل جُندٌ على المحرقة الدائمة بالمعصية فطرح الحق على الأرض وفعل ونجح، فسمعت قدوساً واحداً يتكلم، فقال قدوس واحد لفلان المتكلم: (**إلى متى الرؤيا من جهة المحرقة الدائمة ومعصية الخراب، لبذل القدس والجند مدوسَيْن؟**) فقال لي: (**إلى ألفين وثلاث مئة صباح فيبرأ القدس**).



۞ تفسير الرؤيا:

«وكان لما رأيت أنا دانيال الرؤيا وطلبت المعنى إذ بشبه إنسان واقف قُبالتي وسمعت صوت إنسان بين أُولاي فنادى وقال: يا جبرائيل فهم هذا الرجل الرؤيا، فجاء إلى حيث وقفت، ولما جاء خفت وخررت على وجهي، فقال لي: افهم يا ابن آدم، إن الرؤيا لوقت المنتهى، وإذا كان يتكلم معي كنت مسبخاً على وجهي إلى الأرض، فلمسني وأوقفني على مقامي، وقال: ها أنا أُعرفك ما يكون في آخر السُّخط لأن لميعاد الانتهاء، أما الكبش الذي رأيته ذا القرنين فهو ملوك مادي وفارس، والتيس العافي ملك اليونان والقرن العظيم الذي بين عينيه هو الملك الأول، وإذ انكسر وقام أربعة عوضاً عنه فستقوم أربع ممالك من الأمة، ولكن ليس في قوته، وفي آخر مملكتهم عند تمام المعاصي يقوم ملك آخر جافي الوجه وفاهم الحيل وتعظم قوته، ولكن ليس بقوته، يُهلك عجباً وينجح ويفعل ويبيد العظماء وشعب القديسين، وبحذاقته ينجح أيضاً المكر في يده، ويتعظم بقلبه، وفي الاطمئنان يُهلك كثيرين، ويقوم رئيس الرؤساء وبلا يد ينكسر، فرؤيا السماء والصباح التي قيلت هي حق، أما أنت فاكتم الرؤيا لأنها إلى أيام كثيرة، وأنا دانيال ضعفت ونحلت أياماً ثم قمت وباشرت أعمال الملك وكنت متحيراً من الرؤيا ولا فاهم» [1]

إنه غالباً ما تكون النبوءات في صورة إشارات ورموز وألغاز يتحير فيها الرائـــي وقـــد لا يفهمها، ومن الطبيعي أن يختلف الناس حول فك هذه

---

١ - دانيال ٨: ٨- ٢٧

الــرموز وخاصـــة إذا كانــت إلى أيام كثيرة، وقد تتحقق النبوءة ويظل الخــلاف حولها كما كان قبلها، ولكنها إذا لم تحرف وتحققت بالتفسير الصحيح لها تتطابق رموزها والواقع من كافة الوجوه.

والغريب أن دانيال أمر بكتمان رؤياه، والأغرب أن ما أمر دانيال بكتمانه أمر بوش بالإفصاح عنه، فمسرح نبوءة دانيال كما أفصح بوش هو الإمبراطورية المقدونية التي أسسها الإسكندر المقدوني، فهذا هو القرن الأكبر في نظره، وقد انكسر عند موته بين أربعة من أبنائه، وكان من نصيب بطليموس مصر وليبيا وشبه الجزيرة العربية، والمقصود الموضع الذي ولد منه محمد ودينه، ومقصوده هنا ليس واضحاً بتاتاً، فلم يثبت في تاريخ العرب ولا غيرهم أن مكة حكمها بطليموس، ولكن بوش رأي أن صرف النبوءة إلى محمد لا يتم إلا بتحريف التاريخ والجغرافيا، فراح يحكي لقومه عن العرب بما لا يعرفه العرب عن أنفسهم، فقد ظن أن القرن الصغير ينطبق على الدين المحمدي، الذي بدأ صغيراً حال ظهوره، ولا يذكر أنه حال بروز الإسلام كان هناك قرنان كبيران يتمثل أحدهما في الإمبراطورية الفارسية في الشرق والرومانية في الغرب، وهذا خلل في الشكل العام لتطبيق رموز النبوءة، فالواجب أن تنطبق بدقة متناهية لا أن تنطبق في جانب دون جوانب أخرى.

ولو أنه راجع الإنجيل لتعلم كيف يطبق النبوءات، فالإنجيل يؤكد نفس المعنى، حيث «**يشبه ملكوت السموات حبة خردل أخذها إنسان وزرعها في حقله وهي أصغر جميع البزور ولكن متى نمت فهي أكبر**

البقول وتصير شجرة حتى إن طيور السماء تأتي وتتآوى في أغصانها» [متى ١٣: ٣١- ٣٢].

فطيور السماء تمتاز بالضعف، وهي ترمز إلى ضعفاء البشر الذين حماهم الإسلام من استعباد الإمبراطورية الفارسية والرومانية، كما أعلن الخليفة الأول بعد الرسول ﷺ عندما قال: «**والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له**» .

ولكن نبوءة دانيال لا تنطبق بهذه الصورة من الوضوح، فرغم أن مقدماتها تنطبق على الإسلام بحسب مواصفات بوش من كونه بدأ دولة صغيرة، إلا أن بقية ملامح الصورة لا تتفق مع ما في ذهنه ولا في ذهن غيره عن الإسلام الذي أصبح مأوى تلجأ إليه طيور السماء الضعيفة.

ولكن لماذا ترك بوش الإنجيل وتمسك بدانيال، ذلك أن الإنجيل يقول إن الإسلام سوف يكون ملجأ للضعفاء، ورأي بوش فيه مصيبة أرسلها الله (كذا) انتقاماً من الكنائس الشرقية التي ضلت السبيل، لكن هؤلاء المسلمين — حسب أمانيه - سيعودون للمسيحية مرة أخرى إذا ما وصلتهم بشكلها الصحيح ليصبح العالم الإسلامي مسيحياً كما كان، لكن على المسيحية الصحيحة هذه المرة، وسيتم هذا فيما يظن بوش بالسلم وبدون حرب، فنبوءة دانيال تقول «**وبدون يد ينكسر**» ولكن هذا التفسير لو كان صحيحاً لأشار إلى عودة المسيحية الصحيحة، فقال عنها «**وبدون يد تنبني**». فالأهم هو قيام الحق لو كان بوش يعتقد أن المسيحية هي الحق، فانكسار الإسلام بأية طريقة غير معتبر في تفسير

النبوءة إلا إذا ترتب عليه ما ظنه بوش قيام الحق المسيحي، ولكن أين هو الحق المسيح الذي قام؟ إن الاتحاد الأوربي الذي هو في طور التكوين قرر أن لا يقوم على المسيحية.

إن طريقة بوش تلك في التفسير أو في التفكير لا تجعلنا نفصل الصراع الديني عن العسكري الدائر على امتداد أرض المسلمين، وإذا لم ينطبق تفسير بوش على نص النبوءة ولا على تطبيقها فإنه ينطبق بشكل واضح على سياسة حفيده العملية، ويجد رئيس أمريكا في كتاب جده ما يفيد أن العالم الإسلامي بعد إزاحة حكامه - الذين يصفهم بأنهم متسلطون - سيعود إلى الدين الحقيقي، ويتركون الدين الدَّعي وما يصاحبه من ثقافة. ولكنه عندما حاول تطبيق تفسير جده وجد أنه يساعد التيارات الدينية وليس كما حسب نفسه يساهم في القضاء عليها.

لقد فسر الجد انتشار الإسلام بامتلاك العرب ومن بعدهم الترك على حين غفلة قوة هائلة اقتحمت فجأة كيانات المتعبدين الحقيقيين، ومعنى هذا فإن تجريد المسلمين من أسلحتهم على وفق تفسير بوش مطلب توراتي وإنجيلي[1].

وهذا ما اعتقده رئيس أمريكا، وقد شجعه على المضي قدماً في تجريد المسلمين من أسلحتهم، كما ساهم إيمانه بعقيدة جده المتمثلة في أن انتشار الإسلام حدث عارض مؤقت يعود إلى ابتعاد الكنيسة عن طريق المسيح إلى وصف المسلمين بالفاشية أو الإرهاب، وحتى تعود إلى رشدها وتنهج

---

١ - ارجع إلى تعليق المترجم صـ ٤٣١ وما بعدها من الترجمة العربية.

نهجها الصحيح، ساعتها سيزاح الإسلام ويرتد المسلمون، ولكن حقد بوش دفعه إلى إبطال تفسير جده من حيث لا يدري حين حاول كسر ما قال عنه الوحي إنه «**بلا يد ينكسر**» وهذا يعني أن انكسار وانحسار عقيدة التوحيد هو أقصى أماني آل بوش، وحسب تصور بوش الجد فسوف تنكسر بطريقة تختلف عن تلك التي تنكسر بها القوى الأخرى، وعلى هذا فالنبوات التي يذكرها بوش ليست إلا بما ستعانيه الكنيسة من نير إنسان الخطيئة، غير أننا لم نر إنساناً يتسبب في معاناة الإنسانية أكثر من حفيده الذي منذ أن تولى حكم أمريكا وعشرات إن لم يكن المئات من الأبرياء يقتلون يومياً بسبب سياسته الرعناء، ويكفينا في الدلالة على هذا استطلاعات الرأي في شتى دول العالم التي تؤكد أن هذا البوش هو أخطر مهدد للسلام العالمي.

وكثيرون من شارحي نبوءة دانيال من أساتذة بوش مقتنعون أن الخداع المحمدي سيبدأ انكساره دون يد تكسره في الوقت الذي تدمر فيه البهيمة الرومانية المتمثلة في كونفدرالية مناهضة للمسيحية (**أظنه يقصد الإشارة هنا إلى مسيحي الشرق**) وفي هذه الحقبة التي تبدأ فيها الألفية التي يحكم فيها المسيح في هذه الفترة سيبدأ التبشير بالإنجيل بنجاح في العالم كله، وسينضم كل الأغيار إلى حظيرة الكنيسة المسيحية، خلال هذه الفترة سيترك المسلمون جميعاً دينهم ليدخلوا في العقيدة الحقة وعندما يتحول المسلمون جميعاً إلى المسيحية، ستنكسر بلا شك مملكة القرن الصغير الشرقية، وانكسارها يكون بلا يد لأن ساعتها لا تكون قد انكسرت بجد

السيف على يد غاز من البشر، وإنما بتأييد من الروح القدس الذي يميل قلوب الناس ليعلنوا خطأهم وليؤمنوا بعقيدة نبي الله الحق. وكما جاء في المزمور ١٢٠ / ٥ «**ويلي لغربتي في ماشك لسكني في خيام قيدار**» وإشعياء عندما تنبأ بمستقبل تحول الأغيار ذكر «**كباش نبايوت**» بن إسماعيل، وهو يشير إلى تحول الأمم الإسلامية في المستقبل إلى المسيحية لتنضم جميعاً إلى الكنيسة المسيحية. [انظر صـ ١٢٧ من الترجمة].

وتبعاً لتفسير بوش سوف يمتد القرن الصغير امتداداً كبيراً ويبلغ مداه حتى جند السماء، وجند السماء — في نظره - رموز للحكام الروحيين للكنائس السبع الواردة في سفر الرؤيا، فمجال النبوءة تحققت على يد قوة معادية امتلكت فجأة قوة هائلة واقتحمت بالقوة كيان المتعبدين، منتهزة فرصة تفرقهم وعدم تماسكهم.

وإذا كان حشد السماء يعني رجال الدين ورعاة الكنيسة فإن المقصود برئيسهم أو ملكهم هو المسيح، والإسلام قد حقق هذه النبوءة — كما يرى بوش - بوضوح برفع مقام مؤسسه إلى درجة من التوقير والتشريف مساوية لدرجة التوقير والتشريف التي يحظى بها يسوع المسيح، بل إن الإسلام يرفع نبيه محمد فوق درجة المسيح، فالمحتال العربي — كما دأب بوش أن ينعت رسولنا الكريم ﷺ - جعل من المسيح مجرد نبي، بل واحتفظ لنفسه بمكانة أعظم الأنبياء، وقال عن القرآن نسخ الأناجيل، بل إن الإسلام جعل من نبيه أميراً للحشد كما يدعي بوش في صـ ٤٤٦ من الترجمة. والغريب أنه يصر على أن نبوءة دانيال لا يمكن تفسيرها إلا بهذا

الشكل، لقد راح دين الإسلام بشكل دائم يطيح بالطقوس الدينية للمسيحية وبرموزها ومذابحها ليُحل محلها مذابح أخرى، ونظاماً كهنوتياً آخر، ففي كل مكان في بلاده الواسعة حلت المساجد محل الكنائس والأئمة والمؤذنون محل القسس، لقد كان السيف هو الأداة الكبيرة التي استخدمها الإسلام لتحويل الناس إليه. لقد أصبح كل المسلمين في الحقيقة رجال دين، وأصبح كل عربي منحط وكل جندي تركي داعياً إلى الإسلام وهادياً إليه.

ويتابع بوش بذاءاته فيدعي - من خلال التاريخ المقدس وغير المقدس - علمه بوقت ظهور محمد، فقد وصلت الكنيسة ذروة الانحراف في العقيدة، وفي الممارسة وفي التطبيق وهو الأمر الذي كان قد تنبأ به بوضوح القديس بولس عن رجل الخطية.

لقد كان النجاح غير العادي الذي حققه الخداع المحمدي عقاباً لهذا التقصير الكبير، لقد عوقب هؤلاء النجوم بسبب ابتعادهم عن الحق، فتم إخضاعهم لطغيان القرن الصغير، والمؤرخ جيبون يقدم رؤيته للإسلام بملاحظته «أن المسيحيين في القرن السابع — دون وعي منهم — أصبحوا مثل الوثنيين» لقد سقطت هذه النجوم «**بسبب ارتدادهم إلى خرافات الأغيار**».

ومع ذلك يحرص بوش وجيبون وغيرهما على وصف هؤلاء الساقطين في الوثنية بالنجوم، وأما الموحدون لله تعالى فيصفونهم بالمنحطين Saracens ويرى بوش أنه من الحقائق التي يتجنب المسلمون الإعلان

عنها أن نبيهم كان يستخدم السيف كأداة أساسية لإدخال الناس في الإسلام، وقد شاركه المؤمنون برسالته في كل العصور – غالباً – في هذه الروح القاسية، على أية حال فإن البعض يرى أن المقصود من عبارة «**ملك جافي الوجه**» الوقاحة والبرود الذين يتميز بهما الكذاب ذي الوجه المكشوف والمتسم بالصفاقة وهي صفات اتصف بها محمد وخلفاؤه كما ترى البوشية على امتداد مراحلها.

والحق أننا لا نملك ما نرد به على هذه السفاهات، وليس لدينا القدرة على منافسة آل بوش في القتال بالسيف ولا حتى في سفاهة اللسان، وإن كنا نملك الحجة القاطعة على وحدانية رب العالمين، ولكن ما قيمة حجتنا وقد استولى بوش على العراق بسيف ودم مهراق.

والحق أن تفسير النبوءة على هذه الطريقة غير دقيق، بل ويتجاهل رموزاً أساسية فيها، فلمصلحة من لا يحدد هذا المفسر العملاق العصر الذي عاش فيه دانيال؟ .

إن تحديد الزمن هو العنصر الحاسم في تفسير نبوءة الأنبياء، فمن وقت صدور النبوءة يتم حساب الزمن حسبما تشير إليه، ويزداد الأمر غموضاً إذا تجاهلنا الزمن، والغريب أن دانيال حدد الزمن بصورة واضحة (**إلى ألفين وثلاث مئة صباح فيبرأ القدس**).

ونقرأ في مقدمة سفر دانيال في الطبعة الكاثوليكية السادسة الصادرة عام ١٩٨٨م عن جمعيات الكتاب المقدس في المشرق ببروت فيما يتعلق بزمن كتابة هذا السفر ما يلي: «يظهر الكتاب للقارئ بمظهر كتاب ألفه نبي

معاصر للجلاء إلى بابل، وفي هذه النظرة قرأه العلماء اليهود والتقليد المسيحي القديم، ولكن النقاد الوثنيين رأوا فيه منذ القرن الثالث كتاباً وضع على عهد انطيوخس ابيفانيوس (١٧٥ – ١٦٤م) .

ويحتمل أن تكون النبوءة قد جمعت في هذا الوقت، فالسفر في الطبعة المذكورة يتضمن اثني عشر فصلاً مكتوبة بلغتين مختلفتين:

- من ١/١ إلى ٤/٢ بالعبرية.
- ومن ٤/٢ إلى ٢٨/٧ بالآرامية.
- ومن ١/٨ إلى ١٢/ ١٣ بالعبرية.
- والطبعات البروتستانتية تقل إصحاحين عن الكاثوليكية.

فالنبوءات بما أنها رموز تخضع للاجتهاد في كل عصر، وقد اعتاد الناس أن يصرفوا رموزها إلى أكثر الأشياء ملاءمة لها في عصرهم، ولو أردنا تفسير حلم دانيال بما هو معاش فلن نجد ما يمنعنا من الظن بأن القرن الصغير يشير إلى قيام دولة إسرائيل، بينما الكبير هو بريطانيا التي كانت يوم أن خرج منها هذا القرن قوة عظمى، ولو اعتبرنا الصباح يرمز إلى السنة فإن المدة المقدرة بألفين وثلاثمائة صباح سوف تنتهي تقريباً حوالي سنة ٢٢٣٠ م، وقد يوجد من ينازع في هذا التاريخ تقديماً أو تأخيراً، لكنه في النهاية لن يتعدى الموعد المذكور بأكثر أو بأقل من مائتي سنة، وعلى أساس هذا أو ذاك فالنبوءة بعيدة عن محمد ﷺ وعصره، وهي تخص إسرائيل وليس بمستبعد أن يطهر القدس من رجسهم في القرن الثالث من

الألفية الثالثة حسبما هو محسوب طبقاً لوقت كتابة السفر المذكور.[1]

ودون اعتبار للزمن يرى مترجم الكتاب أن تطبيق النبوءة على محمد ﷺ يمكن أن يكون من وجوه مختلفة تشير إلى معراجه ﷺ ووصوله إلى جند السماء وهم الملائكة، وليسوا أحبار الكنيسة كما يفسر بوش، والغريب أن بوش يذكر نجوم السماء ثم يتحدث عما وقعوا فيه من شرك، وبكل بساطة يصفهم بالكفر والارتداد عن الدين.

ولك أن ترى – دون اعتبار للزمن أيضاً - وجهاً مختلفاً في تفسير المقصود بالنجوم ووظيفتها، فالنجوم – كما هو معلوم - لا تظهر إلا ليلاً، أما وقد طلعت شمس الحقيقة فلا بد لها أن تختفي، لقد ظلت شمس التوحيد ساطعة حتى عام ٣٢٥م، وفي عشية هذا العام احتدم النزاع فأصبح الموحدون كنجوم ساطعة في ليل دامس لفه ضباب الشرك من كافة الجهات، وظل الأمر على هذا الحال ثلاث ليال متصلة، حتى جاء محمد ﷺ ليعلن أن الحق هو ما حاربته وليس ما آمنت به الكنيسة.

نعم. وهذا ما يشرح بوش مقدماته عندما يقر باختفاء رونق الإنجيل، وضياع جوهر المسيحية، فقد «**ساد توقير القديسين والشهداء وبذا ازدهرت العبادة الوثنية ممثلة في عبادة الصور والبقايا الأثرية المقدسة،**

١- لا يوجد ما يدعو إلى بحث هذا النبوءة بالرجوع إلى التفسير المسيحي الشرقي لها، فهي لم تسلم من التحريف، كما أن السطحيين هم من يتسرعون في تأويل النبوءات، فيتعمدون تتريل الرموز الغامضة على واقعهم المختلف. وكلما ازدادت النبوءة قدماً ازدادت تفسيراتها، وكثرت الاختلافات والتعقيدات حولها.

كما ساد توقير العذراء مريم توقيراً عبادياً وساد الاعتقاد في الأعراف وعبادة الصليب، وأصبح كل هذا راسخاً مؤثلاً، وبذا اختفى رونق الإنجيل وقل بهاؤه وعانى من كسوف مظلم وضاع جوهر المسيحية في خضم الطقوس التافهة والخرافية» [انظر صـ ١١٠ من الترجمة].

ولكن ما يؤخذ على هذه التفسيرات أنها تجاهل التاريخ، لذا نعتقد جازمين أن بوش ابتعد عن الصواب، فالتاريخ هو العنصر الحاسم وهو يؤكد أن وقت تحقق النبوءة لم يحن بعد، فإن لم يكن قد مسها تحريف فقد يشهد العالم تفسيراً لها في الألفية الثالثة على نحو ما ذكرنا من أمر إسرائيل إن شاء الله تعالى.

فالنبوءات غالباً ما ترد في صورة رموز لها تأويلات مختلفة من عصر إلى آخر، ورؤيا دانيال تقوم على أربعة قرون، والقرون هنا إشارة رمزية إلى تناطح قوى مختلفة وهو المعنى الغائب في تفسير بوش، وأما النجوم فترمز إلى شيء مختلف وهو العلم، والنجوم بمعناها تغيب بالنهار وبرمزها تغيب عندما ينتشر الجهل ويتسلط أصحاب الشهوات، فلما جاء الإسلام رفع العلم والعلماء، وتوارى رجال اللاهوت خلف جهلهم ولا يزالون حتى الساعة أضعف صوتاً وأقل حجة.

ومما يكذب كل تفسير تجاهل الزمن أن الإمبراطورية الإسلامية قد انكسرت، وسقطت الخلافة وقامت أكثر من مرة، ولكن النبوءة لا تقف عند هذا الحد، فلم يقم بعد سقوط الخلافة إمبراطورية المسيح، قام في الغرب إمبراطوريات لكنها لم تقم على الدين الصحيح فيما يرى بوش،

وقد زالت إمبراطورية الترك وبقي التاريخ لا يستوعب أحداث نبوءات الكتاب المقدس التي تبدو خيالية كلما تأمل الناس الواقع من حولهم، لقد أصبح لهذه النبوءة تفاسير لا يمكن حصرها في عدد معين من التخمينات، ولكني كمسلم لا أحبذ التنافس في وضع التفاسير، ولكني قصدت الإشارة فقط إلى أن ما ذهب إليه بوش هو أبعد الاحتمالات الممكنة.

ولهذا تلاحظ التضارب في تفسيره عندما يصف النجوم بالضلال، وهو بهذا يصف الاسم بما ينافي معناه ! وطبقاً لما يعلنه بوش من أن المراد بالنجوم آباء المسيحية يجوز التصديق بأن مجمع نقية كان هو بداية ليل طويل من الشرك بالله تعالى، وهو أيضاً نهاية نهار مضيء بتوحيد رب العالمين، وعندما حان وقت سطوع شمس التوحيد من جديد اختفت النجوم خلف شمس الحقيقة، وهذا يتطابق مع ما ذكره المسيح من أن ابن الإنسان سوف يأتيهم بعد ثلاثة أيام وثلاث ليال، ففي آخر الليالي الثلاثة المظلمة ظهر محمد ﷺ فاختفت النجوم، ويقول المسيح «**أنا هو نور العالم، من يتبعني لا يمشي في الظلام**» [يو حنا ٨: ١٢] وهؤلاء عندما ابتعدوا عن طريقه عليه السلام مشوا في الظلام، حتى ظهر محمد ﷺ ودعاهم مرة أخرى إلى السير في طريق المسيح عليه السلام قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ (المائدة: ١٥)

وهكذا كان الفرج هو نهاية المعاناة.



٥- كوكب في السماء.

يمكن أن يكون هذا عنواناً لما جاء في الإصحاح التاسع من سفر الرؤيا، فبحسب الترجمة العربية الصادرة عن دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط يقول كاتب السفر:

«ثم بوق الملاك الخامس، فرأيت كوكباً قد سقط من السماء إلى الأرض، وأعطي مفتاح بئر الهاوية، ففتح بئر الهاوية فصعد دخان من البئر كدخان أتون عظيم، فأظلمت الشمس والجو من دخان البئر، ومن الدخان خرج جراد على الأرض، فأعطى سلطاناً، وقيل له أن لا يضر عُشب الأرض، ولا شيئاً أخضر ولا شجرة ما إلا الناس فقط الذين ليس لهم ختم الله على جباههم، وأعطي أن لا يقتلهم بل أن يتعذبوا خمسة أشهر، وعذابه كعذاب عقرب إذا لدغ إنساناً، وفي تلك الأيام سيطلب الناس الموت ولا يجدونه، ويرغبون أن يموتوا فيهرب الموت منهم، وشكل الجراد شِبه خيل مهيأة للحرب، وعلى رؤوسها كأكاليل شبه الذهب، ووجوه كوجوه الناس، وكان لها شعر كشعر النساء، وكانت أسنانها كأسنان الأسود، وكان لها دروع كدروع من حديد، وصوت أجنحتها كصوت مركبات خيل كثيرة تجري إلى قتال، ولها أذناب شبه العقارب، وكانت في أذنابها حمات وسلطانها أن تؤذي الناس خمسة أشهر، ولها ملاك الهاوية ملكاً عليها، اسمه بالعبرانية أبدون وله باليونانية اسم أبوليون، والويل الواحد مضى هو ذا يأتي ويلان أيضاً بعد هذا.

ثم بوق الملاك السادس فسمعت صوتاً واحداً من أربعة قرون مذبح

الذهب الذي أمام الله قائلاً للملاك السادس الذي معه البوق: **«فك الأربعة الملائكة المقيدين عند النهر العظيم الفرات»** فانفك الأربعة الملائكة المعدون للساعة واليوم والشهر والسنة، لكي يقتلوا ثلث الناس، وعدد جيوش الفرسان مئتا ألف ألف وأنا سمعت عددهم، وهكذا رأيت الخيل في الرؤيا والجالسين عليها لهم دروع نارية وأسمانجونية وكبريتية ورؤوس الخيل كرؤوس الأسود، ومن أفواهها يخرج نار ودخان وكبريت، من هذه الثلاثة قُتل ثلث الناس من النار والدخان والكبريت الخارجة من أفواهها، فإن سلطانها هو في أفواهها وفي أذنابها، لأن أذنابها شبه الحيات ولها رؤوس وبها تضر، وأما بقية الناس الذين لم يقتلوا بهذه الضربات فلم يتوبوا عن أعمال أيديهم حتى لا يسجدوا للشيطان وأصنام الذهب والفضة والنحاس والخشب التي لا تستطيع أن تبصر ولا تسمع ولا تمشي»

❁❁❁

هـــذه هي إحدى ترجمات النص الذي ظن بوش أنه نبوءة بمحمد ﷺ وربما كان في عصره من لا زال يعتقد أن يوحنا الرسول هو كاتب سفر الـــرؤيا رغم أن هذا موضع شك من البداية، وفي العصور الأخيرة لم ير الباحـــثون وجهاً واحداً يدعم فكرة أن أحد رسل المسيح هو كاتب هذا الـــسفر، ولا تكاد تجد اليوم عالماً بروتستانتياً يصدق بأن كاتب الأسفار الخمـــسة المنسوبة إلى يوحنا شخص واحد، وحتى منتصف القرن الرابع الميلادي لم تكن كل كتابات يوحنا قد حازت القبول، ويحدثنا يوسابيوس عمـــا قُبل وما لم يُقبل منها في عصره فيخبرنا أن الرسالتين الثانية والثالثة

متنازع عليهما[١].

وقبل يوسابيوس رفض ديونسيوس أسقف الإسكندرية (٢٦٤م) سفر الرؤيا، ونسبه إلى شخص تقي قديس يدعى يوحنا، ولكنه ليس يوحنا الرسول.[٢] وقد ساق ديونسيوس عدداً من حجج الرافضين لهذا السفر في العصور الأولى، وأنقل هنا جانباً مما حكاه يوسابيوس من كلامه بنصه:

فـ «**بعد هذا تحدث ديونيسيوس هكذا عن رؤيا يوحنا: لقد رفض البعض ممن سبقونا السفر وتحاشوه كلية منتقدينه إصحاحاً إصحاحاً، ومدعين بأنه بلا معنى، وعديم البراهين، وقائلين بأن عنوانه مزور، لأنهم يقولون إنه ليس من تصنيف يوحنا، ولا هو رؤيا لأنه يحجبه حجاب كثيف من الغموض، ويؤكدون أنه لم يكتبه أي واحد من الرسل أو القديسين أو أي واحد من رجال الكنيسة، بل إن كيرنثيوس مؤلف الشيعة التي تدعى الكيرنثيون إذ أراد أن يدعم قصته الخيالية نسبها إلى يوحنا**» أ . هـ [٣] .

إن هذا الرأي ليس حديثا كما قلناً، ولكنه يرجع إلى ديونسيوس وإلى أوريجانوس رئيس المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية[٤] وبصرف النظر عن

---

١ - تاريخ الكنيسة يوسابيوس القيصري ترجمة مرقص داود (٣ : ٢٤ فقرة ١٧) مكتبة المحبة.

٢ - المدخل إلى العهد الجديد د/ فهيم عزيز صـ ٦٥٣ دار الثقافة.

٣ - تاريخ الكنيسة ك: ٧ ف ٢٥ .

٤- انظر الفصل السادس من (الإنجيليون الأربعة بين التقليد والنقد الحديث) للمؤلف.

الآراء القديمة والأبحاث الحديثة فإن بوش ظن أن نبوءة السفر عن محمد كاف في الدلالة على صحته كما جاء في صـــ ٤٧٥ من الترجمة. وقد بنى كل آرائه على عبارات يختلط فيها الحقيقة بالمجاز، والغريب أنه يلحظ هذا ويصرح به في صـــ ٤٦٤ من الترجمة: «**إن رؤيا يوحنا كثيراً ما تختلط فيها الصفات الحرفية أو الحقيقية بالصفات المجازية حتى في سياق الفقرة الواحدة**». فما يميز هذا السفر عن غيره هو أنه مائع الدلالة بما يحمله من غموض، وحسب تعبير ديونسيوس «**يحجبه حجاب كثيف من الغموض**» فأنت لا تستطيع أن تفصل الحقيقة عن المجاز، ولا الرمز عن مدلوله، وتبعاً لذلك تختلف التفاسير وتتعدد التخمينات، ومن هذه التخمينات يطرح علينا القس بوش ما صار الآن مستبعداً تماماً، فقد ادعى اتفاق الشارحين في عصره (**النصف الأول من القرن التاسع عشر**) على أن تفسير النفخ في البوق للمرة الخامسة ترمز وتتنبأ بظهور المحتال العربي.

ويكفي بطلان هذه النظرية عدم تعرض بوش لآثار النفخات السابقة ونتائجها، لقد اعتاد كغيره من المستشرقين أن يقتطع من النص على قدر أغراضه. وإذا كان الشارحون في أيامه قد اتفقوا على أن تفسير النفخ في البوق للمرة الخامسة ترمز وتتنبأ بظهور المحتال العربي، فإنه كان يتعين عليهم قبل ذلك أن يفسروا ما تنبأت به النفخات التي يفترض أن تكون قد حدثت في الفترة ما بين يوحنا وظهور محمد ﷺ .

إن تفسير هذه النفخات من شأنه أن يضع النفخة الخامسة في موضعها الصحيح من التاريخ، وقد أدرك بوش أن هذا ربما كلفه تحديد أربعة

محتالين آخرين، ولن يجد من يضعه أولهم سوى كاتب سفر الرؤيا الذي لاحظ بوش في تلقيه الرؤيا في أحد الكهوف إشارة إلى غار حراء حيث اعتاد النبي الاختلاء فيه للتفكير في أمر نظامه ومنه انبثق دينه. [صـــ ٤٦٣ من الترجمة]. ولا أدري ما علاقة هذا بذاك، إلا إذا قلنا إن يوحنا الذي تلقى الرؤيا هو الآخر دجال.

لكن كيف يكون محمد دجالاً والرؤيا ترمز إليه بوصفه نجماً سقط من السماء؟.

هذا السؤال طرحه المعلمون المرتدون عن المسيحية أو عدد منهم، إلا أن بوش وجد المخرج في أن يجعل ما ينطبق على محمد ينطبق هذه المرة على آريوس، «لقد سقط النجم قبل ظهور النبي الزائف ممثلاً في شخص آريوس وغيره من الهراطقة، وكان من نتيجة ارتدادهم أن دبرت العناية الإلهية أن يظهر الإسلام، وتأمل تعبير «**دبرت العناية الإلهية**» فالعناية الإلهية دبرت سطوع نجم محمد إثر سقوط آريوس، والمنطق يؤيد هذا، فما سقط نجم إلا وصعد آخر.

ولكـــن بوش يعكس هذا المنطق عندما ينعت رسولنا الكريم ﷺ بكلمة Impostor وهـــي كلمة ترجمت في النص العربي بـــ «**الدعي**» وربما قـــصد المترجم المدعي أو المحتال، فكلمة «**الدَّعي**» العربية تعني المتهم في نسبه، أو المنسوب إلى غير أبيه[1] وبأي معنى للكلمة فإن الله لا يختار من

---

١ - فترجمة impostor بالدعي تجعل الكلمة مرادفة لكلمة Bastard أي المطعون في نسبه، صـــ ١٨٥ من النص. وهذا ليس دقيقاً.

يكون بهذه الصفات ويرعاه.

وهكذا يمضي بوش مكباً على وجهه في تأليف الحكايات، فإظلام الشمس وتلوث الهواء ما هو إلا تنبؤ بالسيادة غير المنضبطة لقوى الظلام، وفي هذا من السذاجة ما فيه، فلو فسرنا كسوف الشمس بسيادة قوى الظلام فبماذا نفسر الظلام الذي خيم على أورشليم لحظة الفداء، وكيف تظلم الدنيا لحظة قبول ولحظة رفض هذا الفداء؟ .

هذا ليس بأغرب من إصرار بوش على أن صحراء العرب القاحلة هي بلاد الجراد، فغالباً ما تلد الرمال الملتهبة جراداً يلحق خراباً بالمناطق المجاورة، ويبالغ بوش في وصف هذا الجراد حتى يجعله شعاراً وطنياً للإسماعيليين، وعلى هذا الأساس الواهي حكم بأن المقصود بالرمز هم العرب ، ولكن بوش ما لبث أن ساق دليلاً يناقض تفسيره تماماً، والجديد هنا هو إصراره على أن يفهمنا إياه بطريقة لا يعقلها إلا الجاهلون، فتوجيهات أبي بكر لأسامة بن زيد بأن لا يقتلوا إلا المقاتلين أمر غير طبيعي في نظره، «**لقد قُرر مبدأ الرحمة والاعتدال على وفق مصالح النبي محمد، بل إنه نادراً ما كان يسحق عدواً مقهوراً**». فهم بهذا الوصف جراد غير طبيعي. فالمسألة – كما يقول – ليست مجرد جراد وإنما المقصود بشر وهذا هو معنى الرمز، وبما أن هذا الجراد غير طبيعي فإنه لا يأكل أكلاً طبيعياً «**فالجراد الطبيعي لا يأكل إلا الأخضر**» ؟؟ .

ويرى بوش أن الفترة التي تشير إلى سلطان الجراد فيها هي خمسة أشهر، وللنبوءة أسلوبها الخاص في حساب الزمن فاليوم هنا يعني سنة، وعلى هذا

فخمسة أشهر إذا كان الشهر ثلاثين يوماً تعني على وفق حساب الرؤيا مائة وخمسين عاماً، ومن هنا فإن الخمسة أشهر الواردة في النبوءة تشير بالضبط لفترة الفتوح والغزوات الرئيسية التي قام بها الساراسين لتكوين إمبراطوريتهم. [صـ ٤٦٦ من الترجمة].

ونحن نقول له: صحيح للنبوءة أسلوبها الخاص في حساب الزمن، ولكن لماذا تجاهلت الزمن في نبوءة دانيال؟ ولماذا لا يبتدأ احتساب الزمن عقب الرؤيا مباشرة، وخاصة أننا لم نجد ما يدعو إلى تأخيره سوى النفخات الأربعة السابقة التي ربما تكون قد حدثت كلها ليلة الخمسين، فالجراد يرمز إلى الذين عذبوا المسيحيين بعد تلك الليلة، أو بعد كتابة السفر (نهاية القرن الثاني) وحتى صدور مرسوم التسامح الذي أعلنه قسطنطين ٣١١م فهذه ١٥٠ سنة قضاها النصارى في العذاب المهين.

وهكذا يستمر في تطبيق هذه النبوة حتى يصل إلى الفتح العثماني، وإن لم يجد ما ينطبق على الجيش العثماني فإنه يخترع من أحداث التاريخ ما يناسب النبوءة، كأن يفسر الأفاعي بما كان من عادة الترك أن يعقد الواحد منهم عقدة في ذيل حصانه عندما يستعد لشن حرب مما يجعل الذيل شبيهاً بالأفعى، ولكن العقدة لدى بوش ليست في الحصان ولا في ذيله، إنما هي في أن هؤلاء حيثما حلوا نصروا القرآن على الإنجيل، ربما لا نكون في حاجة لإبطال مثل هذا التفسير في كل جزئياته، فبدلاً من العودة الجماعية إلى المسيحية كما ظن بوش لا زال المسلمون متمسكين بدينهم، والنصارى بدنياهم.



٦- اتهام المسلمين بعدم فهم نبوءات الكتاب المقدس!

وعلى هذه السفسطة يمضي القس بوش فيردد ما جاء في سفر التثنية الإصحاح الثالث والثلاثين واصفاً فهم المسلمين له بأنه فهم أعرج، لأنهم لم يعرفوا موقع فاران الواردة في النص: «**جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم..**» .

يقول المفسرون المسلمون عن هذه الكلمات إنها تعني:

- تسليم موسى الشريعة على جبل سيناء.
- وتسليم عيسى الإنجيل في القدس.
- ونزول القرآن على محمد في مكة.

ثم يعقب بوش على هذا الفهم بسخرية قائلاً: «لكن سيظهر أن علمهم الجغرافي أعرج كعلمهم الديني، فسعير تبعد عن القدس مائة ميل، وفاران تبعد عن مكة خمسمائة ميل، ولا نحتاج لدحض أقاويل أخرى من هذا النوع» [صـ ٤١٦ من الترجمة].

❁❁❁

ينتقل بوش من الجدل الديني إلى الجدل في الجغرافيا، مبلغه من العلم خريطة رسمتها الكنيسة بعد بعثة محمد ﷺ تضع فاران بجوار خليج العقبة داخل شبه جزيرة سيناء، فإذا ما قالت النبوءة «**وتلألأ من جبل فاران**» قال بوش: ها هي برية فاران، ولست في حاجة لتعرف أن محمداً ﷺ لم يخرج من تلك الـ «**فاران**»، وبالتالي فالحديث لا يتعلق به ﷺ!

ومواصلة لهذا التضليل قد لا تجد اسم سيناء في بعض الخرائط الملحقة بالكتاب المقدس[1] فسيناء التي هي مدخل مصر من جهة الشمال الشرقي، والتي تفصل إفريقيا عن أسيا، يظهر فوق رسمها عدد من البراري، من بينها برية فاران التي تبدو في بعض الخرائط منطقة صغيرة بالقرب من ميناء نويبع الحالي، وفي شمالها تقع برية شور، وقريباً منها برية صين، وهناك برية بنفس الاسم تقريباً «**برية سين**» تقع في الجهة المقابلة في الجنوب.

وأما مديان فتظهر في الجهة المقابلة لخليج العقبة داخل الصحراء العربية بين الأردن والسعودية، ولو أردت تفسير النبوءة طبقاً لهذه الخرائط تصاب بالإرباك، ولو اكتفيت بالخرائط وحدها تضطر للقول بأن البشارة لا تتعلق بجزيرة العرب وهو ما قصد واضعو تلك الخرائط أن يقولوه.

وإضافة إلى ذلك تظهر أشكال واضحة من التزوير لا تستند إلى أية آثار أو حفريات، وحسبك منها أن سيناء ترد باسمين مختلفين في عدد واحد من أعداد الكتاب المقدس، وهذا ما قبله بوش وارتضاه، وعلى أساسه فسر النص المقدس، وعلى هذا التفسير القائم على تزوير الجغرافيا حكم بعدم معرفة المسلمين لبلادهم التي يعيشون فيها منذ آلاف السنين.

ونحن لا نقول إن فاران هي مكة إدعاءً، وإنما استناداً إلى الكتاب المقدس وإلى ما كتبه مؤلفون مسيحيون وغير مسيحيين قبل الإسلام، حين كانوا يصفون الواقع، ولم يكونوا يتخيلون أوهام الماضي، يدفعهم إلى التمعن

---

١ - كما في الخريطة الملحقة بطبعة دار الكتاب المقدس بمصر ٢٠٠٣م

فيها تغلل الحقد في صدورهم، ويتأكد للدارس للتوراة ولما كتبه العلماء قبل الإسلام وجود تحريف متعمد في الخرائط التوضيحية التي ترفقها الآن الكنيسة بطبعات الكتاب المقدس، إننا نختلف عن النصارى في أننا لا نعترف بتلك الخرائط. في حين يمكننا أن نقبل النقاش حول أي نص في الكتاب المقدس.

على أن التغيير الحاصل في موقع فاران وإن كان كذلك إلا أنه جعل من السهل عليهم استناداً إلى تلك الخرائط إنكار ما أجمعوا عليه قبل الإسلام، فقد أجمعوا على أن نص سفر التثنية هو نبوءة بخروج نبي من بلاد فاران بعد أن خرج موسى من سيناء، وعيسى من سعير، وكان العرب قبل الإسلام يعجبون لقولهم حتى أقسموا جهد أيمانهم على أتباعه حالما يبعث.

ولكن أهل الإنجيل عادوا فحرفوا الجغرافيا التي نعيش عليها، وتأولوا محكم كتابهم المقدس، ونحن في سبيل دحض كل هذا لا نحتاج أكثر من الرجوع إلى ما كتبوه قبل محمد ﷺ، ولن أذهب بك بعيداً للعثور على شيء من ذلك، بل سوف نحصل على غرضنا مما نقله جورج بوش نفسه، فدائماً عنده - بحمد الله تعالى - الفكرة ونقيضها، ولو كان من الذين يفهمون ما ألف ولا كتب، فهذا العلامة بوش بعد أن أنهى تهكمه على المسلمين وعلمهم المتواضع شرع يهدم ما حسب نفسه قد بناه، وقد شجعه على ذلك أن مستشرقي أمريكا في عصره لم يكونوا أكثر منه علماً، كما أنه لم يكن أقل جهلاً من آباء الكنيسة الذين تورطوا في تحريف موقع فاران، والفرق هو أن الآباء لما عجزوا عن تغيير المؤلفات

القديمة تجاهلوها، ولكن بوش أخرج منها بعد ذلك ما يدلل به على تحريفهم، وبالطبع ما كان قصده ذلك، ولكنه بجهل غير متواضع حدد موقع فاران بأنها تبعد عن مكة خمسمائة ميلاً، ثم عاد بحديثه ديار الإسماعيليين يبطل ما دافع عنه النصارى أجمعون، لقد أقام الباطل إدعاءً ولكنه بجهالة هدم ما أقامه مستشهداً بجيروم ويوسيفوس.

ولم يكتف بهذا بل انطلق يتهكم بجرأة على المسلمين وعلمهم الأعرج دون أن يشير إلى أصحاب العلم غير الأعرج الذين استند إليهم في تقدير المسافة بين فاران ومكة، وفي أي زمن وقع هذا التقدير؟.

وفيما يتعلق باسم مكة يبدو من إشارة القرآن الكريم أنها كانت أول القرى في التاريخ، وأن اسمها عند وضع البيت الحرام كان بكة، وبكثرة الاستعمال تغير إلى مكة.

غير أن الاسم القديم «**بكة**» ظل يستخدمه العبرانيون حتى عصر داود ﷺ، ففي المزمور الرابع والثمانين بشارة بحجاج بيت الله الحرام من أمة محمد ﷺ تقول: «**طوبى لأناس عزهم بك يعبرون وادي البكاء يصيرونه ينبوعاً**».

ووادي البكاء هو نفسه وادي بكة، وهو واد وصفه إبراهيم ﷺ بأنه غير ذي زرع، وتنعته الترجمة العربية المشتركة للمزمور بوادي الجفاف، وإنما حرفوا كلمة «**بكة**» حتى أوصلوها إلى «**النحيب**» ولم تقبل ترجمة الملك جيمس هذا التحريف، فأبقت على الاسم كما هو دون تغيير «**Baca**» والكلمات التي تعني «**بكاء**» أو «**نحيب**» في هذه الترجمة الإنجليزية تأخذ

كلمة أخرى هي:weeping وعلى سبيل المثال لا الحصر انظر أيوب ١٦ / ١٦ .

ويبدو من خلال الكتاب المقدس أن إطلاق فاران على شبه الجزيرة العربية كلها بما فيها مكة كان شائعاً وخاصة لدى الأمم المجاورة في الفترة المبكرة من تاريخ بني إسرائيل، فقد ذكرت التوراة أن إسماعيل سكن منطقة فاران. وورد هذا الاسم في سفر التثنية (١٤ : ٦، ٢١ / ٢١) .

كما ورد في سفر العدد ١٠ : ١٢ – ١٦، أن بني إسرائيل ارتحلوا من برية سيناء فحلت السحابة في برية فاران، ولا يعني هذا أن فاران هي نفسها سيناء، ولا يلزم بالضرورة أن تكون جزءاً منها. وإلا فالكاتب يذكر المكان الواحد باسمين مختلفين في نفس الجملة.

وكذلك ما جاء في سفر العدد ١٣ / ٣ أن موسى أرسلهم من برية فاران فلو أرسلهم من سيناء لما احتاج الأمر إلى تخصيص ، لأن سيناء كانت بالأساس منطقة استقرارهم، فالتخصيص هنا له دلالة قد لا تظهر فيما جاء في صموئيل الأول ٢٥/١ من أن داود نزل إلى برية فاران ، حيث إن مملكة داود كانت في فلسطين ونزوله إلى الجنوب إن اتجه قليلاً إلى اليسار نزل فاران، وإن لزم اليمين دخل سيناء.

وفي الملوك الأول ١١ / ١٨ **(وقاموا من مديان وأتوا إلى فاران، وأخذوا معهم رجالاً من فاران وأتوا إلى مصر)** إشارات يبدو منها أن فاران كانت معروفة على نحو جيد وصحيح لبني إسرائيل، وأنها مثل مديان قد تكون في الجهة الشرقية للبحر الأحمر.

ومـــن جهـــة أخرى لا يبدو من سفر التثنية أية إشارة إلى أن إقامة بني إسماعـــيل في مـــنطقة سيناء، ولا يوجد أي أثر لهم في هذه المنطقة، بينما ظهـــرت أسماؤهم في المنطقة ما بين الفرات والبحر الأحمر. وهي المنطقة المعـــروفة كما تؤكد المراجع القديمة بـــ «**برية فاران**» وفيما بعد أطلق عليها أرض النبط نسبة إلى نبايوت بكر إسماعيل.

أو أرض قيدار[1] وهو الابن الثاني لإسماعيل، وجد النبي عليه السلام.

أو أرض تيماء[2] وهو اسم الابن التاسع لإسماعيل عليه السلام .

أو بـــلاد العرب حين تحدث إشعياء في الإصحاح الحادي والعشرين عن وحي يظهر من جهة بلاد العرب.

والواضح من كل هذا أن فاران كانت تضم كافة القبائل التي سجلها الأدب العربي، ومنها قبيلة قريش التي سكنت مكة، والتي بعث النبي ﷺ منها، فتحققت ببعثته النبوءة التي أجمع عليها أهل الكتاب من قبل، ولكنهم لما أصروا على تكذيبه لم يبق أمامهم نظراً لشهرة النبوءة سوى تحريف موقع فاران، وحسبك في الدلالة على هذا التزوير ما كتبه بوش، وإنما كتب هذا لأنه لا يعرف عنوان القضية التي يدافع عنها، فبدأ بجهله يهدم ما بناه آباء الكنيسة من تزوير على مدى قرون، ويبدو أنه لم يحظ بكونه مبشراً ولا حتى مستشرقاً ناجحاً، فقد قال بقول الكنيسة في نفي

١- كما في مزمور ١٢٠ / ٥ وأنشيد سليمان ١/ ٥ وإشعياء ٢١ / ١٦ ، ١٧ والإصحاح ٤٢ / ١١ والإصحاح ٦٠ / ٧ وإرميا ٢ / ١٠وحزقيال ٢٧ / ٢١

٢- حبقوق ٣ / ٣ أيوب ٦ / ١٩ وإشعياء ٢١ / ٣ .

أن تكون النبوءة تخص محمداً، ثم نقل من المراجع القديمة ما يظهر أن هذا الرأي يعتمد على التحريف، فبوش بهذا كالدبة التي راحت تخلص صحابها من ذبابة فقتلته، والمسيحي الذي لا يعرف بوش قد يسيء الظن في إخلاصه للمسيحية. ولكن المشكلة لا تكمن في نيته بل في جهله، فتأمله وهو يبرهن بلا قصد على بطلان تمسك المسلمين بنبوءة فاران، متهكماً عليهم لأنهم لا يعرفون أن فاران تبعد عن مكة خمسمائة ميل.

لقد راح البطل يدلل على أن فاران تمتد من الفرات إلى البحر الأحمر، وراح يقيس المسافة بين الدار والساكنين فيها، وفي سبيل ذلك رأى أنه من المتفق عليه أن العرب ينحدرون من نسل إسماعيل ﷺ، وهذا إجماع لا يشكك فيه بوش، بل يدعمه بنقله معلومات عن جيروم ويوسيفوس تخلى عنها شعب القديسين منذ ظهور الإسلام، ويبدو أن دراسته للكتاب المقدس كانت مجرد هواية، فاتخذ مذهب رجال اللاهوت في النبوءة، ثم أتى بما يناقضه من قول السابقين على الإسلام، فأقام الباطل ثم هدمه قبل أن يبرح مكانه. وهكذا مضى يقول: «**وعلى هذا فمن الواضح أن نسبة العرب إلى إسماعيل بن إبراهيم في الفترة التي كتب فيها كانت تاريخية مؤكدة وليست مجرد مرويات.**

هذا الشاهد المباشر على أصل العرب الإسماعيلي الذي أكده أقدم سفر من أسفار العهدين وأكدته - كما رأينا (والكلام لبوش) مصادر أجنبية - يتفق بشكل مدهش مع تأكيد الأنبياء بعد ذلك، وما أكده الكتاب الملهمون، ومن خلال المسيرة الطويلة لتاريخ الكتابات الدينية

والنبوات نلتقي مراراً بإشارات إلى قبائل تعيش في بلاد العرب، منحدرة من إسماعيل حاملة أسماء أبنائه وأبرزهم نبايوت وقيدار».

وهكذا اعتبر أن الإخبار بمكان سكن أولاد إسماعيل هو برهان صدق أنبياء العهد القديم، و لم يعرف أن تحديه للمسلمين بهذا الأمر يدعم علمهم الأعرج، وليس تحديد موقع فاران برهان إعجاز كتاب مقدس أو غير مقدس، وإنما هو برهان جهل المؤمنين بهذا الكتاب، فربما ذهب الجاهل يدافع عن قضية فخسر كل قضاياه، والأدلة التي يسوقها بوش ليست على إعجاز كتابه وإنما على أنه لا فرق بين الكتاب المقدس وبين ما كتبه يوسيفوس وجيروم، ثم هي مع ذلك تحمل نبرة التعالي والغرور، يقول بوش: «بالإضافة إلى هذا الكم من البراهين المستقاه من الكتاب المقدس المسيحي على انحدار العرب من إسماعيل، فإننا نضيف هنا مقارنة معترفاً بها تبين التشابه بين طبيعة العرب في كل العصور وطبيعة جدهم الأعلى إسماعيل، **«سيكون إنساناً وحشياً، يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه» تكوين ١٦ : ٧ – ١٦ والحقيقة أن الأصل الإسماعيلي للعرب ظل دائماً تراثاً لا يتغير لهذه الأمة نفسها. [صـ ١٢٨ وما قبلها من الترجمة].**

وفي صـ ١٢٤ من الترجمة العربية راح القديس بوش يتحدث عن نسل إسماعيل، محدداً مسكنهم، والميزة هنا أن بوش لا يعتمد على علم المسلمين الأعرج، وإنما على التوراة المقدسة فيقول: «وفي القسم الثاني من أقوال موسى نجد الإنجاز الأولي لهذه النبوءة فيما يتعلق بنسل

إسماعيل .. وبعد أن ذكر أسماء أولاد إسماعيل حسب ترتيب التوراة راح يحدد مقار إقامتهم أو توزيعهم الجغرافي، هكذا حسب التوراة: « وسكنوا من حَوِيلَةَ إلى شور التي أمام مصر حينما تجيء نحو أشور، أمام جميع اخوته نزل»[1]

فهذا نص مقدس في سفر التكوين (٢٥ : ١٨) وقد علق عليه بوش بما يأتي:

«وحويله وآشور باتفاق أفضل جغرافي الكتاب المقدس تكوِّن جزءاً من المنطقة الواقعة بين الفرات والبحر الأحمر ويطلق عليها اسم شبه الجزيرة العربية أو بلاد العرب».

وعلى هذا التحديد الدقيق من أفضل جغرافي الكتاب المقدس لمكان سكنى إسماعيل وأولاده يستشهد بوش بعدد من الكتاب السابقين على الإسلام، فينقل رأي يوسيفوس (القرن الأول الميلادي) كما يلي:

«ويؤكد ما قلناه تأكيداً مباشراً ما ذكره يوسيفوس، الذي عاش قريباً من المنطقة وكان لديه أفضل الفرص للحصول على المعلومات الصحيحة عن العرب، فبعد أن ذكر أسماء أولاد إسماعيل الاثني عشر أضاف قائلاً: وهم يسكنون كل المنطقة الممتدة من نهر الفرات إلى البحر الأحمر، وهم يطلقون عليها اسم بلاد النبط، هذا هو الاسم الذي أطلق على جنس العرب جميعاً بمختلف قبائلهم» .

١- النص الإنجليزي: التي أمام مصر وأنت متجه إلى آشور.

لا شك أنك تتفق معي على أن ما بين الفرات والبحر الأحمر لن يكون فاران الموجودة على الخرائط الملحقة بالكتاب المقدس، ففاران حسب سفر التكوين (٢١/ ٢١) محصورة بين نهر الفرات والبحر الأحمر، وبالتأكيد ليست بين خليجي العقبة والسويس كما وضعتها الكنيسة. والتي وضعت أيضاً برية شور في الشمال ليكتمل الشكل العام للتضليل. و لم يخطر ببال من يعتمدون هذا التزوير أن كتابات الأقدمين كيوسيفوس وغيره ممن تحدثوا عن شور أو أشور التي عند الفرات يمكن أن تبقى مئات السنين، وأن يطلع عليها من يعرف ومن لا يعرف القصة، فكان بوش، وقدر الله أن يرى العالم العربي جهالة آل بوش في العالمين.

ومن آراء العلماء قبل الإسلام الذي يستشهد بهم القس بوش القديس جيروم (القرن الرابع) فقد تحدث في تعليقه الشارح على سفر ارميا واصفاً قيدار بأنها منطقة الصحراء العربية التي يسكنها الإسماعيليون والذين أطلق عليهم في ذلك الوقت الساراسين.

ويتحدث الأب نفسه **(يعني جيروم)** في شرحه لسفر إشعياء مرة أخرى عن قيدار بوصفها منطقة الساراسين الذين يقال لهم في العهد القديم الإسماعيليين أو أبناء إسماعيل، ولاحظ أن نبايوت الذي كان واحداً من أبناء إسماعيل قد أطلق اسمه على صحراء بلاد العرب، يقصد أن اسمها أصبح بلاد النبط. (انظر صـ ١٢٦ ، ١٢٧ من الترجمة) .

والآن وقد عرفت كل هذه التفاصيل والأدلة عن مكان إقامة إسماعيل وذريته، وعلمت أن على هذا إجماع العرب والعجم قبل الإسلام، تأمل

التوراة وهي تلتقي مع هذا الإجماع، إنها لا تربط إسماعيل بسيناء بتاتاً، وإنما تتفق مع أفضل جغرافي الكتاب المقدس الذي اعتبروا فاران التي سكنها إسماعيل وبنوه جزءاً من المنطقة الواقعة بين الفرات والبحر الأحمر ويطلق عليها اسم شبه الجزيرة العربية أو بلاد العرب. إن تلك المنطقة هي نفسها المنطقة التي تسميها التوراة (**فاران**) وهي نفسها التي سكنها إسماعيل وبنوه، فقد جاء في سفر التكوين ٢١ / ٢١ عن إسماعيل عليه السلام أنه «**سكن في برية فاران**» أي أنه سكنوا من حويلة إلى أشور التي عند الفرات، فأصبح أمام اخوته بني إسرائيل الذي سكنوا فلسطين ومصر وسيناء.

وقد تواتر إجماع قبائل العرب ومن حولهم العجم قبل الإسلام على ذلك، وجاءت التوراة تسجل ذلك كواقع وليس كمعجزة غيبية كما أراد بوش أن يوظفها للبرهنة على صحة كتابه المقدس، وإلا فما الفرق بين كلام التوراة وكلام يوسيفوس في هذا الشأن، فلم يكن أحد يجهل أن بني إسماعيل سكنوا برية فاران، ولم يكن أحد يجهل موقع فاران، فكانوا يعرفونها أكثر مما يعرف مزارع أمريكي بسيط الطريق إلى مزرعته، ولهذا لم يقل أحد منهم إن بني إسماعيل سكنوا سيناء أو ارتحلوا منها أو إليها، ولم يشر أحد قبل الإسلام إلى أن فاران يمكن أن تكون في حضن خليج العقبة داخل سيناء. ولو قلنا إن إسماعيل سكن سيناء فلماذا لم يلتق بنو إسرائيل وهم يلوصون أثناء فترة التيه بأبناء عمومتهم هناك؟ وأين نجد إشارة إليهم في هذا المكان في كل صفحات الكتاب المقدس؟.

ومما هو واضح من نص التوراة «**أمام جميع اخوته نزل**» أن إسماعيل لم يسكن نفس المنطقة التي سكنها إسحاق ويعقوب، بل نزل أمامهما في المنطقة من الفرات إلى البحر الأحمر.

وهكذا ساق القس بوش هذه الدلائل التي تهدم ما بناه وهو يحسب أنه يخدم الدين، فلا يُعْرَف من تاريخ بني إسماعيل أنهم هاجروا إلى سيناء ولا منها، بل المروي عنهم بكل تفاصيله يربط إقامتهم ببيت الله الحرام، ولهذا لم يجد بوش مفراً من «**إرجاع أصل الكعبة لصفات خاصة في شخصية بني إسماعيل**» [صـ ٥٣٢ من الترجمة].

والقرآن الكريم ذكر قصة رفع قواعد البيت الحرام على يد إبراهيم وبمعونة ابنه إسماعيل عليهما السلام، والقرآن معجزة لا ينكرها إلا الجاهلون، وقد قدمنا إليك دليلاً على جهل أهل الإنجيل مدعماً بشهادة يوسيفوس قبل بعثة النبي بخمسة قرون، وجيروم قبلها بقرنين، وكونهما قبل الإسلام لا يدع مجالاً للخلاف على أن بعث النبي الذي بشر سفر التثنية بخروجه من فاران سوف يكون من المنطقة الواقعة بين الفرات والبحر الأحمر، والتي يطلق عليها اسم شبه الجزيرة العربية أو بلاد العرب، والتي هي في التوراة اسمها فاران.

لم يكن كل من يوسيفوس ولا جيروم يقصد بهذا التحديد شيئاً في نفسه، ولكن انظر!

❖ **ماذا جرى بعد أن بعث النبي ﷺ؟.**

غير محترفو التحريف أسماء البلاد بغباء مفضوح، بل ورسموا خرائط ألحقوها بالكتاب المقدس ليضللوا عباد الله كافة، فأصبحت هذه الخرائط مقدسة ككلمات الكتاب نفسها، و لم يكن علمهم في الجغرافيا إلا مبتور الساقين يخالف إجماع العرب والعجم، وقد حاولنا الكشف عن هذا التزوير قدر جهدنا، ولكن علينا في النهاية أن نشكر علم القس بوش، فقد أراحنا من عناء البحث عن مخطوطات أو أية نقوش أثرية تؤيد ما نود إثباته.

والخلاصة التي نخرج بها من هذا العرض التفصيلي أن التوراة نصت على أن إسماعيل ﷺ «**سكن في برية فاران**» تكوين ٢١ / ٢١ .

ثم حدد الإصحاح ٢٥ : ١٨ فاران بأنها: «**من حَوِيلَةَ إلى شور التي أمام مصر حينما تجيء نحو أشور**» «**وحويله وآشور باتفاق أفضل جغرافي الكتاب المقدس تكوِّن جزءاً من المنطقة الواقعة بين الفرات والبحر الأحمر ويطلق عليها اسم شبه الجزيرة العربية أو بلاد العرب**».

فينتج من هذا أن فاران هي بلاد العرب، وليست التي ترسمها الكنيسة داخل سيناء، والخرائط التي تلحقها الكنيسة بالكتاب المقدس إنما هي لغرض تضليل عباد الله، وأظنك بعد الآن لم تعد في حاجة لمعرفة كيف تفسر نبوءة «**جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم..**».

فالبشارة تشير إلى رسالة موسى ﷺ التي انطلقت من سيناء، ثم رسالة

عيسى عليه السلام من سعير، ثم تتحدث بوضوح عن الشريعة التي جاء بها محمد عليه السلام فجمعت بين القبلتين، ووحدت بين أبناء إسحاق وأبناء إسماعيل، وأعادتهم جميعاً إلى ملة إبراهيم حنيفاً، وجعلتهم أمة واحدة، عابدين رباً واحداً، إله الناس، ملك الناس.

ولكن بوش أوتي من الجرأة والجهالة ما جعله ينقل بلداً بشهرة فاران بعيداً عن موقعه الكائن فيه منذ فجر التاريخ خمسمائة ميلاً، وعند هذا الحد لم يجد نفسه في حاجة لدحض أقاويل أخرى من هذا النوع، لأن تغييره للجغرافيا الراسخة قد أغناه عن كل تأويل بعد ذلك.

❁❁❁

٧- اتهام المسلمين بأنهم وضعوا مبشرات للدلالة على نبيهم

يتهم القس بوش في صـــ ١٤٢، ١٤٣ من الترجمة المسلمين بأنهم وضعوا سلسلة من المبشرات الخرافية الدالة على عظمة الرسول ﷺ مستقبلاً، ومن ذلك لقاء النبي ببحيرا الراهب في بصرى، وإمساك الراهب بيد النبي قائلاً: «**سيكون لهذا الغلام شأن، فقد كانت هناك سحابة تظله وهو يقترب**».

لقد بدأت حركات الرهبنة في الظهور عقب مجمع نقيه ٣٢٥ م وسرعان ما تأثرت بقرارات هذا المجمع، فقام النظام البندكتي الذي أسسه بنديكتوس في جبل كاسينو قبل لقاء النبي ببحيرا بنحو خمسين سنة وبالتحديد سنة ٥٢٩ م[١] هذه الأديرة البنديكتية عرف عنها الجهل والجمود في الدفاع عن ألوهية المسيح وصلبه، فأنصارها كانوا بالضرورة مشاركين لمنافسيهم الوثنيين في الثقافة، ولم يكونوا في الحقيقة سوى تلاميذ لليونان في المسائل اللاهوتية.

هؤلاء الرهبان كانوا يشكلون الأكثرية الساحقة عند بعثة النبي ﷺ وهم بالمناسبة لا يتصلون بالمسيح بحال من الأحوال، ذلك أن كلام المسيح كان الآرامية وكتابات هؤلاء الرهبان بما فيها من أناجيل ورسائل وتقاليد شفوية وكتابية لم تعرف إلا باليونانية، فالمسيح غريب عن حياة هؤلاء الرهبان لغوياً وفكرياً وجنسية، ومع ذلك كشف لنا القرآن الكريم عن

---

١ - المستشرقون نجيب العقيقي جـــ٣ صـــ ١٠٤٤ ط/ دار المعارف.

حالهم، وقدم معلومات دقيقة انتهت إلى نعتهم بالفسق.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحديد].

ومن هذه الآية نعلم أن الرهبان لم يكونوا جميعاً على عقيدة واحدة، وهذا ما يؤيده تعدد نظم الرهبنة واختلاف مناهجها ومذاهبها إجمالاً، ولهذا يقسمهم القرآن الكريم إلى حزبين، ونعتقد أن البندكت هم المشار إليهم بقوله: ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ .

وأما النوع الآخر من الرهبان والذي تتجاهله المراجع المسيحية فهم الذين عاشوا في فلسطين وبعض صوامع منعزلة متاخمة لجزيرة العرب. هؤلاء كانوا قريبي الصلة بديانة المسيح الآرامية وغير خاضعين للنظام البندكتي الصارم، وهم الذين يشير إليهم القرآن الكريم بقوله: ﴿ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ ﴾ .

ومع قرب هؤلاء من العرب إلا أنه نادراً ما كان التجار العرب يحتكون بهم في رحلاتهم التجارية إلى الشام، هؤلاء الرهبان كانوا على بساطتهم المعرفية لا يزيدون عن الحُمْس الحنفاء في جزيرة العرب إلا بالإيمان بعيسى

عليه السلام، ومعرفة دقيقة لدى بعضهم بصفات محمد ﷺ التي اعتادوا أن يتلقوا تفاصيلها عن آبائهم، وهذا أصبحت البشارات قبيل بعثته ﷺ على نوعين[١].

– بشارات لم يمسسها تحريف، ومنها تلك التي احتفظ بها هؤلاء الآراميون، وتوارثوها كابر عن كابر، ومن ذلك معرفة بحيرا بخاتم النبوة وقوله للركب من قريش: «**إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يمر بشجرة ولا حجر إلا خر ساجداً، ولا يسجدان إلا لنبي. وإني أعرفه، خاتم النبوة في أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة**» [٢].

فهذه تفاصيل ليست في الأناجيل التي تتمسك بها الكنيسة الآن. ولهذا فلا مشكلة في أن نجد من النصارى من ينفيها، وحتى من المسلمين من يجادل فيها، وقد يطول الجدال مع ان إثباتها أو نفيها لا يترتب عليه شيء، فمحمد ﷺ يحمل دلائل نبوته في هذا الكتاب الذي لا يزال يتحدى الإنس والجن حتى اليوم، فصحة نبوته لا تتوقف على مثل هذه الأمور غير الحاسمة ، بل إنها ثابتة بمعجزة القرآن الكريم .

– وهناك بشارات تمسكت بها الرهبانية الرسمية الممثلة في النظام البندكتي

---

١ – هناك نبوءات كثيرة في الأناجيل ويمكن ملاحظتها إجمالاً في الحديث عن ملكوت الله في الأناجيل الثلاثة الأولى، ثم الحديث عن المعزي في يوحنا، وسوف نختار من الأناجيل ما نظن أنه يحدد زمن بعثة محمد ﷺ .

٢ – دلائل النبوة لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي صـ٢٥ دار الكتب العلمية بيروت.

لا ندري عنها سوى بقايا محرفة، أو نصوص مفسرة على غير وجهها، ونضع أيدينا الآن على واحدة منها تتعلق بتحديد زمن بعثته ﷺ إنها بشارة موجودة في الأناجيل القانونية مما يجعلنا نستبعد أن يكون المسلمون هم الذين وضعوها، وتطبيق هذه النبوءات على محمد ﷺ واضح بخلاف هذا الوجه الذي اختاره كاتب هذا الإنجيل أو ذاك، فبقاء يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، لا تتفق زمنياً مع مدة بقاء يسوع في القبر بحال من الأحوال. كما أن بقاء يونان حياً في بطن الحوت لا يتوافق مع بقاء المسيح ميْتاً في بطن الأرض، فما هو التفسير الصحيح لهذه النبوءة؟.

لقد حاول المسيح أن يشرح لليهود الذين رفضوا الإيمان بما جاء به أنهم لو أرادوا هدم دينه فلن يتم لهم ذلك في التو واللحظة، لأن لهذا أجلاً سوف يتمه الله، فلن يتحقق لليهود كيدهم وحقدهم في عصره، وما يطلبونه من آية مختلفة لا بد أن يسبقه حوادث تتمثل في هدم الهيكل وما يرمز إليه من دين، والغريب أن القس بوش اعترف بهدم الدين وتحريفه قبيل بعثة النبي ﷺ لكنه بدلاً من أن يقول إن محمداً قد جاء ليصحح هذا التحريف إذ به يظن أنه أرسل عقاباً للمنحرفين، ولو كان كذلك لما جاء بشريعة، ولكان مثال تيطس الروماني أو بختنصر البابلي، ولكنه جاء بكتاب معجز يصحح ما حرفوه، ويخبر بما جهلوه، وحاشا لله أن يرسل رسولاً يعتني به ويرعاه — حسبما أقر بوش في صـــ ٣٥٣ من الترجمة — ليضلهم عن الثالوث لو كان الله هو الثالوث.

والأيام في البشارة تفسر - كما اعتاد الناس - بمعناها الرمزي، لكن

الأناجيل فسرتها بمعناها الحقيقي، والمعتاد أنها هو ما جرى عليه بوش في تفسير نبوءة دانيال من أن الأيام إذا كانت قليلة فإنها ترمز إلى قرون بعددها، وإذا كانت كثيرة فإنها ترمز إلى سنين بعددها، وفكرة الأيام الثلاثة الواردة في نبوءة يونان لا تؤخذ على حقيقتها، كما أن بقاء المسيح في القبر لم يستغرق ثلاثة أيام كاملة، ومع ذلك تمسك البنديكتيون بغير المعقول، فلم ينتظروا بعث النبي ﷺ ولم يستفتحوا به على الذين كفروا. ويبدو أن بحيرا كان يتحسر على حالهم بعد أن ضحوا بنعمتي العقل والنص، وكان يقلب نظره وينادي في صحراء ممتدة لا يسمعه فيها أحد من العالمين:

يا خالق السموات والأرض .. كيف تنزل إلى أرضنا وتصلب؟.

من يصدق أنك وأنت المطلق تجسدت في المحدود؟ .

لقد بدأ بحيرا يتحرق شوقاً لرؤية صاحب الملكوت وقد أحس بقرب زمانه.

صاحب الملكوت الذي يمثل القلب والجوهر في الأناجيل، لكنه لا يمثل شيئاً في فكر بولس !

صاحب الملكوت الذي يمثل القلب والجوهر في عقل بحيرا. لكنه لا يمثل شيئاً لدى أتباع بنديكت !

يقلب بحيرا وجهه في فضاء لا نهاية له، وفجأة يرى غمامة لا تبرح مكانها.

❖ **ما هذا الأمر العجيب؟.**

إن الغمام يمر – كما عودنا – مر السحاب.

فما حبسك أيتها الغمامة وجعلك لا تمرين؟.

على الفور يفكر بحيرا – على غير عادته – في استضافة الركب العابر إلى ساحة صومعته، ويقبل الركب يقدمه أبو طالب، وتستقر الغمامة، فلا هي بالتي تمطل ماءً ولا هي بالتي تمضي فتسمح لأشعة الشمس أن تصل إلى رحل القوم.

هنا يتيقن بحيرا أن الله قد قدر له أن يرى اليوم عجباً !

يتذكر بحيرا في ذهول ما قاله المسيح يوم أن عانده اليهود، طالبين منه أية بعد أن ملوا المعجزات الحسية، يومها أجابهم «**وقال: انقضوا هذا الهيكل، وفي ثلاثة أيام أُقيمه. فقال اليهود في ست وأربعين سنة بنى هذا الهيكل، أفأنت في ثلاثة أيام تقيمه**» [يو ٢ / ١٩ –٢٠].

ينظر بحيرا: هل أوشكت الأيام الثلاثة على الانتهاء؟.

يتذكر بحيرا الهيكل الذي دمره تيطس، والدين الذي حرفه بولس، والتحريف الذي اعتمده مجمع نقيه لتنتهي الأيام المضيئة، ولتبدأ ليال يخيم عليها ظلام الإشراك بالله تعالى، كم بقي لتشرق شمس التوحيد من جديد؟

لم يعد ثمة مكان إلا ويعبد فيه الثالوث !.

هذه براري لا حدود لها، ولا مؤنس فيها للموحدين الفارين بدينهم.

فهل ستقام عبادة رب عيسى مرة أخرى في هيكل أورشليم؟ .

نعم. وسوف يصلى محمد بالأنبياء في أورشليم لله رب العالمين.

هذا ما يؤكده مرقص بالإشارة إلى أن الهيكل ليس مصنوعاً بأياد بشرية.

فما هو إذاً؟.

من السخافة أن نظن أنه جسد يسوع، فالمطلق لا يحل في المقيد، ولا يحل عليه الهلاك. ولو آمن التلاميذ بهذا المستحيل لبرزوا لحظة الصلب ولحظة القيامة يشاهدون المعجزة ويمجدون الله !!

لكأنه يقول: إنكم مهما تعملون من هدم **(للدين)** فلن تتمكنوا حتى تبلغ الأمور منتهاها. هذه هي سنة التاريخ، كلما هدم الدين جاء من يقيمه، وآخر الكل يرسل الله رسوله محمداً ﷺ [1] وبما أنه لا رسول بعده فإن دينه سوف يظل قائماً حتى الساعة لا يهدمه اليهود ولا غيرهم، وهكذا جاء تصحيح الدين في كتاب معجز يتحدى الإنس والجن، وقد دمر تيطس الهيكل الحسي الذي كان يعبد اليهود فيه ربهم وتركه خراباً إلى حين بعث ﷺ فأعيد بناؤه، وعبد الله لا في السامرة وحدها، ولا في أورشليم وحدها وإنما كذلك في جزيرة العرب وفي كل مكان من العالم.

لقد جاء الكتبة والفريسيون إلى المسيح يطلبون آية، فما قدمها لهم بل أخبرهم بموعدها، وحدد لهم الزمن الذي ستظهر فيه، «**فأجاب وقال لهم:**

١- والدليل على ذلك أن الهيكل في مرحلة هدمه أو بنائه لا يتم إلا بالأيدي، بينما إقامة الدين لا يكون بأيدي البشر، ولا نستطيع القول: إن المدة الزمنية من السادسة مساء الجمعة إلى فجر الأحد تساوي ثلاثة أيام، وحسب المعنى الرمزي للنبوءة الأيام يقصد بها القرون، فثلاثة أيام مضيئة هي ما قبل مجمع نقيه، والليالي المظلمة هي ما بعد هذا المجمع وحتى بعث محمد ﷺ .

«جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له إلا آية يونان النبي، لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان» [متى ١٢ / ٣٩ – ٤٠] .

فأي مثل أوضح من هذا، فكما غاب يونان في بطن الحوت، يغيب أتباع المسيح الموحدون في ظلمات أهل التثليث، وسيغيب هؤلاء وأولئك في جوف الإمبراطورية الرومانية، ثلاثة أيام عامرة بالتوحيد وثلاث ليال ظلماء بالشرك، ولكن الرهبان البنديكتيون ظنوها بشارة بصلب – الله – ودفنه وقيامته، فمضى الناس على ظنهم، وللآن يحسبون النهار الواحد ثلاثة، والليلتين ثلاثة، فالمسيح الذي دفن ليلة السبت لم يوجد في قبره صبيحة الأحد يظنونه أمضى ثلاثة أيام وثلاث ليال؟.

ربما ظهر من يستخدم قوانين النسبية لحل تلك المعضلة الحسابية، لكن تبقى هذه المعضلة الحسابية هي الدليل القاطع على خطأ تفسير يوحنا من البداية، التفسير الصحيح لا يحتاج إلى اختراع اللامعقول، ويكفي أن تمر على أحد هؤلاء الآراميين المنتشرين على أطراف جزيرة العرب ليشرح لك الحقيقة بكل تفاصيلها، إن طلبهم كان لآية مختلفة عن جنس ما يشاهدون، آية يرونها رأي البصر والبصيرة وقتما شاءوا، فالمعجزات الحسية لم تعد تروق لهم، إنها تستغرق لحظات وبعدها يختلف الناس، هل عاشوها حقيقة أم سحرهم سحر

ساحر، فقال لهم إن هذا الجيل لن يعطى هذه الآية، وإنما سيأتي بعد ثلاثة أيام وثلاث ليال أناس يحظون بما تتمنونه الآن، عندما يبعث (**ابن الإنسان**)[1] يبكت الناس على خطيئة الإشراك بالله ﷻ.

فكما حبس يونان في بطن الحوت، فسوف تحبس دعوة المسيح وأتباعه تحت سلطان قيصر في بلاد الشام ومصر وشمال إفريقيا، فإذا انقضت الأيام والليالي الثلاثة فإذا هم من بطن الحوت الكبير يخرجون. معلنين «**أن لا إله إلا الله**» .

لا شك أن ابن الإنسان الذي بشر به المسيح عليه السلام هو رسول الله محمد ﷺ واللحظات التي شهدها بحيرا هي تلك التي شهدها يونان في اللحظات الأخيرة من الليلة الأخيرة، وهي تلك اللحظات التي نظر الله فيها إلى أهل الأرض فمقتهم جميعاً عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب ماتوا قبل البعثة، وقد كان من هذه البقايا بهذا الراهب، لقد تحرق قلبه شوقاً لرؤية هذا اليوم، ومرة أخرى يتساءل بحيرا في شوق: هل قرب بزوغ فجر التوحيد من جديد؟ .

لقد مضت الأيام الثلاثة حين غربت شمس الموحدين في مجمع نقية ٣٢٥ م.

وها هي الليالي الثلاثة بدأت، واشتد ظلامها بمجمع القسطنطينية، ونحن الآن

١- المراد بابن الإنسان هو محمد ﷺ والمسيح هو ابن مريم ، ومن باب التكريم لا الحقيقة يطلق عليه ابن الله.

في عام ٥٨٣ م يتساءل بحيرا مرة أخرى: متى ستشرق شمس التوحيد من جديد؟.

من المؤكد أن محمداً قد ولد الآن، لم يبق على ظهوره سوى جزء يسير من ليل طال ظلامه، يزداد بحيرا شوقاً لرؤية هذا اليوم، فها هو الإنجيل ينطق بهذا، والرسالة الكونية التي ساقها الله إليه يراها رأي العين تشير إلى هذا.

نعم.. فلتطمئن نفسك يا بحيراء !

ولتنتقل من دار الدنيا إلى الآخرة وأنت راض بتوحيد رب عيسى وموسى.

هذه هي إحدى الكرامات يرسلها ربك إلى أولائه الموحدين.

وليتخذها من بعدهم من في قلوبهم زيغ سبيلاً للخداع والتضليل!

يملأ بحيرا عينيه من نور محمد، ويطيب الحديث بينه وبين أبي طالب، وينتهي اللقاء بالراهب يرجو الوقور أبا طالب أن يتكفل بحماية ابن أخيه، ويعطي أبو طالب العهد على ذلك، ويواصل الركب الطريق، وتتحرك عجلة الزمن، فتقفز القفزة الأخيرة، وتتحقق البشارة، ويقع أبو طالب بين إصرار قومه على الشرك وعدم تخلي ابن أخيه عن دعوته إلى توحيد الله تعالى ! ولكن أبا طالب يبقى على عهده مع بحيرا، ويظل ﷺ في حماية عمه حتى موته على دين قومه. وربما مات بحيرا قبل ذلك، ومع ذلك تبقى قصته يتمسك بها عبدة الثالوث على أن النبي تعلم من هذا الراهب شبه الآرامي أصول الدين!

فإذا دافع المسلمون بأن أحداً ممن كانوا مع الرسول ﷺ في تلك الرحلة لم يحتج بمثل قولهم، وبأن مضمون القصة يقدم إقراراً من الراهب بالبشارة بمحمد ﷺ رد عبدة الثالوث بأن المسلمين اخترعوا هذا المضمون، ولفقوا هذه البشارات ليبرهنوا على أن أهل الكتاب كانوا على دراية بمبعثه قبل أن يكون. ولو كان هؤلاء يتدبرون ما سجل بوش اعترافه بمعرفة أهل الكتاب به ﷺ ولكنه أدرك أن عدم درايته قادح فيه لا فينا، إذ كيف يتجاهل معبودهم أمراً عظيماً كرسالة محمد ﷺ ؟ .

ويظن بوش أن المسيح لم يقصر في ذلك بل حذر من الأنبياء الكذبة.

نعم. ولكنه لم يقتصر على التحذير، بل بين الصادق من الكاذب، ففي الإصحاح الثالث عشر من إنجيل مرقص: «**حينئذ إن قال لكم أحد هو ذا المسيح هنا أو هو ذا هناك فلا تصدقوا. لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات وعجائب لكي يضلوا لو أمكن المختارين أيضا. فانظروا أنتم. ها أنا قد سبقت وأخبرتكم بكل شيء**» .

انظروا هذه علامات محددة للكاذب الذي حذر منه المسيح، إن قال أحد: «المسيح ظهر هنا» أو «ظهر هناك» فذلك هو الكاذب !

فهل قال محمد: «**المسيح ظهر هنا أو هناك**»؟ .

لا. فمن قال ذلك إذاً؟ .

إنه بولس الذي ادعى أنه ظهر له في الطريق إلى دمشق، فتوالت الادعاءات من المخابيل من أتباعه، فمنهم من ظنه في الجليل، ومنهم من

خيل إليه أن تلاميذه رأوه يمشي على الماء، أو أنه ظهر لمريم المجدلية[١] أو للنسوة عند القبر[٢] أو للأحد عشر تلميذاً على الجبل[٣] أو لبطرس في أورشليم[٤]. فكانوا جميعاً كما أخبر عنهم المسيح عليه السلام.

واليوم يتمسك النصارى بصدق هذه الحكايات، وكأن المسيح ما حذرهم من شيء، ولم يختبروا صدقها بالرجوع إلى أقواله عليه السلام ولو فعلوا لانكشفت لهم الحقيقة، فعقيدة التثليث لا ترجع إلى أقوال نطق بها المسيح، وإنما إلى تفسيرات غامضة لما ظنوه قصةً للمسيح. وقد أعلن العهد القديم المصير المحتوم للمتنبئين الكذبة عندما نص على أن «**ذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم يقتل لأنه تكلم بالزيغ من وراء الرب إلهكم**»[٥].

وقد تحدث بولس عن المصير غير المرضي للأنبياء الكذبة ووصفهم بأنهم «**يغيرون شكلهم كخدام للبر، الذين نهايتهم تكون حسب أعمالهم**» [٢ كو١١: ١٥] بالتأكيد كان بولس يعلم في قرارة نفسه أنه ليس من خدام البر، ولكنه لم يدر وهو يسجل هذه العبارة بأن ما يفصله عن مصير المحتالين مسألة أيام، وهكذا شاء ربك أن يكون المصير غير المرضي نهاية الكاذبين، فإله الضالين صلب في أورشليم، ورسولهم صلب في رومية،

١- مرقص ١٦ : ٩-١١ يوحنا ٢٠ : ١٠ -١٨ .

٢- متى ٢٨ : ٨-١٠.

٣- مت ٢٨ : ١٦ -٢٠.

٤- لوقا ٢٤ : ٣٤ وبولس ١كو ١٥ : ٥.

٥- تثنية ١٣ : ٥

بينما انتقل محمد ﷺ إلى الرفيق الأعلى في هدوء وراحة بال !.

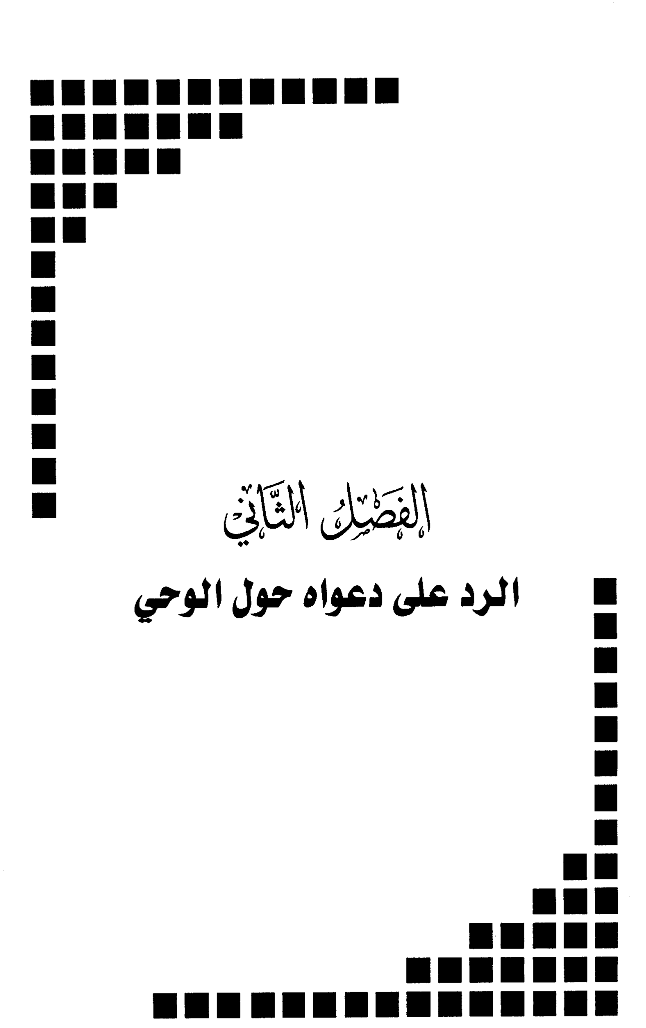
صلب بولس في رومية وانتهت حياته دون أن يخبر رسل المسيح بأنه في إنجيلهم، بينما القرآن الكريم لا زال يتحداهم بأنه ﷺ موجود في ما تحت أيديهم من كتب، ولم يجرؤ يهودي ولا نصراني على تحدي النبي فيما يكابر فيه بعضهم إلى اليوم، قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأعراف].

فنزول هذه الآية في سورة الأعراف وهي مكية دليل على مبادرة القرآن الكريم بالإعلان عن ما أصبح يصر اليهود والنصارى على إنكاره، ثم إن عجزهم عن مواجهته ﷺ بالإنكار لهو دليل على أنهم لا يعلمون خلاف ذلك، ومن هنا جاء وصفهم بأنهم يعرفون محمداً كمعرفتهم لأبنائهم دليلاً قاطعاً على ذلك، ولئن ظنوا أن المسيح كان يبشر بالروح القدس لا ببولس ولا بمحمد قلنا إننا لا ندري من أمر هذا «**الروح**» شيئاً، فلم يخبرنا بأنه هو من بشر به المسيح، في الوقت الذي تحداهم القرآن الكريم بما لم يجدوا عنه مصرفاً.







الفصل الثاني

الرد على دعواه حول الوحي

الفَصْلُ الثَّانِي
الرد على دعواه حول الوحي

كم عانى بوش وهو يلملم أكاذيبه، وما كان يسره أن ينشر العلم فيراها الناس وهي يبطل بعضها بعضاً، فالتناقض فيها ظاهر، وهي لا تنسجم مع العقل، وكثيراً ما تظهر النتيجة معاكسة للمقدمات.

هذا الكتاب هو ضمن قائمة طويلة من كتب ظهرت في الغرب، لكن ما كان ضمن أهدافها تنصير ولا حتى تشكيك المسلمين في دينهم، كان هدفها في الأساس مجرد تحميس جهلة أوربا على القتال في حروب صليبية أصر الغرب على خوضها على حين غفلة على العالم الإسلامي، وعندما عاد المقاتلون إلى أوطانهم وجدوا هدفها وقد حور ليطال من تشككوا في التثليث من بينهم، ومن ثم عادت الكنيسة لتستغلها في حملتها لإبادة من حكمت بهرطقتهم، ولم يتردد كذلك زعماء الإصلاح الكنسي في استخدامها لتضليل منكري الثالوث ورافضي تعميد الأطفال بالإيحاء إليهم بأن البروتستانتية بتحكيمها للكتاب المقدس هي البديل المناسب عن الكاثوليكية التي يرغبون عنها، وعن الإسلام الذي يرغبون فيه، ولم تكن هذه سوى طريقة مضللة ساعدت محاكم التفتيش على إنجاز مهمتها، وأخرت انتشار الإسلام في أوربا أربعة قرون، وفي النهاية وفرت لرجال اللاهوت متنفساً من ضغط المدارس النقدية الحديثة، ومنذ احتلال العراق أتاح لهم تنصير بعض جهلاء المسلمين فرصة ليسوقوا لمن كانوا يتصببون أمامهم عرقاً عند شرح الثالوث قصة مسلم أو مسلمة (خدعت) فأنكرت

توحيد رب العالمين، وصدقت راضية بصلبه وتثليثه، ومع ذلك فكثيراً ما يتحسر رجال اللاهوت على أنفسهم عندما يرون عقيدتهم لا تدخل العقول، وإن كانت تتسلل إلى قلوب الجهلاء من حولهم !

وهي على كل حال لا تقوم على «وحي» إنجيل.

ولا ترتكز على عقل أو ضمير.

وحسبهم أن يمجدوا إثناسيوس الذي وضعها.

وقسطنطين الذي وقع عليها.

والمجامع التي فرضتها على الضعفاء.

وآباء الكنيسة الذين فسروها للجهلاء.

والباباوات الذين حافظوا عليها بمراسيم الحرمان.

وقضاة التفتيش الذين حرقوا كل من يشكك فيها بالنار !

وتبقى سفاهاتهم ضد الإسلام على شبكة الإنترنت وفي وسائل الإعلام باستمرار دليلاً على أن الهرج داخل الكنيسة فوق ما تتخيلون، هذه السفاهات تهدف إلى التشكيك في وحدانية رب العالمين، وصرف الأبصار والبصائر عنها إلى توافه الأمور.

لقد اعتاد النصارى أن يخترعوا الدليل غير المقنع ثم يبدون استعدادهم للقاء الله على أساس ما اخترعوه، وسفاهاتهم حول الرسول ﷺ لا تتوقف، وسخافاتهم حول القرآن الكريم لا تنتهي، ذلك أن ما أنزل على محمد لا يكشف فقط انحرافهم، وإنما يتحداهم أن يأتوا بمثله، ولم ينته تحديه لهم بموته ﷺ وإنما استمر على هذا ولا يزال يتحداهم أن يأتوا

بمثله، وهم لا يستطيعون !

كـــان يكفيـــنا هذا العجز الظاهر، وأن نظل نذكرهم بالتحدي القائم، لـــنقول لهـــم في وداعة «**سلام عليكم.. لا نبتغي الجاهلين**» ولا نجادل العاجزين، غير أن التصدي لهم يقطع المعاذير، وربما تقرأ الدعوى فتدرك تفاهـــتها فتمضي غير مبالٍ بما يعقبها من جواب، لكن ينبغي أن تضحي بالمـــزيد مـــن وقتك لمعرفة التفاصيل، ففيها قبح ما يفكرون، ووقاحة ما يعتقدون، هنا يظهر لك عظمة الإسلام، فترتفع هامتك بين الأنام، لأنك ممن يوحدون الخالق جل في علاه !

أمـــا القـــارئ المـــسيحي فله عندي نصيحة، ذلك أنه لا مناص له من التفكير، وعليه أن لا يجد حرجاً في الإفصاح عما في الضمير، وليرجع إلى آباء كنيسته بما طرأ في ذهنه حول المصير، وفي النهاية في رأسه عقل كما لآبـــاء كنيسته عقول، وليس الأمر متروكاً لكل رجل دين يسحب وراءه قطعاناً من البشر، وهم خلفه ومن حوله لا يدرون، أذاهب بهم إلى الجنة أم إلى النار؟.

وقد لا تجد مسيحياً إلا ويخشى على أطفاله أن يقعوا في «**هرطقة**» توحيد الله تعالى، ذلك أنه لو تركهم وشأنهم صاروا كذلك، لهذا لا يجد أمامه في أغلب الأحيان سوى معلومة مضللة يخدع بها الطفولة البريئة[1] وأي شيء أسهل من أن يقول لهم: إن محمداً نسخة مكررة لأريوس.

وما من مسيحي إلا ويعرف أن آريوس حرمته الكنيسة فاندلقت أمعاء

---

١ – ربما تستبعد أن يخدع الإنسان أبناءه ، ولكن من يدقق لا يجد غير ذلك !

بطنه ومات.

الغريب أن الطفل إذا تعلم هذا الهراء وصار ديناً له وجب عليه الدفاع عن دينه بعد ذلك، وليفعل مع أبنائه ما فعله معه الآباء !

أما آل بوش فإن هذا هو نهجهم مع أبنائهم وغير أبنائهم، ولهذا تمسكوا بخرافة تعلم الرسول ﷺ على يد بشر كما تمسكوا بخرافة صلب الإله الذي يعبدونه، ولست أدري حتى متى نظل نجادلهم حول هذه الخرافة أو تلك؟

نبدأ الآن بتناول دعواه حول الوحي بالرد والتفنيد.. ونسأل الله الرشاد والتسديد.



١- الزعم بأن الرسول ﷺ لم يكن أمياً.

يدعي بوش في [صـ ١٤٢ من الترجمة] أن النبي ﷺ كان على وعي بالقراءة والكتابة ويسوق لذلك عدداً من الأدلة، ومن ذلك ما يلي:

١. شيوع الكتابة بين العرب في تلك الأيام، ووصية القرآن بكتابة الدين تؤكد ذلك.

٢. نشأة النبي في بيت عمه أبي طالب، ولا يعقل أن يقوم أبو طالب بتعليم ابنه علي ويهمل ابن أخيه.

٣. عمل النبي بالتجارة لعدة سنوات، وهي بدورها تحتاج إلى إنسان يعي القراءة والكتابة.

۞ ورداً على هذا نقول:

أحياناً يعرض المستشرق الدليل فيتنبه إلى أنه ضد فكرته فيدعه، وأحياناً لا يتنبه هو بل غيره، وقد يشعر هذا الأخير بالرغبة في تلافي التقصير الحاصل فيشمر عن ساعده لينجز عملاً لا اعتراض عليه، فيقع فيما وقع فيه السابق وهكذا حالهم دائماً.

وربما قرأ القس بوش الكثير من الكتب التي كتبها رهبان العصور الوسطى فظن في نفسه قدرة على إحكام الأمر فعمد إلى تلفيق الحكايات، ونسب إلى المسلمين ما لم يقولوه، ثم راح يبطل باطلاً بباطل، ومن ذلك:

- ادعاؤه أن النبي ﷺ طلب في مرض موته قلماً وورقاً ليكتب للمسلمين كتاباً يوجههم فيه، لكن عمر رفض تلبية الطلب خشية أن يملي

النبي المحتضر ما يخالف القرآن. [صـــ ٣٤٥ من الترجمة) .

ولم يعرف هذا الجاهل أن النبي ﷺ كان يكفيه أن يشير بيده ليكتب أصحابه كل ما أراد، وأنهم دونوا عنه ما نطق به من أحاديث، وكان آخر ما دونوه قبل وفاته أنه ﷺ لعن اليهود والنصارى لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، ولم يلح على إتباعه ليكتبوا عنه هذا الحديث، بل مجرد أن نطق به سجلوه في عقولهم ثم في سطورهم بعد ذلك.

- ومن ذلك أنه نسب إلى المسلمين أنهم أرجعوا القرآن الكريم إلى ملكات الرسول العقلية، ومن ثم راح يبطل ما لم يقولوه، مدعياً أن «**الذين قالوا هذا فاتهم أنهم يمتدحون نبيهم على حساب ما أوحي إليه، فبقدر ما يمتدحونه بقدر ما يقللون من صدق الوحي** » [صـــ ٣٥٦ من الترجمة]

❖ **وبهذا نقع بين أمرين:**

- إما أن نصف رسولنا – والعياذ بالله – بالغباء.
- وإما أن نرضى بذكائه فننسب إليه القرآن الكريم.

لكن المسلمين لم يقولوا بعدم ذكاء النبي ﷺ، ولم يقولوا إن ذكاءه نتج عنه القرآن الكريم، ولو كان مجرد الذكاء يكفي لتأليف القرآن فالعالم كله محكوم عليه بالغباء لعجزه عن أن يأتي بمثل ما جاء به، فالقرآن الكريم حقيقة لم تتكرر في التاريخ. وقد واجه في لحظة حاسمة من لحظات التاريخ أسوأ عقيدتين عرفهما العالم آنذاك:

الأولى : تؤمن بأن للكون إلهين، أحدهما للنور والآخر للظلمة.

والثانية: تقول: ثلاثة (الآب والابن والروح القدس).

العقيدة الأولى تحميها الإمبراطورية الفارسية.

والعقيدة الثانية تحميها الإمبراطورية الرومانية.

فجاء الإسلام من جوف الصحراء يتحدى الإمبراطوريتين معاً، وليعلن في وضوح:

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝ ﴾

❖ **فبماذا يفسر النصارى ذلك؟**

يفسرون ذلك بأن أبا طالب اهتم بابن أخيه فعلمه تعليماً جيداً نتج عنه القرآن الكريم، بينما لم يهتم بابنه علي فلم ينتج عنه قرآن !

لهذا فإن بعض المسلمين في ردهم على هذه الافتراءات يكتفون بنفي أن يكون النبي ﷺ قد تعلم عن أهل الكتاب، وذلك بالنظر في القرآن الكريم وما تحت يدي النصارى واليهود ومدارس الأديان، فالرسول نبه على أشياء لم يعرفها أهل الكتاب مثل الحديث عن شعيب وهود وصالح عليهم السلام، وكذلك الحديث عن السامري، وميلاد مريم وغير ذلك، فمن أين عرف كل هذه المعلومات؟.

وأهل العلم عندما يجدون حقائق علمية لم تكن معروفة في عهد النبي ﷺ تتطابق مع القرآن الكريم يستغنون بذلك عن البحث حول قراءته أو عدم

قراءته، وربما ظن من لا يعرف خلفية هذا المأخذ من المسلمين[١] أنه بالإمكان أن يتعلم النبي القراءة والكتابة من البشر، على أن يتعلم القرآن الكريم من الله تعالى، ولكن الله تعالى بحكمته قطع هذا الطريق حتى لا يخلط الضالون بين ما تعلمه من البشر وما تعلمه من خالق البشر، فالذين

١- أشـــير هـــنا إلى إصرار المترجم في مقدمته على أن النصوص التي يستشهد بها المـــسلمون للـــدفاع عـــن الجهل (لاحظ استخدامه لهذه الكلمة بدلاً من كلمة الأمية) إما أنه لا أساس لها، وإما أنها موضع خلاف، وإما أنه هناك ما يناقضها، وأما أنه أسيء تفسيرها، (انظر صـــ ٣١) .

والحق أنه ليس المطلوب منا أن نبرهن على أمية الرسول، بل المطلوب منه هو أن يثـــبت أنه لم يكن كذلك، فلو أردت الاستدلال على أن المسيح لم يكن أمياً أســـتدل بنص: «وكان – أي المسيح – يكتب بإصبعه على الأرض» بهذا النص في [يوحـــنا ٨ : ٦] أكـــون قد برهنت على أن المسيح كان يكتب، وفي حالة وجـــود نص يفيد غير ذلك علي أن أقتنع بأن ما كان يفعله المسيح نقوشاً غير مفهـــومة، أعـــتقد أن الرســـول لو كان يكتب لتواتر نقل ذلك عن الصحابة، والعجـــيب أن القس بوش نقل إدعاء النبي بأنه أمي لا يقرأ ولا يكتب مستشهداً في ذلـــك بقـــوله: (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك) لكن المترجم أنكر حتى هذا الإدعاء، والمفروض أنه على علم بقول الرسول لجبريل ما أنـــا بقـــارئ، وهو حديث في الصحيح، فكيف قبل جبريل هذا الإدعاء؟ وأما دعـــواه بأنـــه لا أساس لها فنحن نتمسك بآيات القرآن الكريم، وأما أنها موضع خلاف فليس كذلك إلا إذا دخل هذا الميدان من لا يحسنه أمثال د/ عبد الرحمن عبد الله الشيخ مترجم كتاب بوش.

في قلوبهم زيغ كانوا «**سيستغلون القراءة والكتابة لو كانت متوفرة عنده، ليقولوا: إنه اطّلع على كتبهم وألف كتابه، لذلك حجب الله ﷻ النبي ﷺ عن تعلم القراءة والكتابة، ليقطع الطريق على المتخرصين، فيفشلوا في نسبة القراءة والكتابة إليه عليه الصلاة والسلام، وبهذا يفشلون في نسبة القرآن إليه**»[1]

هذه الحكمة الإلهية أيقنا منها بعد أن رأيناهم يضخمون اللقاء العابر بين صبي برفقة أعمامه وراهب مسيحي، فكيف لو نشأ هذا الصبي في أحضان الرومان؟

❖ **بل كيف لو كانت صومعة هذا الراهب على أطراف مكة؟**

وكيف لو كان هذا الراهب على درجة إثناسيوس أو أغسطين في العلم؟

لقد عجز إثناسيوس وأغسطين عن حفظ إنجيل من الأناجيل الأربعة، ولكن أهل مكة الأميين حفظوا القرآن الكريم عن ظهر قلب، فتفوقوا على أحبار اليهود الذين ما كانوا يستحقون إلا كل سخرية وازدراء، ذلك أنهم كثيراً ما كانوا يفتخرون على العرب بعلمهم حتى أوهموهم بأنهم قادرون على ما يعجز عنه غيرهم، ولهذا جاء رأي قريش يحيل ما جاء به محمد إليهم، ولكن أهل الكتاب خذلوهم بعدم قدرتهم على ما عجزت عنه قريش، ولهذا كان رد القرآن الكريم على هذه الفرية غاية في البساطة:

---

١ - الـدر المـنقوش في الرد على جورج بوش / عبد البديع كفافي صـ ٢٨ دار الفتح

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾.

(النحل)

فبقي على مدعي العلم من الأعاجم أن يظهروا قدرهم، ولكنهم لا زالوا يخفون عجزهم ويظهرون من سفاهتهم ألواناً شتى، وما تخفي صدورهم أكبر مما يظهرون.

وإذ لا تجتمع الأناجيل على أن المسيح كان الكلمة أجمعت المصادر الإسلامية على أن النبي ﷺ لم يتعلم على يد بشر، ولكنهم يريدوننا أن نتفق على ما اختلفت عليه أناجيلهم، فكل من ظن أن الله ثلاثة يوقن أن من واجبه تبصير أو تنصير الموحدين بهذا الظن المبين!

ومعلوم أن المسيح لم يكن أمياً حتى يترك أناجيله يكتبها من لا يعرف حقيقته، ولم يكن كل أتباعه أميون حتى يكتبها من لا ينطق ولا يفهم لغته، فإذا جاء هذا العربي الأمي يقطع الشك باليقين فيما لا يزالون فيه مختلفين. فماذا يقول هذا الجاهل بدينه والمغرور بدنياه؟

إنه لا يبصر ما في آية الدين من حكم عظيمة عن أدق أحكام المعاملات المالية وما يجب أن يتوفر فيها من إجراءات، كأن القرآن الكريم نزل لعصرنا، فهو يفصل الحديث عن المعاملات، ويتحدث عن الشهود وما يجب أن يتوفر فيهم، وفي القرآن الكريم صورٌ شاملة لأحكام الزواج والطلاق، وأحكام القتال والميراث، وغير ذلك. ولا تجد آية إلا وهي تقدم للناس ما هم في حاجة إليه، لكن الأناجيل ليس فيها ما يحتاجه الناس من

قوانين تنظم معاملاتهم، فمحمد ﷺ رغم أنه كان أمياً جاء بشريعة جديدة، بينما المسيح ﷺ مع أنه لم يكن أمياً جاء تابعاً لشريعة موسى، ولو أخذنا في الاعتبار موقف بولس من الناموس لقلنا مبطلاً لها، ولو أخذنا بقول النصارى قلنا إن المسيح لم يأت بكتاب البتة.

والشريعة التي جاء بها هذا الأمي إنما هي شريعة محكمة لا تسمح للباطل بمنفذ، فحتى هذه الآية التي يتخذها دليلاً على أن النبي كان على معرفة بالكتابة لشيوع الكتابة في عصره تؤكد عدم شيوع الكتابة من وجوه لا يعمى عنها إلا الضالون:

الأول: أنها تحدثت عن استدعاء الكاتب ولو كانت الكتابة شائعة ولا يمثل غياب الكاتب مشكلة لما اهتمت بذلك.

الثاني: أنها قالت ﴿ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِٱلْعَدْلِ ۚ ﴾ فلو لم تكن الكتابة نادرة لاكتفى بقوله «**فاكتبوه**» ولما قال: «**بينكم**». فالجمع يشير إلى أن القاعدة هي الأمية، فالآية تخاطب الذين آمنوا وكأنهم أميون وكأن الكاتب ليس من بينهم.

الثالث: أنها أظهرت حاجة الناس إلى الكاتب، فألزمته بعدم الامتناع مراعاة لمصالح الناس، ولو كانت الكتابة شائعة لما كان هذا الإلزام: ﴿ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ ﴾

الرابع: أنها أوضحت أن في العرب من لا يحسن ما هو أقل من الكتابة وهو الإملاء:

﴿ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ﴾.

الخامس: أنه لو كانت الكتابة منتشرة لما شرع البديل لها وهو الرهان المقبوضة.

السادس: أن الآية مدنية فلا تدل على وجود كاتب في مكة التي نزل بها أكثر سور القرآن الكريم.

السابع: أن الآية تشريع عام فيجوز افتراض وجود الكاتب باعتبار ما هو متوقع، مثل تحريم لحم الخنزير الذي لا يعرفه العرب.

ولكن بوش لو فكر في استنتاج الأدلة بهذه الطريقة ما ألف ولا كتب. فشيوع الكتابة في قريش يدل على أن النبي لم يكن أمياً، ومع أن الكتابة لم تكن شائعة في قريش إلا أني سائله: هل شيوع الفاحشة في أمريكا مثلاً يدل على أن آل بوش ملوثين بالرذائل؟.

وهكذا يترك ما تؤكده الآيات صراحة من أمية الرسول ويتمسك بقرائن تنفي ما يود إثباته، ثم يعمد إلى الإكثار من الأدلة، وكثرة الأدلة على هذه الطريقة كعدمها، إنه يسوق الدليل وكأن أهل الجاهلية تحيط بهم مدارس الإرساليات من كل جانب!

ولو عرف القليل عن حال الجاهلية لما استغرق في الوهم إلى حد استبعاد أن يقوم أبو طالب بتعليم ابنه وإهمال ابن أخيه، فربما تجد اليوم من بين أفراد الأسرة المتعددة الأبناء من ليس له حظ في التعليم. و لم يكن ابن أبي

طالب في سن ابن أخيه حتى تتشابه ظروف نشأتهما، فعلي - كرم الله وجه - نشأ في حضن الإسلام الذي اهتم بالتعليم على نحو لم يحدث في دين الأديان، وفي عصره لم يكن ثمة مدارس إلزامية ولا حتى تطوعية، وإنما من يجيد الكتابة في قبيلة قد يعلم من أبنائها من أراد أو من تواتيه الظروف، كما كان يفعل من يجيد الفروسية أو الرماية أو غير ذلك. ومع ذلك لم ترق خطبة من خطب من هو متعلم بيقين إلى نحو ما جاء به من هو مشكوك في تعلمه.

هكذا يجتهد جهلة المستشرقين لإثبات ما حكم التاريخ والواقع بنفيه، ومنهم من هم على وعي بهذه الحقيقة، يقول الكونت هنري دي كاستري: «**ولا شك أنه يستحيل على رجل في الشرق أن يتلقى العلم بحيث لا يعلمه الناس لأن حياة الشرقيين كلها ظاهرة للعيان، على أن القراءة والكتابة كانت معدومة في ذلك الحين من تلك الأقطار، ولم يكن بمكة قارئ أو كاتب سوى رجل واحد ذكره (جارسين دي تاسي) في كتابه الذي طبعه سنة ١٨٧٤ م .**

كذلك من الخطأ مع معرفة أخلاق الشرقيين أن يستدل على معرفة النبي للقراءة والكتابة باختيار السيدة خديجة (رضي الله عنها) إياه لمتاجرها في الشام، ولم تكن لتعهد إليه أعمالها إن كان رجلاً جاهلاً غير متعلم فإنا نشاهد بين تجار كل قوم غير العرب وكلاء لا يقرؤون ولا

يكتبون وهم في الغالب أكثرهم أمانة وصدقاً».[١]

ولكن القس بوش يتحدث عن التجارة بما لا يتطابق حتى مع مقياس عصره، فعنده أن الذي لا يقرأ ولا يكتب لا ينفع أن يتاجر لأنه لن يوقع الصفقات التجارية، ولو اعتمدنا هذا المنطق ما قامت أسواق، ولا تبادل الناس المنافع!.

ثبت إذن مما تقدم أن محمداً ﷺ لم يقرأ كتاباً مقدساً ولا غير مقدس، ولم يسترشد بمذهب متقدم عليه، ولكن لا حيلة للنصارى سوى التمسك بأضعف القرائن وأبعد الاحتمالات، فهذه القرائن والاحتمالات تتحول إلى أدلة، وبها يبطلون دعوة محمد ﷺ إلى توحيد الله تعالى!

۞۞۞

---

١ -الإسلام خواطر وسوانح تأليف هنري دي كاستري ترجمة أحمد فتحي زغلول صـ ١٦ مطبعة السعادة.

٢- دعواه بشرية القرآن الكريم

يدعي جورج بوش في صـ ١٦٣ من الترجمة أن محمداً لا يزيد عن كونه زعيماً سياسياً صاحب مشروع سياسي، وضع لتنفيذ خطة غلفها بغلاف الدين الذي استقى علمه به ممن التقى بهم من أهل الكتاب، النصارى في مكة واليهود في المدينة، الذين استعان بهم في تدبيج القرآن الكريم، الذي بدعوته إلى دينه وبحياته وأفعاله ليس إلا حلقة في سلسلة الثورات السياسية.

۞ ورداً على هذا نقول:

يتصور من لا يعرف الإسلام أن بإمكانه خداع المسلمين باتهام رسولهم بأنه صاحب مشروع سياسي استفاد فيه بخبرة هؤلاء العجزة أمام قرآنه، الخرس أمام حجته، فدعوته حلقة في سلسلة ثورات سياسية يشهدها العالم في كل العصور.

ولكن تأمل: ها هي الحلقات تفنى وتزول، وتتكسر ولا تقوم، وها هو الإسلام معجزة المعجزات، لا يكسر شوكته أحد، وبوش الذي يتباهى بقوته سوف يطويه التاريخ في ذيل صفحة في أعلى سطورها اسم جنكيز خان، وسيبقى كما كان الإسلام، ليس فيه كهانة ولا كهنوت. وليس فيه لاهوت وناسوت.

ليس الإسلام كالمسيحية التي جعلت الإنسان جسداً وروحاً..
والله لاهوتاً وناسوتاً !

ثم سلمت جسد الإنسان لقيصر.. وروحه للبابا.

ولم يبق شيء منه تمنحه لخالقه.

وهنا لا بد أن يتنازع الندان:

فماذا يفعل قيصر بجسد لا روح فيه؟.

وماذا يفعل البابا بروح لا جسد تسكن فيه؟.

هنا جاء الإسلام ليس حلقة في سلسلة حلقات هذا الصراع الفاسد، وليس استمراراً لغطرسة حاكم، ليس ليضع حدوداً بين قيصر والبابا، وإنما ليوجه الإنسان جسداً وروحا إلى الذي فطر السموات والأرض حنيفاً، وليكن قيصر والبابا، والدين والدنيا، والوطن والمواطنون لله رب العالمين، هذا هو ملكوت الله تعالى الذي طالما تحدث عنه المسيح عليه السلام وبشر بقرب قدومه عليهم لو كانوا يفقهون حديثاً !

جاء محمد ليتمم بشارة أخيه عيسى عليه السلام لم يأت لينازع قيصر ملكه، ولا البابا كهنوته، ولكن لنشر رسالة تعتق أجساد الناس من ظلم قيصر، وأرواحهم من ظلمات البابا، ثم رفع الوساطة وإلى الأبد بينهم وبين خالقهم:

- وساطة الأصنام في جزيرة العرب.
- أو الكهنوت في عالم النصرانية.[1]

---

١ - وقد أثر الإسلام على حركة الإصلاح الكنسي فيما بعد، فقالت بكهنوت جميع المؤمنين، بمعنى أن المسيحي يمكنه أن يصلي لله بلا قسيس كما أنكرت عصمة البابا والمجامع ودعت إلى التمسك بالكتاب المقدس.

فليلتجأ الخلق من الآن وإلى يوم الدين إلى خالقهم دون قيود ولا شروط، ودون حدود ولا سدود، قال تعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ (البقرة)

وقد أرادت قريش أن تصرفه ﷺ عن مهمته تلك، فعرضت أن يكون زعيماً سياسياً عليها، ولو كان صاحب مشروع سياسي ما رفض عرضها، بل لقبله بكل سرور وامتنان، وتوج ملكاً تتوحد القبائل على الخضوع له، ولكنه رفض ذلك بإصرار قائلاً لعمه أبي طالب: «**يا عم! والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر – حتى يظهره الله أو أهلك فيه – ما تركته**» [1].

فقد علق ترك دعوته إلى توحيد الله تعالى على المستحيل، وما علق على المستحيل فهو مستحيل، فلم يكن هدفه ﷺ الزعامة السياسة كالأباطرة، ولا الدينية كالباباوات، فما هو إلا حامل رسالة، والله من وراء تلك الرسالة كلفه التبشير والإنذار، وجعله شاهداً على المحرفين، ويكفيك لتعرف وجه الحق والصواب أن تقرأ قوله تعالى:

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ [الفتح]

فلن تجد غير الإسلام ديناً يوازن بين الدنيا والدين.

---

١ – الرحيق المختوم صـ ١١١.

لن تجد مصلحاً يبلغ هذين الهدفين:

- تصحيح الدين بعد تحريف.
- إصلاح الدنيا بعد فساد.

لن ترى في التاريخ نبياً يصل إليه في الجانب الأول.

ولا زعيماً سياسياً يدانيه في الثاني.

أمامك التاريخ دقق النظر فيه، فهل ترى لرسول الله ﷺ من منافس؟.

وحيث تدرك أنه لا منافس تعلم أن وظيفته ﷺ ليست تأسيس إمبراطورية يتربع على عرشها قيصر. ولا رئاسة كهنوت يغلق جنة الله في وجه عباده. وإنما تبليغ الدين وتدبير الدنيا وفق أوامر ونواهي هذا الدين الشامل.

وأما اليهود والنصارى فما أصلحوا فاسداً، ولا صححوا تحريفاً، وكانوا ولا يزالون أشد الناس عداوة لله ولرسوله، ومع ذلك ما ادعى يهودي واحد أنه ﷺ استعان به في تدبيج قرآنه، مع أنه تحداهم أن يأتوا بمثله، وهذا التحدي لا يقوم به عاقل يعلم أن مصدره معروف لمن يتحداهم.

ومن هنا يظهر جلياً أنه ﷺ لم يبن رسالته على معلومات يهودية ولا غير يهودية، فاليهود أجهل من أن يعتمد عليهم في معلومات نافعة، لا في الدنيا ولا في الدين، وحسبك من علمهم الإسرائيليات التي أخرت المسلمين، وأوقفت مسيرة حضارتهم.

وحسبك من حقدهم التدخل السافر في صياغة الأناجيل، فقد حشروا فيها فرية الصلب، ثم روجوا لعلاقة مشبوهة بين مريم ويوسف، ولا يزال

النصارى يرتلون تفاصيل تلك العلاقة التي شوهت صورة والدة ربهم في التاريخ، ويكفرون بالقرآن الكريم الذي أنصف مريم وفضلها على نساء العالمين !



٣- زعمه بأن الوحي كان إدعاء من النبي ﷺ

يزعم في صـــ ١٩ من الترجمة أن الوحي كان خداعاً من النبي ﷺ ويتساءل في عجب:

ما الظروف التي جعلت هذه الفكرة تفرض نفسها عليه؟

وما سلسلة التفكير التي ألمت به؟

وعلى مَنْ سيعتمد ليمضي قدماً في تحقيق مشروعه؟ ..الخ

وعلى هذا يعلن أنه بات من المستحيل عليه الآن أن يقرر ما إذا كان قد بدأ مشروعه متحمساً مخادعاً أم بوصفه مدعياً مخططاً؟

۞ وفي ردنا على هذا نقول:

أسئلة عن الظروف والأفكار التي ألمت بمحمد وهو يعد مشروعه، وعن فريق العمل الذي كان يساعده في إنجاز قرآنه، هذه الأسئلة يطرحها بوش لا ليبحثها ويجيب عليها بأمانة أهل العلم، وإنما ليرتفع بطرحها أو بالجواب عليها على ما عداه من أهل البلادة، والجواب العملي يقتضي منه أن يعد هو الآخر فريقاً علمياً لينجز عملاً يتحدى به الناطقين بالإنجليزية، فيكون في أمريكا كمحمد في العرب، فهل راودته فكرة كتلك وهو يؤلف هذا الكتاب الذي لم يأت فيه بفكرة واحدة جديدة؟.

إن علينا أن نتذكر دائماً أن الملايين من أهل أوربا لا يصدقون الآن بمعجزات المسيح، ذلك أنهم رأوا فيها عن علم ما رآه هذا القس عن جهل في القرآن الكريم، ولهذا لا نعجب من «بوش وفريقه» إن كانوا قد

عجزوا عن التمييز بين أن يكون محمد قد بدأ مشروعه متحمساً مخادعاً أم مدعياً مخططاً، ذلك أنه ﷺ لو كان كاذباً لجمع بين الأمرين، ولكنه ليس كالذي تحمس وخاطب أهل كل ملة كأنه على ملتهم، لقد اكتشف بولس أن هدم البناء من داخله أيسر من الطرق على جدرانه الخارجية، فادعى أنه رأى في سماء ملبدة بغيوم الشك شبح يسوع، وراح يتاجر بهذه الرؤية على السذج من أهل زمانه، وفي سبيل التضليل صار لليهود كيهودي ليخدع اليهود، وللذين تحت الناموس كأنه تحت الناموس ليخدع الذين تحت الناموس، وللذين بلا ناموس كأنه بلا ناموس [1] !

وهكذا بدأ رسول المسيحية يتشكل كالحرباء، ويغير دينه كما يغير ملابسه، فهو يهودي مع اليهوديين، وناموسي مع الناموسيين، ووثني مع الوثنيين، وبما أن الجهل قد سيطر على أتباعه إلى هذا الحد، والحقد قد أعماهم إلى هذه الدرجة، فإن آيات القرآن الكريم لتؤكد لهم أن رسول الله ﷺ ليس كهذا المخادع، فهو لم يغرر بأحد، ولم يقل لقومه إنه لا يقرأ ثم اكتشفوا أنه يقرأ، ولو كان، لحق لهم أن يرتابوا، قال تعالى:

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [العنكبوت]

فلو علم قومه أنه كان يتلو الكتب وهو يتلو عليهم هذه الآية لكذبوه،

---

١ – رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس [٩: ١٩ –٢١]

فقد كانوا يبحثون في كل اتجاه عن أمر يعيقون به مسيرة دعوته، ولكن دعوته مضت في الطريق إلى نهايته، فما تمكن أحد من صلبه ولا إهانته.

إنه ﷺ لم يتاجر بالآخرة كبائعي الغفران، ولم يعتمد التضليل كالمنصرين، إن كل منصر يخجل من عرض دينه على حقيقته، ولكنه للأسف لا يخجل وهو يعرض عقيدة التوحيد على غير حقيقتها، لهذا كان ﷺ رحمة الله للعالمين، أرسله ربه بالهدى ودين الحق، ليكشف وجه الخداع والتضليل، وليتصدى للإرهاب والتنكيل، وقد بدأ دعوته متلقياً من الله تعالى فمبلغاً لعباده، وظل على هذا الحال، يتلقى ويبلغ حتى ختمت رسالته بقوله تعالى:

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴿٣﴾ ﴾ [المائدة].

وما بين البداية والنهاية تلقى مائة وأربع عشرة سورة هي كل سور القرآن الكريم، فما ظهر أحد من قبله ولا من بعده يتحدى الناس في هذا المجال، أو يدعي أنه أنزلت عليه سورة يختلط أمرها بالقرآن الكريم، وكل من سبقوه من الأنبياء انتهى التحدي بموتهم، غير تلك المعجزة التي استمرت تتحدى من بعده، ولا يزال التحدي ليفصل الدهر بينه وبين خصومه، قال تعالى:

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟

وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (البقرة)

وقد حكم الزمن حكمه، وقال الدهر كلمته، فلم يفعلوا في الماضي، ونحن ننتظر المستقبل ليشرق علينا بالمزيد من عجزهم، ولكنهم يواصلون ادعاءاتهم بأن ثمة أفكاراً تفرض نفسها على من تحدى أفكار العالمين، أو خيالات تسيطر على من أذهل بسيرته أهل العقل من المنصفين؟

فلماذا لم تفرض مثل هذه الأفكار نفسها على أحد من بعده؟

فأولى بآل بوش أن يبحثوا في خيالات بولس، تلك التي جعلته يرى أو يخيل إليه أنه يرى أشباحاً في الهواء. وبدلاً من السعي لعلاجه من مس العفاريت حولوه إلى رسول، والشبح إلى يسوع، ثم يسوع إلى إله. ! ثم الإله إلى ثالوث!

فالمسيحية في الواقع فلسفة ألبسها بولس ثوب الدين.

أو هي دين ألبسه آباء الكنيسة ثوب الفلسفة.

والقرآن الكريم يكشف عن قبح صنيعهم، وكيف أنهم كانوا يكتبون الكتاب بأيديهم ثم ينسبونه لله تعالى: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

(البقرة ٠٧٩)

فكلمة «**أيديهم**» لنفي المجاز، وقوله (**ثم يقولون الخ**) يؤكد أن إدعاء

نسبة هذه الكتب إلى الله هو من قولهم وليس في نص مكتوب بأيديهم. وهذا ما تجده في جميع أسفارهم حيث لم يدع كاتب سفر منها أنه يكتب كلام الله تعالى، فكيف عرف محمد ﷺ تلك الحقيقة؟ وكيف نزل القرآن يتفادى هذا الخلل فكرر الفعل «نزل» بتصريفاته المختلفة ليؤكد المرة بعد المرة أنه ليس من عند بشر، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ ﴾ (الشعراء) .

لقد سجل كتبة الكتاب المقدس ما يقرب من ألفي صفحة وليس في صفحة منها أنها منزلة من عند الله تعالى، وربما تجلس إلى أحدهم تجده يطلق على الأناجيل «**كلام الله**» لأن بولس قال: «**كل الكتاب موحى به من الله**» ولكنه مع ذلك لا يعلن أن كلامه هو ضمن هذا الكتاب، والأناجيل الأربعة كتبت بعد رسائله، ومع ذلك فالله طبقاً لظنهم يمكن أن يكتب مقدمة لوقا، أو خاتمة يوحنا؟.

ولك أن تتحدى القوم أن يبرز من بينهم متفلسف أو قسيس يثبت أية علاقة تربط بولس بالمسيح. أو الأناجيل بحواري المسيح، ولا يخدعنكم أيها النصارى تملص الفلاسفة أو الآباء من إيجاد صلة بين دين المسيح ومسيحية بولس، فلا عذر لهم ما دام العقل في رؤوسهم، والأناجيل تحت أبصارهم، والحذر أن يخدعك قسيس بظنه أن تلك قضية ثانوية أو أن «**بولس تعرف على المسيح ليس حسب الجسد**» فحتى هذه المعرفة ما اطلع عليها كاتبو الأناجيل، وما سجلوها ولا أشاروا إليها، وقد كانوا

يكتبون بعد بولس بعشرات السنين، فلو كان لبولس صلة بالمسيح حسب الجسد أو غير الجسد لشهد بذلك الإنجيليون الأربعة أو على الأقل واحد منهم، فظهر اسمه في إنجيل وليس خيالات يدعيها بولس، أو إدعاءات يتخيلها لوقا، فبولس لا علاقة له بالمسيح من قريب ولا من بعيد، ولكنه بدأ مشروعه مخادعاً ولم يختمه مودعاً، بل أُخذ على حين غرة قبل أن يفرح المسكين بالثوب الذي هرول إليه به تيموثاوس (**الرسالة الثانية إلى تيموثاوس**) فارتدت المجامع ثيابه، ثم راحت تكمل ما بدأه من بنيان الشرك بالله تعالى.



٤- الزعم بأن النبي ﷺ يتظاهر بنزول الوحي عليه :

يزعم أن النبي يتظاهر بنزول الوحي عليه، من ذلك مثلاً حينما نشأ خلاف كبير بين المهاجرين والأنصار حول توزيع الغنائم، لم يجد النبي ﷺ بُداً في وضع حد لهذا الخلاف إلا بأن يتظاهر بنزول الوحي عليه يأمره بتقسيم هذه الغنائم بالتساوي.

۞ ورداً على هذا نقول:

لقد سجل تاريخ الأدب العربي ما كان يحدث في سوق عكاظ القريبة من مكة من نشاطات أدبية، ففي كل عام تقام مبارزة بين فحول الشعر والخطابة، وكل قبيلة تأتي بالدفوف خلف شاعرها أو خطيبها تفاخر به، وفي طريق العودة قد تحمله على أعناقها، فأين ما جادت به تلك المبارزات من أشعار وخطب خلقتها روح المنافسة الحميمة، وأعد لها الشعراء والخطباء عدتهم الرصينة، وبين ما جاء به القرآن الكريم في لحظات الحرب!

وحتى بعد عصر الرسول ﷺ عرف الناس ما يسمى بديوان الإنشاء، كانت وظيفته صياغة المعاني بأدق العبارات، وأبلغ الاستعارات والكنايات، وكثيراً ما كان يصاب هذا الديوان وبه أمهر الكتاب بالإرباك وخاصة عندما تنزل النوازل، فأين ما صاغته الدواوين من مراسيم وما جاء به القرآن الكريم في شأن تقسيم الميراث أو المغانم أو غير ذلك؟.

والأمر بعد انتهاء الحروب وانقطاع النوازل متروك لبوش وأشياعه ليحلسوا أعمارهم وأعماراً مع أعمارهم في جو هادئ ينتهي بهم إلى حديث مثل ما أنزل على محمد ﷺ يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان، إن

كانوا صادقين!

وقد أصبحتَ في عصر تُمنح الجوائز العالمية لأحسن الأدباء، فدقق النظر فيما تنتجه عقول هؤلاء وما جاء به محمد ﷺ لتدرك وجه الحق والصواب.

وهكذا يبقى القرآن الكريم معجزة المعجزات، فكلما ظهر سليط هنا أو سفيه هناك يشكك في توحيد الخالق جل في علاه دفعنا بالمعجزة في وجهه لينقلب خاسئاً وهو حسير، وربما دفعه غيظه أو يأسه إلى أن ينثر كلمات يخجل أن ينسبها إلى نفسه حتى لا يقع موقع السخرية من كافة الناطقين بلغته، ولكنه ينضم بها إلى قائمة مسيلمة الكذاب !

لقد كان القرآن الكريم يترل ومسيلمة يكتب معارضاً له، فلمن ذهب العرب وأين ما قاله مسيلمة؟ لم يستطع مسيلمة أن يخدع عربياً واحداً بقرآنه، بينما استطاع آل بوش أن يضللوا أمريكا الغارقة في الفجور والشهوات، في الماضي والحاضر، في الدين وفي السياسة.

ويأتي مفتتح سورة الأنفال ليظهر الرسول ﷺ كمبلغ عن الله ﷻ فما هو إلا ناقل لجواب الله تعالى عن سؤال عباده، وكعادته يقلب القس بوش الدليل فيصبح المبلغ متصنعاً، والمتلقي مؤلفاً، فكيف يجمع الرسول بين التصنع والتأليف، وبين التأليف وقيادة الجيش؟ .

وهل يمكن لقائد مشغول بترتيبات حرب حاسمة، وفي يده مصير الجند، ومصير دعوته يمكن أن ينطق بهذه الآية الكريمة: ﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ

وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [الأنفال].

إن القائد إذا تيسر له القيام بذلك فهو في حد ذاته معجزة تحملنا على الإذعان لكل ما ينطق به، لا يمكن أن تتصور قائداً في لحظة حاسمة بينه وبين أعدائه تسمح له ظروفه النفسية بتقسيم الغنائم وصياغة المعاني على هذه الصورة من الإيجاز والإعجاز، فضلاً عن أن يتظاهر بأنه يترل عليه وحي، يجوز أن يخمن القائد أو حتى الجندي النهاية، ولكن لا يمكن أن يشرح موقفه من تفاصيل تلك النهاية. هكذا كان نزول القرآن الكريم بأدق الحلول لأعقد المشاكل في أصعب الأوقات!

ولئن توقع بعضهم النصر فإن ما لم يتوقعوه هو اختلاف المتوقعين قبل المعركة أو المنتصرين بعدها، فتلك مفاجئة انتهت إليها معركة ظلت محتملة النتيجة، فإذا حسمت النهاية وتساءل المنتصرون، فترل الوحي في التو واللحظة ليجيب على أسئلتهم فما هذا إلا برهان على أنه لم يكن يتصنع أو يمثل على أتباعه.

لقد كان يكفيه أن يشير بيده ليجد أصحابه وقد امتثلوا إلى ما يريد، والغريب أن هذا التصنع المزعوم لم يلحظه سوى أعجم الأعاجم ممن لا يفقهون للعربية حديثاً. فكيف تكون تلك الآية دليل تصنع الوحي وهي تترل بالإجابة المحكمة لحظة حدوث المشكلة؟ إنها حقاً لبرهان صدق القائد فيما يعلنه دائماً من صلته بربه، ففي لحظة يختلف المنتصرون، ويكاد نصرهم ينقلب هزيمة، واتفاقهم اختلاف، واتحادهم شتات، يترل القرآن

الكريم بأوضح بيان، فيحسم الأمر وينتهي كل نزاع، سواء أكان ظاهراً أم كامناً في الصدور، ولكن الأناجيل الأربعة لا تؤدي ما تؤديه آية واحدة من آيات القرآن الكريم، فهي وإلى اليوم لا تحسم ما بين الكنائس حول الطبيعة والطبيعتين، والمشيئة والمشيئتين، ولا يزالون مختلفين !.

فهل لك أن تقارن نزول القرآن الكريم على هذه الطريقة من الوضوح والتفصيل في حياة محمد ﷺ بصياغة أناجيل الأعاجم بغير لغة المسيح وبعد قرنين من ميلاده؟ فلماذا لم يتزل وحيهم والمسيح بين أيديهم؟ لماذا تركهم قروناً طويلة ضالين عن عبادة الثالوث، جملة تارة، أو بعض أفراده تارة أخرى؟.

هل لك أن تقارن نزول القرآن في الظروف الطارئة بما تتبعه ودقق فيه لوقا، ثم جنح إلى اليقين في مواضع منه، والتزم غلبة الظنون في أخرى؟[1]

لقد درس علماء التفسير أسباب نزول آيات القرآن الكريم، ففرقوا بين المكي والمدني، والعام والخاص، والمجمل والمفصل، وتعلموا أحكام دينهم على بينة وبصيرة، قال عبد الله بن مسعود: «**والذي لا إله غيره ما نزلت آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم فيما نزلت، وأين أنزلت، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته**»[2] .

---

١ - وذلك كعرضه في نسب المسيح حيث قدمه بعبارة «**وهو على ما كان يظن**»

٢ - تفسير الطبري جـ١ صـ ٩٥ رقم ٨٤ دار السلام تحقيق محمود وأحمد شاكر، وأخرجه البخاري في فضائل القرآن حـ ٥٠٠٢ ومسلم فضائل الصحابة حـ١١٤

❖ **فهل يمكن للنصارى أن يعرفوا أين دونت أناجيلهم؟**

إن لك أن تتحدى القوم أن يبرز من بينهم من يقوم **بدراسة علمية** يحدد فيها المكان الذي كتب فيه إنجيل من الأناجيل الأربعة؟

ألا يكفي عجزهم – الذي أنا على ثقة بأنه كائن – دليلاً على صدق الإسلام؟.



٥- الزعم بأن بحيرا هو واضع خطة الدين الإسلامي:

يدعي أن الكتاب المسيحيين الأوائل يصفون اللقاء بين محمد ﷺ وهذا الراهب الشامي بأنه المفتاح الذي يفتحون به مغاليق الأصل الحقيقي للقرآن، فهو – أي الراهب – كان مرتداً عن اليهودية والمسيحية، وهو الذي درَّس تاريخ الكتاب المقدس وما به من عقائد للنبي ﷺ والذي يعد مزيجاً متنافراً من اليهودية والمسيحية، وبذلك يكون بحيرا هو المسئول عن معظم السور المهمة في القرآن الكريم. [صـ ١٤٣، ١٤٤ من الترجمة]

۞ ورداً على هذا نقول:

يبدأ النصارى دراستهم للإسلام بطرح الأكاذيب، ثم يبحثون عن أدلة على هذه الأكاذيب، فإن لم يجدوا اخترعوا ما يعللون به هذه الصورة الفريدة من الإعجاز القرآني، فالقرآن يتحداهم، وليس بمقدورهم أن يلبوا التحدي، وهنا لا بد من البحث عن مبررات لعجزهم، أو تعليلات للظاهرة القرآنية تجنبهم حرج التحدي، وليس أمامهم سوى افتراض التعلم على يد أحد رهبانهم !

ولو دققت في الإمكانية العلمية للرهبان في تلك العصور فلن تجد أحسنهم حالاً أرفع من تلاميذ المدارس اليوم، فكيف يقدرون على ما يعجز عنه جهابذة كل عصر؟.

كتب القس بوش يصف حال التعليم في الكنائس المسيحية وقت بعث النبي ﷺ فقال: «**كان أشد أنواع الجهل يسود بين أمم المملكة**

المسيحية، ولم يكن الإكليريكيون مستثنين من هذا الجهل، فكان من بين الأساقفة عدد من الوعاظ التقليديين والمدافعين عن الكنيسة غير قادرين على إلقاء المحاضرات أو كتابة الموضوعات التي يحتم عليهم عملهم إنجازها، بل وكان منهم غير القادرين على المشاركة في مناقشة القرارات المجمعية التي يقررونها في مجامعهم» [صـ ١١٢ من الترجمة]

فهذا هو حال الرهبان الذين آثروا العزلة لعجزهم عن مسايرة الجدل العقيم حول الطبيعة والطبيعتين، والمشيئة والمشيئتين.

فهل تتخيل القيمة العلمية للأستاذ المعتزل للفلسفة إذا كان تلميذه قد بلغ هذا الشأن؟ .

أين بحيرا من الآباء حتى يتسبب في إحداث هذا التحول في التاريخ؟

إنها لأحدى الكُبَر !

مدرسة بحيرا !.

مدرسة ليس فيها ناظر ولا مدرسون. وإنما أستاذ واحد، الدراسة تستغرق على يديه ساعة أو نصف الساعة، بعدها يتخرج عابرو السبيل متفوقين على الإنس والجن.

هذه المدرسة البحيرية لم يدخلها من العالمين سوى محمد ﷺ !

ولم يتخرج منها سوى محمد !.

دخلها وعمره اثنتا عشرة سنة ! .

وتخرج منها وقد زاد في عمره ساعة أو نصف الساعة !.

لكن علمه اتسع بما يفوق قدرة العالمين إلى قيام الساعة !

هذه اللحظات من الدراسة كانت مفيدة بما يكفي لإنجاز كتاب يتحدى الإنس والجن إلى يوم الدين. فالمادة التي درسها تسمى «**تاريخ الكتاب المقدس**» وهي إحدى مقررات كلية اللاهوت.

ولكن النتيجة مختلفة، والتجربة الناجحة لا تتكرر في التاريخ.

ولما كانت هذه الرحلة بهذه النتيجة صارت عند القس بوش رحلات، «**داخل بلاد العرب وخارجها، مما أتاح له التعرف على عقائد ومذاهب الأديان المختلفة في العالم خاصة ما يتعلق منها باليهودية والمسيحية، وهما الدينان السائدان آنذاك**»[انظر صـ ١١٦ من الترجمة]

يجوز أن ينقل بعض المسلمين في مؤلفاتهم ما شاءوا من المسيحية الفاسدة، كقصة داود وامرأة أوريا ولكن القرآن الكريم لم يقع في سقطة واحدة من تلك السقطات، فكيف يدعي بوش بأنه ﷺ تعلم على يد قسس أفاض وزاد في وصفهم كثيراً بالفساد والجهل؟.

والغريب أن بوش يظن أن محمداً قرأ ما في المسيحية من فساد، ولكنه أخذ منها وترك، وقبل ورفض، فما الذي قبله وما الذي رفضه؟ .

رفض منها ما قال بوش إنه انحراف عن المسيحية الصحيحة كعبادة الصور والعذراء !

فلماذا لا يكون ما جاء به محمد هو الدين الصحيح؟

ولماذا لا تكون الكنيسة هي التي ارتدت عن الدين الصحيح؟

❁❁❁

٦- دعواه بأن شهرة النبي ﷺ راجعة لطبيعة البيئة.

يزعم في صـ ٣٥٦ أن العصر الذي ظهر فيه النبي والبلاد التي بزغ فيها نجمه كانا يتسمان بالفظاظة والبربرية، وربما كان مستواه (الحضاري) عظيماً بين القبائل البدوية، ولكنه ما كان ليكون كذلك لو عاش في المحيط الأوربي المتحضر؟.

۞ ورد على هذا نقول:

حتى تتضح الصورة نطرح السؤال التالي:

- **هل لو عاش أرسطو في جزيرة العرب كان سيكون هو نفس أرسطو الذي نسمع عنه اليوم؟**

إن الأمانة في الإجابة على هذا السؤال تؤكد أنه كان من الأسهل لو عاش ﷺ في الجو الثقافي الذي نشأ فيه أرسطو، ربما ما تأخر أكثر من عشر سنوات في مكة يحرث في بحر من الجهل لا حدود له، فالبدو أصعب انقياداً، وأكثر تمرداً وعناداً، واستمع إلى وصفه تعالى إياهم:

﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾ (التوبة ٠٩٧)

ولهذا فهم لا يعرفون حدود ما أنزل الله على رسوله، ولا يقدرون لذي فضل فضله، ومن عجائبهم عدم مرعاة الذوق والأدب، والخشونة غالبة في معاملاتهم، ولم يصل محمد ﷺ ليصبح زعيم عشيرة من عشائرهم، فأول المناوئين له هم سادات قومه، وتأمل شأنه وهو يعرض نفسه على

زعماء القبائل في موسم الحج، وكيف جاوز بعد ذلك بمبادئه وقيمه الأخلاقية كافة زعماء القبائل في التقدير والاحترام، فكان حاله بين بني قومه فريداً، والفرق بينه في الجزيرة العربية وبين أرسطو في الإمبراطورية اليونانية أنه ﷺ جاء يخاطب الأميين في الجزيرة العربية والعلماء خارجها بأسلوب واحد، في عصر الرسالة وإلى قيام الساعة، ولو ظهر محمد في الرومان كان استدلال بوش وحزبه اليوم على أنه لم يكن أمياً أظهر، ولكن شاء ربك أن لا يدع منفذاً للباطل في أية جزئية من الجزئيات الفرعية التي يعرضها للحق، فجعل بداية أمره ﷺ التحدي في أجهل أمم الأرض، ونهايته في أكثرها تفوقاً ونبوغاً، من بعثته وحتى قيام الناس لرب العالمين!.



٧- زعمه بأن القرآن مضطرب وغير متسق:

يدعي في صـ ١٨٤ من الترجمة أن القرآن لو ظهر جملة واحدة لأدى التمعن في محتوياته، ومقارنة سوره وآياته بعضها بالبعض الآخر إلى اكتشاف عدم اتساقه، ولربما صعب على محمد ﷺ أن يجد إجابة لما يواجهه من أسئلة بهذا الشأن ولاستحال عليه أن يكون مقنعاً.

۞ ورداً على هذا نقول:

هل يعقل أن تستدعي جامعة بريطانية أحد الجهلاء باللغة الإنجليزية لمناقشة رسالة علمية عن أعمال شكسبير الأدبية؟ .

هل تعلم أن هذا الرجل الذي يحكم على القرآن الكريم بأنه مضطرب وغير متناسق لا يعرف العربية؟ .

هل تعلم أنك لو قدمت لهذا الحبر العلامة ورقتين إحداهما باللغة الفارسية والأخرى بالعربية ما استطاع أن يفصل بينهما؟

هل تعلم أن هذا الجهبذ لم يرجع إلا إلى ترجمة المبشر سيل للقرآن الكريم وهي كما يصرح في صـ ٩٤ تقع في مجلدين، كما أنها نالت شهرة لا حدود لها لرداءتها.

ورغم أن العارفين باليونانية قد أجمعوا على رداءة صياغة إنجيل مرقص وتفاهة معانيه، حتى عزاه أكثرهم إلى كاتب عامي لا يحسن صياغة العبارة، وآخرون عذروا كاتبه معتبرين عمله باكورة القصص الإنجيلي، رغم ذلك فإني أخجل أن أذهب إلى محاضرة ومعي نسخة من ترجمة هذا

الإنجيل لأخبر طلابي بأن هذا الإنجيل مضطرب وغير متسق !.

فهل قال العرب عن القرآن الكريم ما قاله العارفون باليونانية عن إنجيل مرقص؟.

ألا يوجد من يذكر هذا المغرور بأن عليه:

- أن يتعلم قبل أن يعلم.
- وأن يتفقه قبل أن يفقه.
- وأن لا يحكم إلا فيما يحسن ؟؟.

إنه مع الأسف يطرح افتراضات لا تستند على أدلة، وربما لو قرأ ترجمة أخرى للقرآن الكريم لما وجد ما يدعو لطرح أغلب هذه الأسئلة، ولكنها ترجمة حرفت لتثير أسئلة لا إجابة عليها. والحكم الصحيح على الكتاب يكون على نصه وليس على ترجمته، ولكن النصارى لم يتعودوا الحكم على المصادر الأصلية، لا في دينهم ولا في دين غيرهم، ومع ذلك فهم أكثر الأمم ادعاءً للموضوعية.

فلماذا لم يعرض صور الاختلاف والاضطراب بين سور القرآن الكريم وآياته؟.

ألا يلفت جهله بالإسلام نظرنا إلى عدم معرفته كذلك بالمسيحية؟.

فالمسيح كان يكتب ويتحدث الآرامية، فسل القوم اليوم بأية لغة كتبت أناجيلهم؟.

لقد كتبت بلغة لم يعرفها ولم يتحدث بها المسيح.

فمن أين ترجمت وكيف عرف لوقا ما قاله أو لم يقله المسيح؟

أليس من حقنا أن نسأل عن مصادره التي دقق وجمع مادته من بين نصوصها؟.

ثم النسخ الأصلية أين هي؟ .

ألا يجوز أن يكون مترجمها على شاكلة القس (سيل)؟ .

ولكن ما ثمرة ذلك إذا لم يضع الثالوث تحت أيديهم كتاباً مقدساً؟.

إنهم يختارون من رسائل بولس ما يخدعون به أبناءهم والمغرر بهم من غير أبنائهم، ويحاولون تجنب ما يتشابه مع أسلوب مزارعي الحقول، من التحيات والسلامات «**ألف مليون سلام**» «**وألفين سلام وتحية**» وإليك مقتطفات من السلامات والتحيات، من ختام الرسالة الثانية إلى تيموثاوس: «**سلم على فرسكا وأكيلا وبيت أنيسيفورس.**

أرَاستُس بقي في كورنثوس.

وأما تُرُوفيمُس فتركته في ميليتُس مريضاً.

بادر أن تجيء قبل الشتاء.

يسلم عليك أفْبولس وبوديس ولينُس وكلافدِيَّة والأخوة جميعاً، الرب يسوع المسيح مع روحك النعمة معكم آمين»باي مع السلامة !

«حينما أرسل إليك أرْتيماس أو تيخيكُس بادر أن تأتي إلى نيكوبوليس، لأني عزمت أن أشتي هناك، جهز زيناس الناموسي وأبلوس باجتهاد للسفر حتى لا يعوزهما شيء» [مقطع من ختام رسالة بولس إلى صديق عمره تيطس].

ولو قلنا إن هذا وحي الله، فبإمكانك أن تتصفح أية جريدة فتجد

مقالات لأقل الكتاب قيمة، فهي بلا شك أرقى بياناً مما يظن النصارى أنه وحي الله !.

فكيف يترك المسلمون كتابهم المحكم إلى التصديق بكتب لا إحكام فيها ولا إتقان؟.

لم تستطع الترجمة أن تحسن رداءة هذا الأسلوب، بخلاف بقية الفقرات التي يبذل المترجمون كافة الجهود فما يدرون أيترجمون أم يؤلفون؟ .

فهم يخرجون عن المعنى الأول، ثم يتجاوزن الثاني، والثالث، كل هذا في سبيل خداع البشر بأن مثل هذا هو وحي الله تعالى.

لقد لاحظ «**تاتيان**» الشقاق المبكر بين المجموعات المسيحية حول المقدس وغير المقدس من الأسفار، وقد آلمه كثيراً أن تكون الأناجيل أربعة، فأراد أن يعالج التكرار، وتمنى لو صيغت الأناجيل في إنجيل واحد، وبالفعل أنجز «**الدياطسرون**» وكاد أن يحل محل الأناجيل الأربعة، ولكن أمام إصرار إيرينيوس ضاعت كل جهود تاتيان.

و لم تتح للكنيسة بعد هذه المحاولة التي جرت نهاية القرن الثاني الميلادي فرصة لترتيب وتنسيق الجهود لإخراج كتاب مقدس على درجة لائقة من التنسيق والتنظيم، بل وصل الأمر إلى حد عجز المجموعات المسيحية عن وقف تكرار النصوص، وكان في مقدورها الاستغناء عن إنجيل مرقص برمته إذ تكررت مادته في إنجيلي متى ولوقا، وكان بإمكانها صياغة الأناجيل الثلاثة بعد استبعاد مرقص في إنجيل واحد، وفي هذه الحالة لن يكون ثمة حاجة لأن يُكتب اسم «**متى**» على الأول، ولا يخترع اسم

يوحنا للأخير، بل تكفي كلمة «**الإنجيل**» للدلالة على عنوان كتاب نزل على المسيح عليه السلام.

والمعروف بداهة أن الكتب السماوية لا يصح نسبتها إلى البشر كائناً من كانوا، وقد أنزل الله ﷻ التوراة على موسى والإنجيل على عيسى والقرآن الكريم على محمد عليهم جميعاً الصلاة والسلام، وقد نسبت هذه الكتب إلى الله ﷻ، ولكن النصارى ما فتئوا يوزعون أناجيلهم على البشر، وقد أثار صنيعهم العديد من الأسئلة منذ فجر المسيحية فإذا كان كتبة الأناجيل قد مدحوا ما يجهلون، فقد راح بوش يكيل الذم لما لا يعرفه !

ولكن يأبى الله إلا أن يجعل الباطل باطلاً في ذاته، وإذ اقتضت حكمته ﷻ أن يكون الحق حقاً في ذاته اقتضت حكمته كذلك أن لا يحتاج الباطل إلى براهين لإبطاله خارجةً عن ذاته، فمقدمة لوقا تنبه قارئي الأناجيل إلى أنهم يقرؤون قصص جمع مؤلفوها مادتها العلمية بتدقيق، فهي ليست كلام الله تعالى.

والاختلاف بين الأناجيل الأربعة حجة على من يعتقد أنها كلام الله تعالى.

والقاعدة التي تميز كلام الله تعالى عن كلام البشر هي أن كلام الله لا اختلاف فيه، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ . (النساء ٨٢)

وهكذا تقام الحجة على أهل الإنجيل بما تحت وبما ليس تحت أيديهم.

ولعمري أين هم الآن مما تحت أيديهم؟

هل نزلت أناجيلهم جملة واحدة لتتفادى هذا المأخذ؟

هل تأكدوا أن ما رآه متى أو ظنه لوقا من نسب معبودهم هو وحي الله تعالى حقيقة؟ إنك لواجد صعوبة في فهم تعدد الأناجيل.

وتعدد الأقانيم. واتحاد اللاهوت والناسوت.

وكل هذه أمور صعبة الفهم لا تحسمها أناجيل ولا مجامع.

والغريب أن النصارى مع جهلهم بالأناجيل يدعون فهم القرآن الكريم، فتجدهم يخبطون خبط العميان، ثم يدعون العلم والموضوعية، فلو قرأ القس بوش ترجمة سورة الفرقان في مصدر أمين لما استسهل صياغة تلك العبارات، فهو لا يقرأ إلا ما يكتبه الضالون المضلون من أهل ملته.

لقد تعنت الكفار وطلبوا أن يترل القرآن جملة واحدة، فعرض القرآن الكريم لقولهم ورد عليهم في آية واحدة، قال تعالى:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ . [الفرقان]

لقد نزل القرآن الكريم مفصلاً و لم يقدروا أن يستخرجوا منه تناقض.

ألا يكون هذا الاعتراض أوجه لو نزل جملة واحدة؟؟.

لقد أخذنا على أنفسنا أن لا نتصدى للرد على من يتحدى القرآن الكريم، ذلك أنهم لا يأتون بمثل إلا أتاهم الخالق بالحق وأحسن تفسيراً، قال تعالى:﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الفرقان]

إن علينا فقط أن نتأكد من وضوح الترجمة الإنجليزية لقوله تعالى:

﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الطور]

فهل فهم بوش الحالي أو (ما) سبقه من أبواش معنى هذه الآية فلم يأتوا بمثله لأنهم رأوه مضطرباً وغير متسق؟

إن على المسلمين أن يتأكدوا من وصول ترجمة هذه الآية بصورة واضحة إلى هؤلاء المخدوعين، وإن كانت واضحة، فلماذا لا يلبي أجداد بوش وأحفاده هذا التحدي؟ .

إن باب التحدي مفتوح على مصراعيه، ليأت من استطاع بكلام يشبه القرآن الكريم في أي لغة من لغات العالم، بحيث يستحيل على المتحدثين بلغته أن يأتوا بمثل حديثه، فليست العربية فقط هي مناط التحدي بل التحدي يشمل الجن والإنس، والعرب وغير العرب، ونحن ممتنون لمؤلفي «**الفرقان الحق**» فقد أثبتوا بعجزهم قدرة الله، وبجهلهم علم الله، ذلك أنهم حاولوا استخدام ألفاظ القرآن الكريم في صياغة معان جاشت بها صدورهم، فكانوا كلما ركزوا على اللفظ ضاع المعنى، وإذا حاولوا استرجاع المعنى لم يجدوا الألفاظ التي يعبرون بها، ولهذا ظهر العمل وتوارى عاملوه خجلاً من متحدثي العربية. ذلك أن أردئ الكتب العربية تأليفاً هي أوضح من كتابهم معنى، وأحسن منه أسلوباً، وكفانا صنيعهم برهاناً على إعجاز القرآن الكريم.





الفصل الثالث

الرد على دعواه حول معجزاته ﷺ

الفصل الثالث

الرد على دعواه حول معجزاته ﷺ

هناك قاعدة يسير بمقتضاها علماء اللاهوت وهي أنه: «إذا عجزت عن أمر فحقق ذاتك فيما هو أيسر منه» إنه على المرء أن لا يواجه في حياته إلا الأسهل، لهذا يعزف النصارى عن تحدي القرآن الكريم، ويتشبثون بالاعتراض على معجزات تاريخية يمكن الطعن فيها بما يؤدي إلى التشكيك في الدين الذي قام عليها.

لا شك أنه يجب أن نفرق بين من يدعي المعجزات الحسية ومن لا يدعيها، فمن يدعيها يمكن الدخول إلى إبطال رسالته من هذا الجانب، لكن كيف الحال مع رسول لم يدع هذه المعجزات؟.

لقد أمد الله تعالى رسوله محمداً بمعجزة ليست لإثبات رسالته فقط، وإنما لإثبات ما سبقها من رسالات اعتمدت على المعجزات الحسية، هذه المعجزة تتحدى الناس كافة، ولا يتصدى لها أحد من المعاندين.

لا شك أن العجز الظاهر في تحدي القرآن الكريم قد سبب للنصارى الإرباك والكثير من الآلام النفسية في أغلب الأوقات، فالتخلي عن دينهم لا يقبلون به، وإبطال الإسلام المستند على معجزة القرآن الكريم مستحيل عليهم أن يحققوه، وما بين المستحيل وغير المقبول تكمن عقدة التعصب لدي بوش وأتباعه، وهذا ما سوف نراه في الشبهات التالية:



١- الزعم بأنه ﷺ كان يتملص من مطالب قومه.

يزعم في صـ ٢٠٦ من الترجمة أن النبي ﷺ كانت تؤثر فيه مطالب قومه الخاصة بإثبات نبوته، والتي لا تعدو أن تكون طبيعية، نحو إحياء الموتى، وإنطاق الأخرس، وإخراج الماء من الأرض، وغير ذلك، فكان يرد عليهم مراراً بأنه ليس إلا بشراً يبشر المؤمنين ويتوعد الكافرين.

۞ورداً على هذا نقول:

ستجد موقف المستشرقين في هذه النقطة يدور بين أمرين متناقضين:

- فمن جهة يحرصون على إظهار المسلمين وكأنهم يعتمدون في صدق رسولهم على المعجزات الحسية.

- ومن جهة أخرى يدعون أنه ﷺ كانت تؤثر فيه مطالب قومه الخاصة بطلب هذه المعجزات.

وبهذا يطعنون من جانبين، فمن جانب يصبح الرسول بلا دليل واضح على صدقه، ومن جانب آخر يتذرعون باللامعقولية إن اضطروا إلى التسليم بحدوث تلك المعجزات. ومع ذلك فهم يؤمنون بعقائد أبعد ما يكون العقل عن إدراكها، فأي معقولية في أن يؤمن مسيحي مثقف بأن إلهه صلبه أعداؤه؟ .

وأي معقولية في الإيمان بدفن الإله أو قيامته من قبره وطيرانه في الهواء فوق رؤوس أتباعه؟ .

ألا يعلم هؤلاء أن اليهود لم يسلموا للمسيح بشيء من معجزاته، بل

نسبوها إلى بعلزبول، (الشيطان). ولم تقنع آياته الحسية في النهاية سوى ١٢٠ فرداً من جهلة اليهود، ولا يزال الذين اقتنعوا بتلك المعجزات أخفض الناس صوتاً، وأضعفهم برهاناً، ذلك أن أدلتهم تقوم على أنه:

- إما أن نسلم بهذه المعجزات.
- وإما أن نسلم بكذب الرواة.

ولكن ليس أحد على ظهر الأرض يعرف من هم الرواة حتى نقتنع بصدقهم أو بكذبهم، ولك أن تجاهر بهذه الحقيقة في كل مكان، وللقوم أن يجتهدوا كيفما شاءوا ليتعرفوا على كتبة أناجيلهم، وليس لديهم من دليل سوى تقاليد لا يمكن تتبعها قبل أواخر القرن الثاني الميلادي على أحسن تقدير.

وبهذا تدرك لماذا لم تكن الآيات الحسية برهاناً على صحة رسالة الإسلام؟.

ذلك أنه لو جعل برهان صدقه عجيبة حسية فسوف يترتب على ذلك أمران:

۞ أحدهما يتعلق بالعجيبة نفسها:

- حيث تختلط على الناس بما يفعله السحرة.
- حكاية العجائب متواترة وقد ألفها الناس في كل زمان.[1]

١- وما يراه بوش من معجزة البوابة التي حملها علي كرم الله وجهه- والتي يعجز عن حملها أولي العصبة من الرجال [انظر صـ ٣٢٠ من الترجمة] هي ليست معجزة ولكن من شاء أن يشاغب فيتخذها ذريعة لزعزعة ضعفاء الثقافة من

۞ والآخر يتعلق بالدين وهو:

- ربط رسالة الإسلام المستمرة أبد الدهر بعجائب حسية يجعلها وقتية.
- ربط رسالة الإسلام العالمية بمعجزة حسية يجعلها محلية.

لهذا كله لم يكن القصد من المعجزات الحسية التي أجراها الله على يد النبي ﷺ إثبات رسالته، ذلك أن رسالته كانت تتجه إلى العالمية، وهي لا تحتاج معجزات حسية تقيدها زماناً ومكاناً، وحسبك من رسالة تقوم حجتها على العقل، وأخرى لا تقوم إلا على غرائب وأعاجيب، تقنع هذا ويتشكك فيها بعد ذلك من يشاء.

لهذا لم يعول ﷺ في إثبات رسالته على المعجزات الحسية، لأنه يلزم أن يكررها أمام كل معاند، ولم تقع له ﷺ معجزة من هذا النوع سوى « **انشقاق القمر**»، فهي معجزة حسية واجه بها الكفار ليلة من الليالي المقمرة في مكة، فقطع بها تعنتهم ومضى بعدها التحدي كما كان بالقرآن الكريم.

والمعجزة على العموم برهان صدق من جاء بها بصرف النظر عن نوعها:

- عصا في يد موسى.

المسلمين في توحيد الله تعالى، وهي في الواقع عمل يمكن أن تصوره أفلام الكرتون للأطفال وقد يستصغرونها، لكن القس بوش لا يجد ما يمنعه من قبول معجزات الأطفال طالما أنها تغنيه عن التصديق بمعجزة القرآن الكريم

- أو ناقة يتحدى بها صالح قومه.
- أو ميت تعود إليه الحياة.
- أو صاحب علة مستعصية تُذْهب الرسول عنه علته

ومن يكفر بمعجزة إحياء الموتى على يد المسيح، لن يؤمن لو جاء محمد بالآلاف منها، فلا ضرورة إذن للمعجزات، ولا فائدة من تكرارها، وقد جاء الأنبياء السابقون بالآيات الحسية، فما كان أيسر على المكذبين من أن ينعتوها بالسحر، و لم ينقطع تعنتهم بكثرة ما عرض عليهم منها.

وإصرار اليهود وإلى اليوم على رفض معجزات المسيح لهو البرهان الدامغ على عدم جدوى المعجزات الحسية، فهذا هو ديدن المكذبين، كلما جاءهم رسول بمعجزة سألوه أخرى، وها هي حكمة الله تتجلى في رفع الآيات الحسية، ورفع عذاب الاستئصال المترتب عليها.

لقد سأل أهل مكة رسولنا ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن ينحي الجبال عنهم فيزدرعوا، فقيل له: إن شئت أن تستأني بهم وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا أُهلكوا كما أهلكت من قبلهم، قال: لا. بل أستأني بهم، فأنزل الله ﷻ هذه الآية: [1]

﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الإسراء]

---

١ - الإمام أحمد حـ ٢٢١٧

❖ **فهل هناك ما هو أعجب من ناقة ثمود؟**

ومع ذلك فقد عقروها، وأصروا على عنادهم، واستكبروا استكباراً، وإذ يقدم القرآن الكريم موقف الضالين من قوم ثمود، فإنه يكشف بما مضى عما هو صائر، «فليست الخوارق مما يغني النبي في دعوة المكابر المفتون، إنه ليزعمها ضرباً من السحر أو السكر ولو فتح له الأنبياء باباً من السماء» قال تعالى:

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجر]

ومع ذلك «**جاءت الخوارق طائعة لمحمد ﷺ فصدقها الناس، وأبى لهم أن يصدقوها أو يفهموها على غير حقيقتها، فقد مات ابنه إبراهيم وكسفت الشمس ساعة دفنه، وتصايح المسلمون حول القبر، إنها لآية من آيات الله أن تنكسف الشمس لموت ابن محمد ﷺ فلو كان صلوات الله عليه ممن يتصيدون الخوارق أو ينكرونها لأنهم لا يستطيعون أن يدعوها لما كلفته هذه الخارقة إلا أن يسكت عنها فلا يدعيها ولا ينكرها ولكنه لم ينس في ساعة حزنه أمانة الهداية للمؤمنين بدينه، وبادرهم لساعتها مذكراً لهم بآيات الله تعالى**» [1]

قال البخاري: «**حدثنا عبد الله بن محمد قال: حدثنا هاشم بن القاسم**

---

١ - حقائق الإسلام وأباطيل خصومه عباس العقاد صـ ٥٩/ مطبعة مصر أولى ١٩٥٧م.

قال: حدثنا شيبان أبو معاوية عن زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة قال: كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ يوم مات إبراهيم فقال الناس: كسفت الشمس لموت إبراهيم.

فقال رسول الله ﷺ إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم فصلوا وادعوا الله» [1]

ولو أنه كانت تؤثر فيه مطالبة قومه الخاصة بإثبات نبوته لسكت عنها، وإذاً لحسبوها له معجزة لم يتحقق مثلها لإله النصارى ساعة صلبه، ولو كان ﷺ من الذين لا يقرون بالمعجزات ما قدم معجزة غير تلك التي أنكرها، ولكنه اكتفى بالقرآن الكريم دليلاً على أنه مرسلٌ من قِبل الله تعالى، ليس صانعاً للمعجزات، فهو لا يملك تحديد نوع ما يجريه الله على يديه من خوارق، ولا التحكم فيه إذا جرى، لا يقدر أن يوقف معجزة تحركت أو يحرك أحداث معجزة توقفت، فالفعل المعجز دائماً بيد القدرة الإلهية توجهه كيفما تشاء، حجة على المكابرين والمستنكفين، فأمام هؤلاء تمضي وإلى أبد الدهر بارجة الإعجاز القرآني، لا يملك أحد أن يوقفها أو يبطل حركتها، ونحن الآن كما كان المعاصرون لنزول القرآن الكريم، تتجلى أمام أعيننا ألوان من الإعجاز في تطابق الآيات القرآنية مع الحقائق العلمية. بينما لا يزال علماء اللاهوت منهمكين منذ عشرين قرناً في البحث عن حل مقنع للخلاف بين متى ولوقا حول نسب المسيح!

وبين فترة وأخرى يعثر المستكشفون على إنجيل لا تعترف به الكنيسة،

---

١ - صحيح البخاري جـ ١ صـ: ٣٥٤ حديث ٩٩٦.

ولك أن تسأل لماذا لا يعثر هؤلاء المستكشفون بالمقابل على قرآن لا يعترف به المسلمون؟ ذلك أن القرآن كلام الله لن يقدر بشر أن يأتي بمثله، بينما لو شاء النصارى أن نؤلف لهم أناجيل فعلنا، لأن كاتبيها بشر مثلنا. وقد حاول بعض المشركين أن يأتوا بمثل القرآن فما استطاعوا، وكان آخر ما صنعوا كتاب الفرقان الحق، فكان صنيعهم برهاناً على صدق التحدي، واستمرار الإعجاز، فقد أكدوا بجهلهم علم الله، وبعجزهم قدرة الله، ولو أمسكوا ما ظهر ذلك كما هو الآن، فعندما يوضع صنيعهم بجوار القرآن الكريم يزداد المؤمنون إيماناً على إيمانهم، ولو قلنا: إن محمداً هو صانع القرآن، وأكد الواقع عجز هؤلاء عن الإتيان بمثل ما جاء به، كان محمد الذي ينسبون إليه القرآن صانعاً للمعجزات، لكننا نؤمن بعجز محمد وغير محمد، فهو ﷺ له حد من الفصاحة ينتهي إليه، وأما القرآن الكريم فقد خرج عن حدود القدرة البشرية في البيان، وبلغ حد الكمال الذي لم يصل إليه أديب في لغة من لغات العالم في تاريخ الإنسانية.

فرسالة الإسلام ممتدة زماناً ومكاناً، ولهذا وجب أن تكون الآية المؤيدة لها كذلك، فكانت دون سائر المعجزات كلاماً يتلى أبد الدهر، ولم تكن الحكمة أن يأتي بمعجزات حسية تنتهي بعصره، وتكون قابلة للتشكيك بعد عصره، فكانت معجزة تحمي ما سبقها من معجزات وقتية، ومن ينكر إعجاز القرآن فلينكر ما تضمنه من معجزات لموسى وعيسى، والتي لا يمكن إثباتها من طريق آخر، فقد أصبحت المعجزات التي يتشدق بها النصارى أخباراً تاريخية. ولو لم يكن القرآن الكريم قد ذكر منها ما ذكر

لما كان في مقدورنا أن نجزم بأن المسيح فعل منها ما فعل في ظل تضارب الأناجيل واختلافها حول عدد المعجزات وترتيبها وتفاصيل أحداثها.

فقد بالغت الأناجيل في معجزات المسيح حتى ظن كاتب الإنجيل الرابع أنها لو كتبت واحدة واحدة فإن العالم لن يسع المكتوب. ومع ذلك لم يسجل منها سوى ثمان معجزات ظناً منه أنه بالإمكان أن تحدث تلك المعجزات إيماناً راسخاً في قلوب معاصريه، وعبثاً يمكن أن تحقق حكاية معجزة ما لم تحققه المعجزة نفسها، فاليهود الذين شاهدوا المعجزات بأم أعينهم لم يعترفوا بدين المسيح، والذين صدقوها لا يزالون مختلفين حول حقيقة المسيح، ولا تذكر الأناجيل أن المسيح هو صانع المعجزات بذاته، ولا تدعي أنه إله، وللفصل بين قدرة الله وعجز المسيح كانت كلما ذكرت عدداً من المعجزات تعود لتعلن أنه لا يستطيع إظهار معجزة واحدة تقنع اليهود، ولا حتى إبليس، فقد طلب إبليس منه على سبيل الامتحان معجزتين[1]، فما أجاب بواحدة، واعترف في الثانية أنه لا يليق بالمربوب أن يجرب ربه، بل مقتضى العبودية مراعاة الأدب وعدم التجربة.

ولو طلب المسيح من إبليس أن يلقى بنفسه من السماء السابعة على سبيل التعجيز لفعل وما حدث له سوء، فأي شيء كان يخيف إله آل بوش من القفز من فوق جبل من جبال فلسطين لو كان قد مشي فعلاً على الماء، وأي شيء يحول دون أن يجعل الحجر يتحول في يده خبزاً لو كان بالفعل قد استطاع أن يحول الماء إلى خمر كما يدعون؟ .

---

١ - متى ٤ : ٣- ٩

إنه ليعجز عن هذا وذاك، كما يرفض أن يلبي مطالب اليهود المتكررة، ويصر أمامهم على أنه لن تصدر عنه معجزة إليهم البتة.

ورغم أنه قطع أملهم في الحصول على أية معجزة بقوله: (لن يعطى هذا الجيل آية) استمروا في الإلحاح حتى أجابهم بآية يونان النبي[1] فطلب الكتبة والفريسيون معجزة فما أظهرها أمامهم ولا أحالهم إلى معجزة سبقت منه، رغم أنه كان قد فعل قبل طلبهم أو بعده الكثير من المعجزات، لكنه سرعان ما نعتهم بالفسق وهو الذي كثيراً ما ردد: (باركوا لاعنيكم) .

وفي إنجيل يوحنا (**أجاب يسوع وقال هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذي أرسله، فقالوا له فأية آية تصنع لنرى ونؤمن بك، ماذا نعمل؟.**

آباؤنا أكلوا المن في البرية كما هو مكتوب أنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا)[2]

فلم يقدم لهم آية مثل التي جاء بها موسى ﷺ عندما أنزل على شعب إسرائيل المن والسلوى، فالمسيح يأتي بمعجزة ويعجز عن أخرى، وفي وقت دون آخر، ليفصل بين قدرة الله تعالى المطلقة وعجزه الظاهر، ولكن الأتباع لم يفهموا هذا ففكروا في ترك المتبوع، بعد أن بدأ يقدم نفسه كطعام لهم: (فمن يأكلني فهو يحيى)

فاستصعب التلاميذ هذا الكلام وابتدءوا ينفضون من حوله (ومن هذا

١- متى ١٢ : ٢٨ ، ٢٩

٢- يوحنا ٦ : ٢٩ - ٣٠

الوقت رجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء و لم يعودوا يمشون معه).

[يو ١٩ / ٦٥، ٦٦]

فأي معجزة فعلها المسيح وأقنعت اليهود؟

وأي معجزة فعلها حالت دون رجوع أصحابه من خلفه؟

لقد أطعم خمسة آلاف من خمسة أرغفة وسمكتين، وفي النهائية لم يزد أتباعه عن مائة وعشرين من جهلة الصيادين، فأين ذهب أربعة آلاف وثمانمائة وثمانون شخصاً أكلوا من سمكه؟

وأين اختفى المائة والعشرون لحظة الصلب؟

أين هم الذين اقتنعوا بمعجزاته الحسية؟

وسواء أوقع الصلب عليه أو على غيره فقد أربك الأتباع وغير الأتباع، وأبطل صلبه ما كان قد جرى على يديه من معجزات !

❁❁❁

٢- الزعم بأن المعجزات لا تنطلي إلا على السذج.

يدعي في صـ ٢٠٧ من الترجمة أن أتباع النبي ﷺ الأكثر سذاجة عزوا إليه عدة معجزات كشق القمر وتقدم الأشجار للقياه، ونبع الماء من بين أصابعه، وإخبار كتف الضأن له أنها مسمومة، وغير ذلك، لكن الكتاب الموثوق بهم لم يوردوا هذه المعجزات، والمعجزة التي أكدها هو نفسه وأنصاره الأذكياء هي القرآن الكريم.

۞ورداً على هذا نقول:

يعود القس ليكذب هنا ما قاله في الشبهة السابقة، فقد رأيت كيف ظن أن النبي ﷺ كانت تؤثر فيه مطالب قومه الخاصة بإثبات نبوته، لأنه لم يملك ما يقنع قومه بصواب ما جاء به، والآن يخرج علينا بقائمة من المعجزات كشق القمر وتقدم الأشجار للقياه، ونبع الماء من بين أصابعه، وإخبار كتف الضأن له أنها مسمومة، فيسرد علينا معجزات يدعي أتباعه ﷺ نسبتها إليه، وهل أتباع عيسى يفعلون أكثر من هذا الإدعاء؟.

ولعمري .. إن ادعاء أصحاب محمد ﷺ لا يتطرق إليه شك، ذلك أنهم شهود عيان، بينما لا يقطع باحث بأن مدوني معجزات المسيح كانوا شهود عيان؟.

ولعمري.. كيف لا تنطلي هذه الادعاءات الحسية إلا على السذج، وقد انطلت عليكم معجزات مشكوك في نسبتها إلى المسيح واتخذتموه على أساسها إلها، مع أن الأناجيل تتناقض فيها من كل الوجوه.

فتأمل معجزات إخراج العفاريت من أجساد المجانين، وحاول أن تفرق بينها وبين ما يقوم به دجاجلة الأحياء العشوائية.

تأمل كيف تملأ معجزات إخراج العفاريت الأناجيل الثلاثة الأولى، ويخلو منها الإنجيل الرابع الذي وصف المعجزات بأنها لو كتبت واحدة واحدة فإن العالم لن يسعها من كثرتها، فهل وضع في اعتباره هذا اللون من المعجزات الذي يتشابه مع أفعال الدجاجلة والمشعوذين؟.

ومع ذلك فجميع المعجزات التي ذكرتها الأناجيل لا ينطبق عليها شروط الإعجاز:

فمعجزة تحويل الخمر، لا تعتبر معجزة لأنها تعتمد على شهادة السكارى.

ومعجزة مشي المسيح على الماء تمت بالليل فلم يتم التيقن منها.

ومعجزة إسكات الريح تحتاج إلى تكرار في أوقات يحددها من يتحداهم حتى لا يظنوا أنها تغير في الطقس!

ومعجزة شفاء ابن رجل من حاشية الملك أجراها المسيح عن بعد، وحسب تقدير التفسير التطبيقي كان ابن خادم الملك على بعد ٣٢ كيلو متراً تقريباً، وكان هذا الابن مريضاً بالحمى، والحمى ليست من الأمراض المستعصية، وإذاً فلا تستحق أن تسجل كمعجزة، لأنها لم تحدث أمام أتباعه، ولم يتحد بها أحداً من مكذبيه، فلو ادعى أحد أنه شفى مريضاً على هذه الصورة لن يلتفت إلى ادعائه؟

وأما معجزة شفاء مشلول بيت حسدا، فكانت متحققة لكل الناس

بالبئر قبل المسيح. فماذا لو قال قائل: إن المسيح حصل على بعض الماء لحظة تحريك الملاك للماء، ثم رشها على جسم هذا الرجل الكسيح بعد ذلك فقام ومشي !

ومعجزة شفاء الأعمى منذ ولادته قامت حولها اعتراضات كثيرة من المعاصرين لها، وتمثلت في عدم التعرف على شخص الأعمى:

- فبعضهم قال هو.
- وبعضهم أفتى بأنه غيره، فتفتيح البصر غير ملامح وجهه.

، ولم ير لا هؤلاء ولا أولئك المعجزة لحظة وقوعها، وإنما أحد المجهولين ربما يكون هو الذي رآها، وهو الذي قاد الأعمى إلى بركة سلوام. إن سلمنا بوجود ما يسمى بـــ (بركة سلوام)

ومعجزة إخراج لعازر من قبره انفرد بها يوحنا، ولم يشاهد أصحاب المسيح فصولها كاملة، فالذين شاهدوا المقدمة لم يروا النتيجة، والذين شاهدوا النتيجة لم يروا المقدمة، والمعجزة الحقيقية لا تكون إلا بإحياء ميت يتحلل جسده، وتنبعث منه رائحة الموت، كما حدث على عهد موسى عليه السلام ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [البقرة]

فلا بد للتحقق من المعجزة أن يرى الناس جثة لعازر وهي تتحلل وتنبعث منها الروائح المنفرة، فالتأكد من موته هو الذي يجعلهم يحكمون على المعجزة، فتدبر قوله (**ويريكم آياته**) إن الرؤية الأساس في كل معجزة فإذا تركتها الأناجيل (**وقد فعلت**) فقد تركت المعجزة.

ومعجزة إقامة ابنة (**يايرس**) من الموت[١] وإقامة ابن أرملة نايين[٢] يتشكك فيهما الشراح، ألا يمكن أن تكون حالتهما مجرد إغماء وليس موتاً حقيقياً؟

ابنة يايرس أقيمت من على الفراش، وابن أرملة نايين كان محمولاً على النعش، ولو قلنا إنها حدثت في الصيف فإن جو الشرق الحار يدفع أهل الميت إلى الإسراع بتجهيزه للدفن، وحمله إلى مقره الأخير، خوفاً من سرعة تحلل الجسد، وكم من حالات إغماء حدث فيها الدفن خطأ.

لهذا كله لم تقم رسالة نبينا ﷺ على مثل تلك المعجزات الحسية حتى لا تتحول إلى أخبار تاريخية يختلف الناس حول سندها ومتنها، وما هي إلا معجزة عقلية حيرت العقول، وأخرست الألسنة، وانتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى مخلفاً وراءه تحدٍ لا ينتهي بزمن، فليأت القس بوش أو الآتون من أحفاده بحديث مثل القرآن الكريم. لقد آتاهم ربك بما لا قبل لهم به.

إنهم لم ولن يفعلوا، وسيظلون مكتفين بوصف من يتحداهم بالذكاء، لماذا؟

ذلك أنه حسم أمره، فحرمهم متعة الجدل.

وأما معجزاته ﷺ من نحو تقدم الأشجار للقياه، ونبع الماء من بين أصابعه، وإخبار كتف الضأن له أنها مسمومة وغير ذلك من معجزات حسية، فقد وقعت دون تحدٍ سابق من الرسول، وبالتالي دون عجز لاحق

---

١ - [متى ٩: ١٨ -٢٦] و[مرقص ٥: ٢٢-٤٣] و[لوقا ٨: ٤٠ -٥٦]

٢ - [لوقا ٧: ١١-١٦]

من الكافرين، و لم يكن المقصود منها سوى زيادة إيمان المؤمنين، والترويح عن أنفسهم في أحرج الأوقات، ولهذا لم يدفع بها ﷺ في وجه الكافرين، ولكنها مع ذلك وردت في الكتب الموثوق بها بما لا يدع مجالاً للشك فيها، بل إن أضعف طرقها هي أقوى بما يفوق كل تقدير أصح أسفار الكتاب المقدس، فلليوم لا يستطيع **باحث** على ظهر الأرض — وأنا على وعي بما أقول - أن يقطع بأن كاتب إنجيل متى الحالي هو أحد تلاميذ المسيح، ولا أن ما كتبه متى هو الإنجيل الحالي، ولا تكاد تجد اليوم عالماً مسيحياً يعتقد أن يوحنا تلميذ المسيح الصياد العامي هو كاتب الإنجيل الرابع. وقل نحو هذا عن مرقص بن بطرس أو تلميذ بولس، وإن شئت كذلك أضف إليهم لوقا، ولأي شخص عادي أن يتحدى علماء اللاهوت أن يأتوا ببرهان يقطع بنسبة هذه الأناجيل إلى مؤلفيها، برهان واحد يقنع السذج من المسلمين أو العقلاء من غير المسلمين.

والحق الذي يجهله هؤلاء هو أن النبي ﷺ ما تحدى إلا بمعجزة القرآن الكريم، ذلك أنك لن تبحث عن نجوم خافتة خلف شمس ساطعة، فقد طلعت شمس الحقيقة، فحجبت ما خلفها من عجائب كانت فيما مضى تبهر أهل البلادة، فالقرآن الكريم معجزة في الرسالة، وهو المعجزة الوحيدة التي استمرت بعد غياب صاحب الرسالة، وقد يظن البعض إمكانية أن يأتي بعد العصور الأولى من يلبي التحدي، ولكن مرور أربعة عشر قرناً قطع أمل الضالين، ونحن نثير حماسهم دائماً بينما المعجزة ماضية في التحدي، جامعةً أصول الرسالات وأعمال الأنبياء في نسيج واحد،

تتحدى بذاتها ولا تحتاج إلى براهين خارجة عن ذاتها، في حين أن الكتب السابقة هي مجرد قصص تاريخية تفتقر في إثباتها إلى براهين داخلية وخارجية، والأناجيل ما هي إلا قصص بطلها المسيح عليه السلام أما الأنبياء قبل المسيح فلا يعرف كاتبو هذه القصص من أخبارهم شيئاً.

والمتأمل للأناجيل الأربعة يشعر أن كاتبيها قد بالغوا في عرض المعجزات، فكل من تخيل أمراً عظيماً ظن أن المسيح قد فعله، وتحولت حياة المسيح إلى أسطورة شعبية، في الوقت الذي يعتقد المسلمون أن المسيح صاحب رسالة، وله تعاليم واضحة الهدف والغاية، وأنه قدم أدق الحلول لأعقد مشاكل عصره، وأنه لم يكن عمله الأوحد تسلية الناس بأفعال خارقة لما اعتادوه من عادات.



٣- الزعم بأنه ﷺ لم يكن بحاجة إلى معجزات لأن السيف أغناه.

يدعي في صـــ ٢٠٧ من الترجمة أن عقيدة النبي ﷺ كانت قائمة على أن الله أرسل موسى وعيسى مزودين بقوة صنع المعجزات، ومع ذلك فإن الناس لم يؤمنوا، لذا فإن الله أرسله بوصفه نبياً من نوع آخر مكلف بفرض العقيدة الصحيحة بقوة السيف، بالتالي فقد أصبح السيف الأداة الوحيدة لفرض الرسالة.

۞ ورداً على هذا نقول:

المسلمون يؤمنون أن الله أرسل رسوله محمد ﷺ بمعجزة القرآن الكريم لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، ولكن القس بوش يعتقد أن المسيح استخدم معجزاته لإقناع الناس وأن محمداً استخدم سيفه لإجبار الناس، وقد يضطرنا هذا إلى قول ما قيل، فقد وهب الله ﷻ معجزات لموسى، ولعيسى معجزات، وبهذه المعجزات أقام حجته على المكذبين، ولكن يؤسفنا أن معجزات المسيح في الأناجيل أصبحت مخالفة لمنطق التعجيز:

فهي تحدث في غير وقتها، مثل المشي **ليلاً** على الماء.

أو تتشابه مع الفعل النادر مثل صيد السمك الكثير.

وأحياناً لا يمكن التيقن منها مثل شفاء نازفة الدم.

وأحياناً تحدث بعيداً عن الناس مثل إخراج الدراهم من فم السمكة.

وأحياناً تكون بوسائل غير لائقة مثل طلاء عين الأعمى بالطين.

وأحياناً يطغى عليها الخيال مثل خروج أجساد القديسين من الأرض.

وأحياناً لا يقع التحقق منها، ومن هذا النوع معجزات إحياء الموتى، فلعازر لم يتم التحقق من موته لحظة إحيائه، فالذين شاهدوا دخوله القبر ليس هم الذين شاهدوا خروجه منه. ولا نعرف لحظة ناداه وهو في القبر أكان حياً أم ميتاً؟.

نهيك عن معجزات إخراج العفاريت من المخابيل وغير ذلك.

إننا ننكر كل (**معجزة**) تقلل من قَدْرِ ومكانة المسيح، أو كل معجزة لا تكون قاطعة الدلالة، وتدور حولها الشبهات والتكهنات. ومن ألوان المعجزات التي تقع تحت هذا الخط: شفاء بعض المرضي الذين لا يعانون أمراضاً مستعصية، كمن به داء الحمى، وتذكر الأناجيل الكثير من هذا النوع كشفاء حماة بطرس، وشفاء ابن خادم الملك الذي أشرف على الموت، ويُذْكَر أنه كان مريضاً بالحمى، ويحتمل أنه كان مريضاً بالحصبة، وهذا المرض وذاك ليس مما يستعصى على عمل الأطباء.

إنه لمن المؤسف حقاً أن يعظ قسيس الناس بأن المسيح شفى نازفة الدم، فكيف تأكد الرجال من نزول الدم من فرجها ثم انقطاعه بعمل المسيح !

إنه لمن المؤسف أن يدعي إنسان أن المسيح لعن شجرة التين، فحقت عليها لعنة اللعنة وجفت في وقت لو حرك أحدهم جذعها لجفت وما احتاج الأمر إلى معجزة، ولو أحياها المسيح بعد موت لكانت هذه هي المعجزة التي تنسجم مع الهدف من دعوته، وحاجة أتباعه إلى ما يسد رمقهم !

إنه لمن المؤسف حقاً أن يظل يتشدق النصارى بهذه الأخبار على أنها دليل لا يقبل النقض على كون المسيح إلهاً، بينما المسيح نفسه لم يعول عليها كبرهان على صدقه، بل قال: «**سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا المختارين**» [متى ٢٤: ٢٤]

فهذا هو قوله في ما يتخذه الضالون المضلون دليلاً على لاهوته، وهو مع ذلك لم يقدم المعجزات استناداً إلي قوته الذاتية بل إلي قوة الله جل في علاه «الحق الحق أقول لكم لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئا إلا ما ينظر الآب يعمل» [يوحنا ٥: ١٩].

وإذا لم تعد المعجزات الحسية تقنع الناس، وبدأ يختلط أمرها عليهم، فقد أرسل الله معجزة لا يلتبس على الناس أمرها، فليس لهم فيها إلا الإيمان أو المكابرة، وإني أعجب كيف يتشدق النصارى بأن محمداً لم يأت بمعجزة والقرآن يتحداهم منذ أربعة عشر قرناً أن يأتوا بحديث مثله، وددت لو فهم كل مسيحي هذه الآية:

﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

ماذا نفعل حتى يفهموا قوله تعالى:

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء]

إننا نقول لهم ذلك فلا يجيبونا بالتحدي، ويرددون أنتم رفعتم السيف، فماذا نفعل لهم وقد عجزوا عن تحدي القرآن الكريم، وأصروا على الكفر

والبهتان، وزادوا في تماديهم محاولين القضاء على توحيد الله تعالى، فهل لو جاءت أمريكا بجيوشها الجرارة من العسكر والمنصرين نلوم الإسلام لأنه شرع السيف دفاعاً عن وحدانية رب العالمين، في العراق وفي فلسطين، في أفغانستان وفي لبنان، وفي كل مكان تطأه أقدام المشركين.

ولكن المكذبين لا يفترون عن ترديد الأكاذيب، فمن أكاذيبهم أن الله ثلاثة، وأن من يوحد الله إنما يعمل على نشر دينه بالسيف، ولكن شاء ربك أن لا يجعل في يد الموحدين في هذا العصر سيفاً حتى للدفاع عن أنفسهم ليقيم الحجة بما هو كائن إذ لم يقتنع آل بوش بما كان.

❁❁❁

٤- التشكك في حادث شق الصدر.

يزعم أن الكتاب المسلمين ابتدعوا حكايات توصف بالغباء، ومنها أن ملكين أخذا النبي في طفولته، وشقا بدنه بسكين، واستخرجا قلبه، وضغطا عليه وعصراه حتى استخرجا منه الفساد الأصلي. (أو المتأصل في الإنسان) فتساقط على هيئة قطرات نتنة ثم أعادا قلبه إلى موضعه طاهراً نقياً، أما الجرح الناتج عن شق البدن فقد التأم بشكل إعجازي، لذا فإن أخلاقه ظلت فوق أخلاق الجنس البشري ، ويعلق على ذلك بقوله:

(لكننا نجد هنا أن تاريخ حياته وصفحات القرآن الكريم تمكننا من النظر إلى هذه الأمور التي نسبوها إليه من خلال إنجازاته الشخصية ما يجعلنا نتشكك فيها للأبد. [انظر صـــ ٣٥٤ من الترجمة]

ورداً على هذا نقول:

قد يكون عقل القس بوش لا يقبل بمثل هذه الأمور، ونحن نحييه على ذلك، إلا أنه يجب أن لا ينتكس فيؤمن بشق الأرض وخروج أجساد القديسين منها، فقيامة أجساد القديسين وخروجهم من القبور هو أعجب من شق صدر إنسان حي على هذه الأرض، ومع ذلك فحادثة شق الأرض وخروج الموتى منها يرويها متى بلا هدف ولا معنى على هذا النحو: «**وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل، والأرض تزلزلت، والصخور تشققت، والقبور تفتحت، وقام كثيرٌ من أجساد القديسين الراقدين، وخرجوا من القبور بعد قيامته، ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين**» [متى ٢٧ : ٥١ – ٥٣]

ولك أن تتحدى باحثي المسيحية أن يثبتوا أن أحد أصحاب المسيح كتب هذه الحكاية أو كان على علم بها؟ إنها لو حدثت لملأت كتب التاريخ وما انفرد بها متى اليوناني وليس متى العبراني الذي تحدث عنه بابياس.

ولك أن تتحدى القوم كذلك أن يأتوك بفكرة معقولة في المسيحية !

ابتداء من الثالوث، إلى صلب الإله، إلى حبل عذراء بالإله !

إن صدق بكل هذا فكيف لا يصدق بشق صدر النبي ﷺ ؟

إن صدق بالمستحيل في حقه تعالى فكيف يكذب الجائز في حق رسوله؟

ينبغي أن لا يكون انتقائياً فيما يأخذه أو يدعه من هذه الأمور، فليس أمامه إلا الكفر بالمستحيل، وليصدق بعد ذلك أو ليكذب بما هو جائز في حق رسله، ولو توقف الأمر على مجرد تكذيب أو تصديق هؤلاء فإن عقيدة التوحيد باطلة لأنهم لا يصدقون بها، ولو قصد اليقين استخدم الشك المنهجي، والعاقل هو من يشك ليتيقن، وليس هو من يتخذ الشك هدفاً، فأي صدر حدث له هذه الشق؟.

إنه صدر سوف تمر من خلاله رسالة السماء إلى أهل الأرض جميعاً، سوف يتلقى وحي الله تعالى، وسوف يحفظ كلام الله ويبلغه لخلقه دون زيادة ولا نقصان، لقد كان يسمع جبريل وحوله أصحابه لا يسمعون، ويعي عن جبريل ومن حوله لا يدرون، ذلك أن ربه قد هيئه لتلقي الذكر الحكيم، كما يهيئ الإنسان أجهزة التلقي اللاسلكي لتستقبل الرسائل الصوتية والمرئية، ولكنه ﷺ يختلف عن تلك الآلات فهو يعقل ما يرد

إليه، وما يتزل عليه ليس إلا كتاب يتحدى الإنس والجن !.

تأمل كيف تتزل سورة الأنعام كاملة على قلبه ليكون المنذرين !.

تأمل كيف قرأها على أصحابه بعد أن رفع عنه جبريل؟.

لقد كان يحرك لسانه حتى يحفظ ما يتلقاه من جبريل ، فتزل قوله تعالى ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾

(القيامة ٠١٦-٠١٩)

فصدره قد هيأه الله حتى إذا قرأ عليه جبريل فلا ينسي، فيقرأ على أصحابه دون زيادة ولا نقصان. وبهذا أصبح صدره ﷺ فريداً في اليقظة والتعلق بالله تعالى، فربك هيأه لتلقي معجزة، فكان ﷺ تنام عيناه ولا ينام قبله، وقد وعي القرآن الكريم وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب، بخلاف موسى وعيسى، فإن كتابيهما ليسا بمعجزة، مما أتاح للمزورين النسج على منوالهما، والإدعاء بأن التقليد هو الأصل، فأصبح السفر الواحد أسفاراً، وقد تسأل لماذا لم يشق صدر موسى عليه السلام ولا حتى عيسى شق له صدراً، ومع ذلك أنزل الله التوراة على موسى والإنجيل على عيسى؟.

نعم . ولكن محمد ﷺ يختلف عنهما وعن باقي الأنبياء في أن ما تلقاه هو معجزة، فهو يحتاج إلى إعداد روحي ونفسي يختلف عن سائر الأنبياء، لأنه كما يقول جل في علاه:

﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ (المزمل)

فأبسط ما نتخيله لمن تلقى هذا القول الثقيل أن يكون قد حدث له ما عرفنا وربما أكثر.

ثم إن الأنبياء كانوا يتهيئون لتلقي كلام الله غير المتحدى به بالصوم أياماً متواصلة منعزلين عن الخلق، متصلين بالخالق، حتى تسمو أرواحهم، وتصفو نفوسهم، فهذا موسى وعده ربه أربعين ليلة فلما أتمها صائما أوحى الله إليه بالتوراة، قال تعالى:

﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ (١٤٢) ﴾ (الأعراف)

وكان قد تلقى الصحف الأولى قبل ذلك وهو في طريق عودته من مدين إلى مصر، وما احتاج الأمر إلى أكثر من أن يخلع نعليه لأنه بالوادي المقدس طوى.

وهكذا عيسى عليه السلام تلقى الإنجيل بعد أن صام أربعين يوماً وهي تلك الحادثة المعروفة والمحرفة في الأناجيل تحت اسم تجربة البرية، وبينما هيأ الله نبيه محمداً على يد الملائكة الأطهار تلقى المسيح إعداده في هذه التجربة بحسب الأناجيل على يد الشيطان، وعندنا أن المسيح بعدما تم إعداده روحياً، وسمت نفسه تلقى الإنجيل مصدقاً لما بين يديه من التوراة، فلما عاد إلى قومه كان كل ما يتكلم به من أجل توحيد الله، والبشارة بملكوته صادراً عن هذا الإنجيل، فلما بلغ ما أوحاه الله إليه صعد إلى السماء.

فهل تلقي القرآن الكريم كالتوراة والإنجيل يكفي أن يصوم النبي أربعين يوماً ليتلقاه أم لا بد من إعداد خاص لمن يتلقى معجزة المعجزات وآخر كتب السماء؟.

لا مانع أن تكون بعض هذه الوسائل شق صدره ﷺ وتطهيره من عوائق الدنيا، ليكون خالصاً لدين الله تعالى. فشق الصدر جائز عقلي وقد وجد ما يبرره في الواقع، وعليه أدلة ثابتة في السنة، فقد خدم أنس الرسول ﷺ عشر سنين حدثه فيها عما وقع قبل النبوة ولم يكن النبي عندنا متهماً بالكذب على نفسه، ولا أنس في الرواية عنه، وثبتت الرواية بالنقل الصحيح بما رواه مسلم بسنده عن أنس أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل، وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لامه ثم أعاده إلى مكانه، وجاء الغلمان إلى أمه — يعني ظئره — فقالوا: عن محمد قتل قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون)[1] .

وقد تكررت هذه الحادثة مرات في حياته ﷺ ووردت إشارة إليها في القرآن الكريم في أول سورة الشرح كما روى البيهقي عن سعيد بن أبي عروبة [2] .

فلم يبتدع المسلمون هذا الرواية، ولكن آباء الكنيسة ابتدعوا الدين،

---

١ - مسلم باب الإسراء ١ / ٩٢ / الرحيق المختوم صـ ٦٥

٢ - دلائل النبوة جـ ٢ صـ ٦

أصوله وفروعه، وجاء الأبناء يحرفون ما ابتدعه الآباء، ولم يقتصر أمرهم على دينهم بل سعوا إلى تحريف الإسلام المحفوظ بمصدريه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ومن تحريفات القس بوش أن الملكين شقا بدنه بسكين، والسكين لا ورود لها عندنا، وأيضاً زعمه أن الملكين استخرجا منه الفساد الأصلي، وهو يريد أن يدس في ديننا مرادفاً جديداً للخطيئة الأصلية التي يقوم عليها دينه، وبهذا يعود بنا إلى منبع الجهل المسيحي الذي أجمعت العقول على عدم الاقتناع به.



٥- الزعم بتحول النبي ﷺ عن الجذع لأنه لم يعد يليق بمقامه.

يدعي أن النبي ﷺ بعد بناء مسجد المدينة لم يكن يتخذ سوى جذع نخلة مثبت عمودياً، ولكن هذا الجذع لم يعد الآن يليق بمقامه، فأمر بإقامة منبر بناء على مشورة إحدى زوجاته. [صـــ ٣٢٠ من الترجمة]

۞ ورداً على هذا نقول:

الأصل أن يكون الخطيب على مكان مرتفع، أحياناً كان العرب يمتطون ظهور الإبل عند إرادة الخطابة، والمسيح صعد السفينة وجلس الناس على الشاطئ يستمعون، وبكل أسف لا تخبرنا الأناجيل: هل تم هذا بناء على مشورة زوجته أم لا؟.

بل تجمع الأناجيل الأربعة على أنه ركب حماراً ولا يخبرنا إنجيل منها عما إذا كان قد تزوج أم لا؟ بل لم تخبرنا الأناجيل عما إذا كان قد بنى كنيسة؟ أو صنع منبراً أم لا؟.

ولهذا فما هي إلا كلمات أطلقها للصيادين قبل أن يقع في قبضة أعدائه اليهود.

ولهذا اضطر القوم أن يشيدوا كنائسهم على هواهم، فوضعوا فيها الأرائك الخشبية، وزينوها بالصلبان، خشبية ومعدنية، فضية وأحياناً ذهبية، رافعين على الجدران صوراً لفتاة جميلة تختلف ملامحها بين صورة وأخرى، تحمل طفلاً ذا طلعة تبهر الناظرين، ثم راحوا يعبدون الطفل معتقدين أنه ربهم، وبعضهم عبد العذراء حاملة ووالدة ومرضعة وحاضنة ربهم !

ولك أن تتحدى القوم أن يثبتوا أن يكون ربهم قد وقف على المذبح أو

أحرق بخوراً أو ترأس قداساً أو غير ذلك مما يمارسونه اليوم من طقوس وتدخينات.

ولكن حول وجهك تجاه الإسلام، لترى محمداً ﷺ يبني مسجداً، ويؤم المسلمين فيه طوال حياته، ويتخذ من جذع النخل منبراً، وإذ تطور الأمر صُنع له أعوادٌ يقف عليها ليشرق بوجهه الشريف على أصحابه كل جمعة، فحن الجذع[1] إليه، والمعجزة إنما هي في سماع الصحابة لذلك، وإدراكهم لإحساس الجماد وتجاوبه مع العبادة الاختيارية، وليس كما يحسب الغافلون أن الجذع لا إحساس فيه، فعبادته التسخيرية انسجمت مع عبادة الرسول الاختيارية، فالخالق واحد، والكون كله نبات وحيوان وجماد يسبح بحمده تعالى، بلسان الحال أو بلسان المقال لمن لا يفقهون حالهم، وقد كانت الجبال تردد التسبيح خلف داود ﷺ ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾ (سبأ)

ولا يعرف النصارى عن يهوذا أكثر من قصته مع ثامار، ولا عن داود أكثر من قصته مع زوجة أوريا، وما اضطروا إلى معرفة هذه القصة أو تلك إلا لأنها تشرح لهم كيف جاء المسيح، وقد اعتادوا أن يعلمونا حتى الإسلام، والإسلام عندنا ليس كالنصرانية عندهم، فنظرته إلى المخلوقات تختلف عن سائر الأديان، فالنصراني يطلب من الآب في صلاته الخبز

---

١ – أصل الحنين ترجيع الناقة صوتها إثر ولدها. انظر / النهاية في غريب الأثر

وأشياء أخرى ولكنه لا يهتم بنفسه هل هو نجس أم طاهر، فهو لا يعرف الطهارة من الجنابة ولا غيرها، بينما الصلاة في الإسلام تمثل نهاية الانسجام في علاقة المسلم بنظام الكون، فالكون يسير وفق إرادة الله، ومن عناصره من يعبد الله بالتسخير، ومنها من يعبده بالاختيار، والإسلام وهو دين الفطرة يحقق الانسجام التام بين العبادة الاختيارية والعبادة التسخيرية:

فالمسلم قبل بزوغ ضوء الشمس يقف طاهراً بين يدي الله تعالى ليؤدي صلاة الصبح. والمسلم والشمس في كبد السماء يؤدي صلاة الظهر.

والمسلم عندما يصير ظل كل شيء مثليه يؤدي صلاة العصر.

وعند الغروب يؤدي صلاة المغرب. ثم صلاة العشاء بعد غياب شفق الشمس.

وهكذا في اليوم التالي، فالصلاة تربط نشاط المسلم بحركة الكون الظاهرية، وكذلك الصيام والحج يرتبطان بحركة الشمس والقمر.

فإذاً هي عبادة منسجمة مع عجلة الكون، ترتبط بحركة الأرض والشمس والقمر، فلا عجب أن رأينا الكون يتجاوب مع عبادة المسلم كما يتجاوب المسلم مع حركة الكون. أما المسيحي فلا يتجاوب معه الكون ولا يحس به، لأنه لا يعرف الطهارة، ويصلي لأكثر من إله، وربما كان البول على ساقه وقت الصلاة.

ولا عجب أن ظهر هذا التجاوب في حنين جذع كان الرسول يصدع من فوقه بتعاليم السماء، فهل يدري النصارى أي كلامٍ كان يتلي من

فوق هذا الجذع؟

إنه ذات الكلام الذي لا زلنا نتحداهم به فلا يستطيعون، إنه كلام الله الذي تتصدع منه الجبال، قال تعالى:

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحشر]

أما النصارى الذين كذبوا حديث عيسى في المهد فلم يترددوا في رد حنين الجذع لرسول الله ﷺ ومن الحكمة أن الله لم يوجه إليهم معجزة الجذع، وإنما ساقها إلى المصدقين بتوحيده، وأما الذين لم يوحدوه فدونهم معجزة القرآن الكريم.

❁❁❁

٦- الزعم بأنه ﷺ مات بآثار السم.

يدعي أن النبي ﷺ حينما دخل خيبر استقبلوه استقبالاً أدى إلى نهايته، فقد دست له امرأة السم في كتف الضأن الذي قدمته له، وما كاد بشرٌ صاحبه يأكل منها حتى تشنج ومات في مكانه، أما محمد فقد لفظ الجزء الأكبر مما مضغه، لقد نجا من الموت، لكن آثار السم ظلت في بدنه، واستعصت على العلاج، حتى مات بعد ثلاث سنوات. [صـ ٣٢٠ من الترجمة]

۞ ورداً على هذا نقول:

بسبب أم بغير سبب كان النبي ﷺ في نهاية الأمر سيموت، فهو بشر، والقرآن الكريم يؤكد حقيقة أن كل البشر سيموتون، قال تعال:

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء]

فليس مشكلة في أن البشر يموتون، ولكن المشكلة في أن النصارى يؤمنون بأن الإلهة تموت، وتصلب وتدفن كالناس تماماً، والقضية الكلية الجارية على البشر وحتى الآلهة عندهم لا يرى فيها القس بوش سوى محمد ﷺ، ولا يرى ما في الحادثة من معجزة لرسول الله ﷺ الذي اخبر أصحابه بما لا يعرفونه من أمر الشاه، فقال لهم: إن هذه الشاه تخبرني بأنها مسمومة.

والسبب الحقيقي وراء موت النبي ﷺ ليس هو السم وإن كان الرسول

ﷺ قد أشار إلى تأثيره على صحته العامة، لكن موته ﷺ يرجع بالأساس إلى أن رسالته قد اكتملت، وأتم الله نعمته على العالمين، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة، وتركنا على المحجة البيضاء، ولهذا عندما نزلت سورة:

﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝ ﴾

قال ابن عباس هو أجل رسول الله ﷺ أعلن. لقد جاء ﷺ لأداء مهمة، فماذا بعد انتهاء المهمة سوى العودة من حيث جاء وليس ثمة مشكلة أن يموت الرسول بأية وسيلة، ولكن موت الرسول عقب انتهاء تبليغ رسالته لا قبل ذلك ولا بعده يؤكد أن السم أثر على صحته ولا دخل له في موته، ولكن القس ظن أن موت الرسول ﷺ بالسم يقلل من مكانته، ولهذا فهو لا يصدق أنه مبلغ عن الله تعالى لأنه مات بالسم، والذي يستحق أن يؤمن به في نظره هو الإله يسوع، لماذا؟

قالوا لأنه لم يمت بالسم، بل مات بالصلب.

وهكذا لا يزن النصارى الأمور بميزان واحد.

فعندهم المسيح مات مصلوباً. وبولس كذلك مات مصلوباً.

ولكنهم يعبدون المسيح ولا يعبدون بولس!

قالوا: لأن المسيح صلب كفارة عن خطايا الناس، وبولس لم يصلب لهذا الغرض.

ولو قلت لهم: وما الفرق؟ .

قالوا: المسيح هو ابن الله؟ .

فهل يمكنك أن تعثر على مسيحي في هذا العالم يخبرك عن اسم والد بولس؟ .

وإذ لم يستطيعوا أن يحددوا لبولس أباً ينسبوه إليه فلماذا لا يكون هو الآخر ابن الله؟.

بل قل: لماذا لا يكون المسيح كفارة لليهود، وبولس للأمم؟

وما المانع عندئذٍ أن تكون الآلهة خمسة:

الآب والابن والروح القدس، ثم ملكي صادق، وبولس إلى أن يعرفوا له أباً؟

ألا ترى أنهم في حاجة إلى مجمع يحسم هذه الخيبة بدلاً من شتم محمدٍ ﷺ؟

❁❁❁

٧- الزعم بأن القصد بالمعراج محاكاة ما جاء في اليهودية.

يتوهم أن النبي ادعي أن الله آثره في السنة الثانية عشرة لبعثته برحلة ليلية من مكة إلى القدس، ومن القدس إلى السماء السابعة يصحبه فيها جبريل، وقد ابتدعها محمد – كما يدعي بوش – كي يحقق لنفسه شهرة بوصفه قديساً وربما ليرفع نفسه فوق مقام موسى كليم الله فوق الجبل المقدس. ؟ [صـ ٢٣٧ من الترجمة].

وفي صـ ٢٤٢، ٢٤٣ من الترجمة يدعي بوش كذلك أن النبي ﷺ كان يقصد من الإسراء والمعراج أن يدهش أتباعه، ويضيف: ويبدو أن المدعي (ويقصد محمداً ﷺ) كان يقصد التشبه بموسى قدر ما يمكنه. وأن يدخل في دينه أكبر قدر من التفاصيل الموجودة في اليهودية دون أن يدمر البساطة التي اتسم بها دينه.

وهذه الحقيقة تتمشى مع ما يمكن تأكيده من أن نسل إسماعيل كانوا ميالين إلى تقليد نسل إسحاق ويعقوب الذين نالوا بركة هذا العهد في ذراريهم.

۞ ورداً على هذا نقول:

هكذا هو حال النصارى، الشيء الوحيد الصواب هو ما يتوارثونه عن آبائهم من عقائد صلب الإله وتثليثه، وعمل مفكري النصرانية ليس هو التثبت من حقائقهم، وإنما البحث عن أسباب البدع التي يرونها في كل دين عدا دينهم، وبدعة المعراج لها في نظرهم سببان:

الأول: ليحقق لنفسه شهرة بوصفه قديساً.

الثاني: ليرفع نفسه فوق مقام موسى كليم الله فوق الجبل المقدس.

والأول هو الأكيد عندهم وأما الثاني فهو محتمل، وهكذا يعرض ما هو حاصل بيقين، وما هو محتمل الحصول بغير يقين !

ولكن شاء الله أن يحفظ دينه، فلا تتوقف أمور الدين عندنا على أخبار بلا سند لها، أو بسند يمكن التشكيك فيه، فأراد أن لا تكون حادثة الإسراء خاضعة للفحص في حال الرواة، فجعلها في القرآن الكريم، فهي وإن كانت معجزة وقتية إلا أنها أضحت ثابتة في معجزة دائمة، قال تعالى: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء]

وفي ذات السورة يظهر التحدي: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء]

فمعجزة الإسراء والمعراج حدثت والدليل هو هذا التحدي، وهذا أفضل مما لو حدثت والناس يرونها بأعينهم فيقول الآباء سحرنا محمدٌ، ويأتي الأبناء لينفوا ما تشكك فيه آباؤهم، فقيام المعجزة الآن هو في المعجزة ذاتها. وقد ذكر القرآن الكريم الإسراء صراحة، وروت كتب السنة

بالأسانيد المتصلة تفاصيل قصة المعراج عن النبي ﷺ:

روى البخاري: حدثنا هدبة بن خالد: حدثنا همام عن قتادة:

وقال لي خليفة حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيد وهشام قالا حدثنا قتادة:

حدثنا أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان وذكر يعني رجلا بين الرجلين فأتيت بطست من ذهب ملئ حكمة وإيمانا فشق من النحر إلى مراق البطن، ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملئ حكمة وإيمانا وأتيت بدابة أبيض دون البغل وفوق الحمار البراق فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا.

قيل من هذا؟ قال: جبريل. قيل: من معك؟ قيل: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبا به ولنعم المجيء جاء، فأتيت على آدم فسلمت عليه فقال مرحبا بك من ابن ونبي.

فأتينا السماء الثانية قيل: من هذا قال جبريل. قيل من معك؟

قال: محمد ﷺ. قيل: أرسل إليه؟

قال: نعم. قيل: مرحبا به ولنعم المجيء جاء. فأتيت على عيسى ويحيى فقالا: مرحبا بك من أخ ونبي.

فأتينا السماء الثالثة قيل من هذا قيل جبريل قيل من معك قيل محمد قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل مرحبا به ولنعم المجيء جاء فأتيت على يوسف فسلمت عليه قال مرحبا بك من أخ ونبي .

فأتينا السماء الرابعة قيل من هذا قيل جبريل قيل من معك قيل محمد ﷺ قيل وقد أرسل إليه؟ قيل: نعم. قيل: مرحبا به ولنعم المجيء جاء، فأتيت على إدريس فسلمت عليه فقال مرحبا من أخ ونبي.

فأتينا السماء الخامسة، قيل: من هذا؟ قال جبريل. قيل: ومن معك؟ قيل محمد قيل وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبا به ولنعم المجيء جاء. فأتينا على هارون فسلمت عليه فقال مرحبا بك من أخ ونبي.

فأتينا على السماء السادسة، قيل: من هذا؟ قيل: جبريل. قيل: من معك؟ قيل: محمد ﷺ. قيل وقد أرسل إليه؟ مرحبا به ولنعم المجيء جاء، فأتيت على موسى فسلمت عليه، فقال مرحبا بك من أخ ونبي فلما جاوزت بكى فقيل ما أبكاكَ قال يا رب هذا الغلام الذي بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمتي.

فأتينا السماء السابعة قيل من هذا قيل جبريل قيل من معك قيل محمد قيل وقد أرسل إليه مرحبا به ونعم المجيء جاء فأتيت على إبراهيم فسلمت عليه فقال مرحبا بك من بن ونبي فرفع لي البيت المعمور فسألت جبريل فقال هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم، ورفعت لي سدرة المنتهى فإذا نبقها كأنه قلال هجر وورقها كأنه آذان الفيول في أصلها أربعة أنهار نهران باطنان

ونهران ظاهران فسألت جبريل فقال أما الباطنان ففي الجنة وأما الظاهران النيل والفرات، ثم فرضت علي خمسون صلاة فأقبلت حتى جئت موسى فقال ما صنعت قلت فرضت علي خمسون صلاة قال: أنا أعلم

بالناس منك عالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، وإن أمتك لا تطيق فأرجع إلى ربك فسله، فرجعت فسألته فجعلها أربعين، ثم مثله ثم ثلاثين، ثم مثله فجعل عشرين، ثم مثله فجعل عشرا، فأتيت موسى فقال: مثله فجعلها خمسا، فأتيت موسى فقال ما صنعت قلت: جعلها خمسة فقال مثله قلت سلمت بخير فنودي إني قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي وأجزي الحسنة عشرا»[1] .

هذا هو ما جاء في الصحيح حول معجزة المعراج، وهذه الرواية يمكن أن يظهر متعنت فيطعن في سندها أو متنها، ولكن شاء ربك أن تحفظ معجزة الإسراء في القرآن الكريم، وفي ذات السورة التي تحمل التحدي الظاهر للإنس والجن، إنها لمعجزة في معجزة، فليست معجزة حسية فقط، وإنما حسية عاشها الرسول، وعقلية نراها في القرآن الكريم، وهي ليست لتحدي الكفار، وإنما تكريماً لرسول الله ﷺ وتصديقاً له، ولنبوءة داود عليه السلام عنه، كما جاء في المزمور الثامن والستين: «**صعدت إلى العلاء، سبيت سبياً، قبلت عطايا بين الناس، وأيضاً المتمردين للسكن أيها الرب الإله**».

فمن يؤمن بالمزامير يجب أن يصدق بنبوءة محمد ﷺ عندما يسمع عن عروجه إلى السماء، فالصفات الواردة في المزمور لا تنطبق إلا على محمد

وهي حسب ترتيبها الزمني:

- صعد إلى العلاء أي السماء.

---

١ - صحيح البخاري الجزء : ٣ الصفحة : ١١٧٣ [٣٠٣٥]

- أخذ الأسرى.
- قبل الجزية.

وإن شئت أن تسمع إلى شيء من عجائبهم حدثناك:

فمثلما طبق القس بوش نبوءة دانيال على محمد.

طبق بولس هذه النبوءة على المسيح، أتدري كيف؟

المسيح لم يقبل جزية و لم يأخذ أسيراً ولا صعد إلى العلاء !

ومع ذلك يطبق بولس عليه هذه النبوءة كالآتي:

«**لذلك يقول: إذ صعد إلى العلاء، سبى سبياً، وأعطى الناس عطايا، وأما أنه صعد فما هو إلا أنه نزل أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى، الذي نزل هو الذي صعد أيضاً فوق جميع السموات لكي يملأ الكل**» [أفسس ٤: ٨-١٠].

إن كنت قد فهمت هذا النص فأنت مغبوط، فالنص في المزمور «قبلت عطايا» وعند بولس أعطى عطايا. وهذا وذاك لا يتفق وواقع المسيح حيث دفع الجزية لقيصر، بينما أخذ محمد ﷺ الجزية من رعايا قيصر في الشام ومصر.

ولما كان المسيح لم يخض حروباً ولم يسقط في يده أسيرٌ، أرسلوا به إلى أقسام الأرض السفلى، حيث قضى ثلاثة أيام في جهنم - والعياذ بالله - بين الأرواح المحبوسة في السجن، وهذه المسألة العجيبة صارت بنداً مبهماً في قانون الإيمان، وقد اختلفوا حولها، وبين يدي كتاب يعالجها بعمق، مؤلفه هو د/ فريز صموئيل، وعنوان الكتاب «المسيح في الهاوية» تأمل

العنوان يعتصرك الألم، ولكن الكاتب يدافع عن نزول المسيح إلى الهاوية كما يدافع عن لاهوته، فلماذا نزل المسيح إلى الهاوية؟ .

الجواب من الكتاب المذكور: «**لقد كان على المسيح أن يكرز للموتى لأن في هذا عدالة وصلاح، فليس من المقبول أن تشمل رسالة المسيح للإنسانية أولئك الذين عاشوا في أيام جسده، أو الذين سيأتون من بعده في مستقبل الإيمان.**

إن الذين ماتوا قبل المسيح ذهبوا جميعاً إلى الهاوية حتى البطاركة والأنبياء.. ولقد نزل لكي يخلص الأنبياء الذين أخبروا به مثل موسى وصموئيل» [1] .

وبهذا يكون المسيح قد حرر أسرى الهاوية، ولم يأخذ أسرى من جيش قيصر ولا غيره، والنص في المزمور «**سبيت سبياً**» يعني أخذت أسرى حروب، فالمزمور لا ينطبق إلا على محمد ﷺ .

وفي المزمور حديث عن معراج محمد انظر إلى أين صرفوه، ونحو أية جهة وجهوه؟.

بوش ربط الإسراء والمعراج برغبة النبي ﷺ في التشبه بموسى، فهل صعد موسى إلى السماء فنسب محمد هذه الفكرة إلى نفسه؟

الحقيقة أن موسى لم يصعد إلى السماء، ولا نزل عيسى إلى الهاوية، ولكن بولس عندما قرأ سفر الخروج تقمص دور موسى، وراح ينسج

---

١ - المسيح في الهاوية (أعوذ بالله) المؤلف د/ فريز صموئيل صـ ١٤١ ط/ أوتوبرنت

القصة على نفسه، فموسى يرى الله في العليقة ويوحي إليه، «**فلما رأى الرب أنه مال النظر ناداه الله من وسط العليقة**» [خروج ٣: ٤]

هذه الصورة ترتسم في خيال بولس، ويسجلها كاتب سفر الأعمال على هذا النحو: «وفي ذهابه – أي شاؤل – حدث أنه اقترب إلى دمشق، فبغتة أبرق حوله نورٌ من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً له: شاؤل شاؤل ! لماذا تضطهدني؟

فقال: من أنت يا سيد؟

فقال الرب: أنا يسوع الذي تضطهده» [أعمال ٩ : ١- ٥]

والفرق في تكرار هذا السيناريو هو أن:

- الإله الذي رآه موسى – في نظر النصارى – إنما هو الآب.
- وأما هو- أقصد بولس – فقد زعم أن الذي تراء له هو الإله الابن.

فهل من الممكن أن يظهر إله ثالث؟

قالوا: نعم ممكن. مرة ثانية نعود بك إلى سفر الخروج. هناك يحدثك عن ظهور ملاك الله لموسى هكذا:

«وظهر له ملاك الرب بلهب نار من وسط عُليقة فنظر وإذا العُليقة تتوقد بالنار، والعليقة لم تكن تحترق» [خروج ٣: ٢ – ٣]

لكن هذا ملاك وليس إلهاً، وما المشكلة، المسيح بشر وصار إلهاً، الأمر أيسر بكثير بالنسبة للملاك، أعجبت الفكرة لوقا، فكررها ولكن ليس مع بولس بل مع الرسل جميعاً، فلئن شكك الناس في بولس فيكف يشككون في الرسل، الرسل الذين لم يعرفهم لوقا و لم يلتق بهم مرة في حياته.

وإذ لا يعرف القوم اليوم الذي نزل فيه الإله الثاني على بولس يحدد لوقا اليوم الذي نزل فيه الإله الثالث على الرسل، إنه يوم الخمسين: «ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معاً بنفس واحدة، وصار بغتة من السماء صوت من هبوب ريح عاصفة وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين، وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار، واستقرت على كل واحد منهم وامتلأ الجميع من الروح القدس، وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا» [سفر الأعمال ٢ : ١- ٤]

وهكذا ظهر الآب لموسى في العليقة !

والابن لبولس في الطريق إلى دمشق !

والروح القدس للتلاميذ يوم الخمسين !

فهذه آلهة ثلاثة في عين العدو..

فهل قلد محمد النصارى كما قلد النصارى اليهود؟.

وهل بهذا يعتبر نسل إسماعيل مقلداً لنسل إسحاق؟.

إنك لو ذهبت تسأل عن الديك العملاق الذي رآه الرسول ﷺ في المعراج كما ظن بوش فلن تجد مسلماً يعرف هذه الحكاية، ولست أدري على من يضحكون؟ وماذا يبغي من ورائها سوى أن يقول: الروح القدس تحول إلى ديك والمسلمون صدقوا بذلك.

هكذا تتحول الأكاذيب إلى حقائق، ثم الحقائق تتمشى مع الادعاءات، وإنها لنعرة عنصرية تترد على لسان اليهود تارة، وعلى لسان النصارى تارة أخرى، فنسل إسماعيل تابع لنسل إسحاق، مقلد له على الدوام،

لماذا؟.

لأن نسل إسحاق نال بركة العهد من الله، وهذا هو دليل البركة عند النصارى، وبيانها الساطع، فسل اليهود وهم أدرى اليوم بتعاليم موسى: هل كان موسى مؤمناً بالثالوث؟ .

إن رسالة موسى صورة من الرسالة الإلهية التي بعث الله بها رسله وأنزل بها كتبه، ولكن ما على النصارى إذا تخلوا عن البساطة التي جاء بها موسى عليه السلام وأصروا على تعقيدات بولس واستكبروا استكباراً.

❁❁❁

٨- الزعم بأنه ﷺ رأى عيسى في السماء السابعة.

يدعي أن النبي في رحلة الإسراء والمعراج رأى في السماء السابعة نوراً إلهياً بدلاً من المعادن والجواهر التي كان يجدها في السموات الأخرى، ورأى يسوع المسيح فطلب منه أن يدعو له، بينما في السموات الأخرى كان كل من قابلهم يطلبون منه الدعاء. [صـ ٢٤٠ من الترجمة].

۞ ورداً على هذا نقول:

هكذا يحاول أن يقلد الأناجيل التي لا يعرف لها كاتب، فمريم المجدلية رأت يسوع بعد صلبه. وهكذا بطرس.. وهكذا رآه تلميذ عمواس.

يأتي بوش اليوم ليضيف إلى هذه القائمة محمداً ﷺ .

فلا بأس من تزييف الحقائق عند عبده يسوع، وقد تتساءل عن سبب ذلك؟ .

السبب هو أن قانون الإيمان الذي صاغه مجمع نقيه سنة ٣٢٥ م يعلن أن المسيح «**صعد إلى السماء وجلس عن يمين الآب**»[١]

وبما أن الآب لا بد أن يكون في السماء السابعة فليكن الـ «**يسوع**» معه في تلك السماء، فإذا ما سمع عن رحلة المعراج فقد وجد ما يؤيد قانون الإيمان النقاوي !.

وكما تأيد قانون الإيمان من قبل بإضافة خاتمة متى يمكن الآن إضافة هذه الحكاية إلى المعراج، لقد رأى محمد نوراً إلهياً بدلاً من المعادن

١ - موسوعة علم اللاهوت القمص مخائيل مينا صـ ٨٩ مكتبة المحبة

والجواهر التي كان يجدها في السموات الأخرى، ورأى يسوع المسيح فطلب منه أن يدعو له، بينما في السموات الأخرى كان كل من قابلهم يطلبون منه الدعاء، وكأنهم كانوا يحملونه أمانة الدعاء عند وصوله إلى معبود النصارى، هذه الفكرة لو ظهرت في مجمع نقيه ربما خلصت القانون من نزول يسوع إلى الهاوية !

هذه الفكرة ربما تعجب قسيس أخر فيصعد بالموتى إلى العلاء بدلاً من تنزيل المسيح إليهم في الهاوية.

❁❁❁

٩- الزعم بأن الإسراء والمعراج أدى إلى تخلي بعض أتباعه عنه:

يزعم في صـــ ٢٢٤ من الترجمة أن رحلة الإسراء والمعراج كانت سبباً في تخلي بعض أتباع النبي ﷺ عنه وبدا أن دعوته قد اقتربت من نهايتها لولا تصديق أبي بكر له ليخلصه من هذه الورطة التعسة.

۞ ورداً على هذا نقول:

هذه العبارة سجلها القس بوش في الفصل السابع ولكنه ما كاد يطوى الفصل ويشرع في الذي يليه حتى استهله بهذا الخبر: «**امتدت شهرة محمد الآن خارج مكة**» والمفروض أن يبحث عن تعليل لذلك وخاصة أنه يثبت هنا ما سبق أن نفاه، وقد يعود لينفي ما أثبته، وهناك نصوص في الكتاب المقدس لا يمكن فهمها ولا تفسيرها تفسيراً معقولاً، وهي التي يعبر عنها الشراح بـــ «**الصعوبات**» وهي تسبب للباحثين النصارى صداعاً مستمراً، وتصيب كثيرين منهم بالأمراض النفسية، هؤلاء المرضي قد لا يجدون متنفساً عن أنفسهم إلا بمحاولة رمي أعدائهم بما بهم من داء، ومن ذلك أن إنجيل يوحنا يشرح كيف كان أتباع المسيح يفرون من إتباعه، فقد تركوه وهجروه، بعد أن قال لهم:

«**إنه لا يقدر أحد أن يأتي إليَّ إن لم يعط من أبي. من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء، ولم يعودوا يمشون معه**»

[يوحنا ١٩ : ٦٥، ٦٦]

وحتى ساعة الصلب تركه الجميع وهربوا، ولم يكن سوى ثلاث مريمات:

- أم يسوع.
- وزوجة كلوبا.
- والمجدلية. [يوحنا ١٩: ٦٥] .

فالجميع تركوه وهربوا يقول مرقص: «**فتركه الجميع وهربوا، وتبعه شاب لابساً إزاراً على عُريه فأمسكه الشبان فترك الإزار وهرب منهم عُرياناً**».

هرب عرياناً كما ولدته أمه حتى لا يقف بجوار يسوع !.

وحتى رجال السياسة تراودهم أفكار مؤلمة في هذه القضية بالذات، ولهذا وبمجرد أن وصل كتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل حرص على أن يسأل أبا سيفان الذي كان وقتها من أشد المناوئين للإسلام والمسلمين هذا السؤال، فقال: هل أتباعه يزيدون؟

وماذا استنبط هرقل من ذلك؟

إن فرار أتباع المسيح من خلفه لا زال يؤلمه، وما يؤلم هذا الملك فإنه يؤلم آل بوش أجمعين، لقد أحزنهم جمعياً أن أتباع محمد ﷺ بلغوا في حجة الوداع ما يقرب من مئة ألف مسلم، بينما لم يترك المسيح على دينه سوى مائة وعشرين فرداً من جهلة يهود فلسطين، وحتى هؤلاء أنكروا صلتهم به في أثناء الصلب. فماذا يفعل؟ لا ضير عليه إن قذف أعداءه ببلواه !

ومما يزيد متعاب علماء اللاهوت أن الأمر ليس قاصراً على المسيح فحتى بولس المؤسس الحقيقي للمسيحية يشتكي هو الآخر من هجرة

الناس له، فالإله والرسول هجرهما الأتباع.

وتأمل ما يطلبه بولس من تلميذه تيموثاوس في الرسالة الثانية إليه، يقول له:

«بادر أن تجيء إليَّ سريعاً، لأن ديماس قد تركني إذ أحب العالم الحاضر وذهب إلى تسالونيكي، وكريستكيس إلى غلاطية، وتيطس إلى دلماطيَّة لوقا وحده معي، خذ مرقص وأحضره معك لأنه نافع لي للخدمه.

أما تيخيكُس فقد أرسلته إلى أفسس، الرداء الذي تركته في تَرُواس عند كارْبُس أحضره متى جئت، والكتب أيضاً، ولا سيما الرقوق.

اسكندر النحاس أظهر لي شروراً كثيرة، ليجازه الرب حسب أعماله، فاحتفظ منه أنت أيضاً، لأنه قاوم أقوالنا جداً.

في احتجاجي الأول لم يحضر أحد معي، **بل الجميع تركوني**، **(فلم يبق معه لا لوقا ولا غيره)** لا يُحسب عليهم، ولكن الرب وقف معي وقواني لكي تُتّم بي الكرازة، ويسمع جميع الأمم، فأُنقذت من فم الأسد، وسينقذني الرب من كل عمل رديء، ويخلصني لملكوته السماوي الذي له المجد إلى دهر الدهور، آمين.

ولكن الله لم ينقذه فكانت هذه هي الرسالة الأخيرة إلى تيموثاوس وبعدها سجن، وتخلى عنه أصحابه أجمعون، ثم صلب جراء عمله الشنيع في رومية.

صلب بولس بعد أن سجل تحياته إلى تيموثاوس.

وصلب إلهه بعد أن قال لأمه «**يا امرأة**».

وتأمل كيف أبدى بولس لتلميذه خشيته من برد الشتاء القادم، وكان

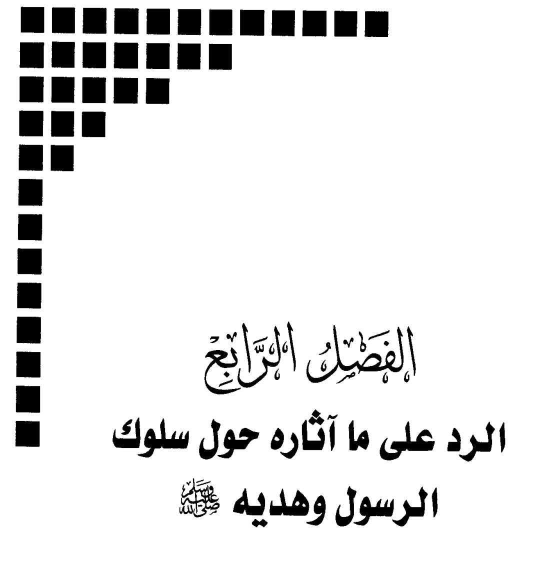
على المسكين تيموثاوس أن يبادر بحمل الثوب الذي تركه بولس في تَرُواس عند كارْبُس وليأت سريعاً قبل الشتاء حتى لا يلسع البرد جسم بولس، ولم يدرك بولس أنه لن يهنأ بهذا الثوب، فكان الصلب هو المحطة الأخيرة لمن أشاع في الناس أنه رسول يسوع.

فالمسيحي البسيط يتساءل: لماذا يهرب أتباع بولس والمسيح من حولهما؟

الإجابة على هذا السؤال معلومة.

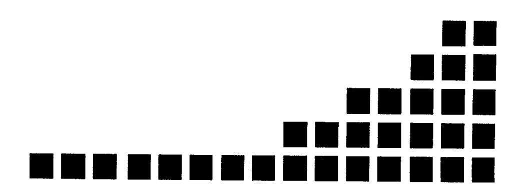
لكن تبقى المشكلة: النصارى لا يقتنعون إلا بما هو غير المعلوم!

❁❁❁



الفصل الرابع

الرد على ما آثاره حول سلوك الرسول وهديه ﷺ



الفصل الرابع
الرد على ما آثاره حول سلوك الرسول وهديه ﷺ

كم من مرة حاول الكفار النيل من مقام حضرة النبي ﷺ ودائماً كان رد القرآن الكريم قاطعاً وسريعاً، ولكنه لم ينتهج ما ننتهجه اليوم في ردودنا من محاولة رصد أعمال وأقوال النبي ﷺ بغرض نفي ما يلصقه به الحاقدون.

لسنا بحاجة إلى أن نرد على نباح المستشرقين كل مرة بسرد تفاصيل سيرته ﷺ، بعض الكتاب يستشهد أحياناً بآراء خبراء الطب النفسي أو العضوي لينفي كذبة مفتراة لا تصدق كاتهامه عليه السلام بالسحر أو الجنون، لا يسلك القرآن الكريم هذا الدرب، وفقط يكتفي بنفي ما لم يتمكنوا من إثباته، فعندما اتهموه بالجنون نزل قوله تعالى: ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝ ﴾ [القلم]

لكن عندما يتمادى المكابرون في الإساءة فإن المنهج القرآني لا يقتصر على النفي أو الإثبات، بل إنه ليطلعنا في لفظة خاطفة على ما خفي من عيوب شانئيه، لا شك أن العربي الذي نعته القرآن الكريم بـ «**الزنيم**» يود لو لم تكن قد ولدته أمه، فماذا لو علم هذا الزنيم أو هذا العتل أن خصمه يعلم عنه ما لا يعلمه هو عن نفسه؟

إن على الطاعنين في الرسول ﷺ أن يحسبوا حساباتهم، ويفتشوا في أنفسهم قبل أن تدفعهم الجهالة إلى الإساءة إلى حضرة رسول رب

العالمين، فليخرجوا الخشب من عيونهم قبل أن يتوهموا أن بأعين الآخرين قذى، ولو قرأنا سورة الأحزاب لألفيناها لا تترك لنا ما نقوله هنا في الرد على هؤلاء، ولكن المشكلة أنهم للآن لا يفهمون معنى تحدي القرآن الكريم لهم، فيسمعون كل يوم قوله تعالى:

﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

وكأنهم لا يسمعون !

ويبصرون التاريخ وكم فيه من محاولات فاشلة وكأنهم لا يقرؤون !

فإلى متى نظل ننادى إذا كان هؤلاء الموتى لا يسمعون؟

وسواء أسمعوا أم لم يسمعوا فلا مناص من:

- التصدي لهم.
- والكشف عما خفي من أحقادهم.

والآن ونحن بصدد الرد على ما أثاره القس بوش من شبهات حول سلوكه وهديه ﷺ ننبه إلى أن ما نضطر إلى عرضه من صورة المسيح هو ما نراه في أناجيلهم، وما لا يودون أن نعرفه من أخبارهم.

۞۞۞

١- الرد على زعمه من أن زواجه ﷺ بخديجة كان إعلاءً لشأنه:

يزعم في صـ ١٥٩ من الترجمة أن محمداً ارتفع شأنه بزواجه من خديجة حتى وصل إلى مصاف الطبقة الأولى من أهل مكة، الأمر الذي هيأ له قضاء ما يزيد على اثني عشر عاماً من عمره في رخاء ويسر، استفاد منها في التفكير في وضع خطته الجسورة لنشر دين جديد في العالم.

۞ ورداً على هذا نقول:

اعتاد العرب تزويج بناهم في سن العاشرة، والبنين في الثانية عشرة من أعمارهم، فانظر كيف بقي الرسول ﷺ بلا زواج حتى بلغ الخامسة والعشرين من عمره، ولما تهيأ له أمر الزواج لم يبغ أكثر من أن يكون له بيت وأبناء، فكيف تلخصت أماني هذا الشاب من الدنيا في أرملة بلغت من العمر ما يجعلها في عمر والدته؟.

ومع ذلك ظل معها ثلاثاً وعشرين سنة حتى توفيت في الرابعة والستين، لم يتزوج عليها ولا بعدها مباشرة، وظل حتى مضت على رحيلها ثلاث سنوات.

لم يكن زواجه ﷺ من مارية المصرية مقللاً من شأنه، ولا زواجه من خديجة رافعاً لقدره الشريف، فقد تزوجت خديجة من قبله برجلين[1] وما ارتفع أحدهما عن الآخر، كما أن شأنه ﷺ لم يبلغ نهاية الشهرة ويتخطى

---

١ - اســم الأول أبو هالة بن زرارة التميمي والثاني عتيق بن عبد الله بن عمر بن مخزوم انظر سير أعلام النبلاء جـ٢ صـ ١١١ ط/ مؤسسة الرسالة.

حدود العرب إلا بعد وفاة خديجة، والتاريخ يؤكد أن خديجة هي التي سعت إلى الزواج منه، فقد بان لها من صدقه وأمانته في تجارتها ما حملها على التصريح برغبتها، فلو قلنا إن أحد الزوجين رغب أن ينال ارتفاعاً بالآخر تكون خديجة رضي الله عنها هي التي رأت ورغبت في ذلك، وهذا الأمر يدركه العرب، ويقيسون عليه أحوالهم، وكما يقول شاعرهم:

قالوا أبو الصقر من شـــيبان .. قلت كلا لعمري ولكن منه شيبان كم من أب قد علا بابن ذرا .. شرف كما علت برسول الله عدنان

فهذا إجماع من أمة العرب على شرفه ﷺ حتى إنهم ليعتدون به ميزاناً في العلو والرفعة، وأما الغربيون فأكثرهم يرددون قولاً قاله آباؤهم، فهم على آثارهم يهرعون، وبعضهم يأبى إلا إرضاء ضميره فيعلن رأيه متحملاً ما يترتب عليه من متاعب، كهذا الباحث النصراني الذي جالت بخاطره فكرة اختيار العظماء المائة في التاريخ، وهو موضوع قد يبدو سهلاً في نظر البعض، غير أنه محير بعدد ما يحويه من عظماء، فعلى أي أساس نقبل اسماً ونستبعد آخر، وعلى أي أساس نقدم اسماً ونؤخر آخر، لهذا جاء كتاب **«العظماء مائة»** الذي ألفه الكاتب الأمريكي مايكل هارت يختلف عما ألفه جورج بوش، ورغم أن الكاتبين من بلد واحد إلا أن بوش لا يرمي إلا إلى الطعن في محمد بأي شكل وبأية وسيلة، بينما **«هارت»** يتضح أنه باحث، وقد التزم بهدفه المعلن، وهو ترتيب عظماء الإنسانية طبقاً لميزان يعتمد على الأثر التاريخي لكل عظيم من هؤلاء العظماء.

لهذا يضع بجوار نابليون هتلر.

كما يضع بجوار (**كونفوشيوس**) رسول المسيحيين بولس[١]

لكن تخيل من يتربع فوق كل هؤلاء؟

إنه محمد ﷺ !! لم يذكر هذا الكتاب المسيحي ضمن مؤهلات محمد ﷺ لهذه المترلة زواجه من خديجة.

وربما لا تسألني: عن موقع المسيح على هذا الدرج الطويل ظناً منك استحالة أن يضع الباحث المعبود في قائمة العباد.

لكن انظر: ماذا ترى؟.

إن المسيح بجوار بوذا !

فما بال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً، يضعون:

- باباهم فوق البشر.
- وإلههم بجوار بوذا !؟

إننا نأسف لحط قدر المسيح ﷺ إلى هذه الدرجة، ذلك أنه في الإسلام فوق كل ذلك، إنه مع: نوح وإبراهيم وموسى ومحمد عليهم جميعاً الصلاة والسلام، فهؤلاء هم «**أولو العزم**» وهم الصفوة من الخلق، وقد جمعتهم الآية الكريمة: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ (الشورى)

---

١ - من يرعى الخراف للمؤلف صـ ٧

أنظر أين تجد عيسى عندنا وأين تجد يسوع عند المؤمنين بألوهيته؟

ولو كانت خديجة قد وفرت للنبي ﷺ اثنتي عشر عاماً ليبني فيها مجده الظاهر، لبدا مناوئاً لهؤلاء الرسل وليس سائراً على دربهم، مقتدياً بصبرهم، لكن الله أمره أن يقتدي بهم في الصبر وتحمل الأذى:

﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴿٣٥﴾ ﴾ (الأحقاف)

فليست خديجة هي من ارتقت بمحمد على هذه الدرجة، وليس عدم خديجة للمسيح هو ما قعد به عن الوصول إليها، ولو كان محمد يبحث عما يرفع شأنه أو يخلد ذكراه لما نهى عن مدحه وإطرائه، فقد روى البخاري، قال: حدثنا الحميدي حدثنا سفيان قال سمعت الزهري يقول: أخبرني عبيد الله بن عبد الله عن بن عباس سمع عمر ﷺ يقول على المنبر سمعت النبي ﷺ يقول لا تطروني كما أطرت النصارى بن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله»[1].

وبعض المبشرين عندما يحاول المقارنة بين محمد والمسيح يصر على أنه لا وجه للمقارنة بينهما، ذلك أن المسيح إله ومحمد بنص القرآن الكريم بشر لا ألوهية فيه، ويخطئ المسلم عندما يحاول قلب الفكرة، بما يرفع من شأن محمد ويقلل من شأن المسيح، ذلك أنهما في الحقيقة رسولان أرسلهما الله ﷻ برسالة الإسلام، والطعن في أحدهما ما هو إلا طعناً في الآخر.

❁❁❁

---

١ - صحيح البخاري جـ ٣ صـ ١٢٧١ حـ [٣٢٦١]

٢- اتهام النبي ﷺ في حياته:

يزعم في صـ ٣٥٨ أن النبي ﷺ لم يستطع أن يقاوم رغبته الجنسية مما اضطره إلى ممارسة الجنس، ويضرب لذلك مثالاً يقول: ومن الأمثلة الصارخة ما حدث من اتصاله بالجارية المصرية مارية القبطية، لقد وصل الأمر (خبر هذا الحب المحظور) لمسمع إحدى زوجاته الشرعيات، بل لقد رأت بعينها ما حدث (أي الاتصال بملك اليمين) فوبخته توبيخاً مريراً، فوعدها مقسماً ألا يعود، لكن طبيعته غلبت عليه، فلجأ إلى الوحي، ليغطي هذا الخزي، وتلك صفحة سوداء لوثت القرآن ومؤلفه كما يقول جورج بوش.

۞ ورداً على هذا نقول:

هناك من يعتقد أن الغرب بما فيه من شذوذ ودعارة وظلم وغطرسة إنما يحيد عن تعاليم دينه، ولكن من يراجع الجوانب التشريعية المتعلقة بفكر بولس يجد أن ما يفعله الغرب من انحلال وتدهور أخلاقي، وإنكار للناموس، وفصل بين الدين والدولة، إنما هو من صميم دين الغرب، فالغرب يحيد عن دينه لو عمل غير ما نراه الآن.

ولهذا لا يميز هؤلاء العميان بين الظلمات والنور، ولا يفرقون بين المشروع وغير المشروع، والمحظور وغير المحظور، والمعقول وغير المعقول، فيتوهمون أن النبي حاول أن يبرر بالوحي ما لا حظر عليه فيه!.

وإذا أرادوا الحديث عن حياته ﷺ الشخصية لم يجدوا هادياً سوى كتبة

أسفارهم المقدسة، ولهذا فهم يتحدثون بغير ما عرفه علماء السيرة النبوية الشريفة، وبغير ما تعارف عليه أصحاب الأخلاق الرفيعة، فهم لا يعرفون أحداً على ظهر الأرض أكثر حكمة من سليمان، ولا يسمعون عن أحد في العالمين أكثر قداسة من داود، ولا يضير قداسة داود — عندهم – أنه زنا بامرأة أو أكثر، وكذلك لا يضير أصحاب القداسة من رجال الدين داخل الأديرة وخارجها أنهم سلكوا نهج داود، ولهذا فلا إشكال لدى هؤلاء الملوثين بأوحال الرذيلة لو تحدثوا عن أشرف الخلق بنفس الروح التي يتحدث بها اليهود عن أم المسيح عليها السلام، أو بنفس الأسلوب الذي يتحدث به المؤرخون النصارى عن أصحاب القداسة عندهم، وأمامك في تاريخ البابوية نماذج من أهل القداسة أمثال البابا بيوس الثاني والإسكندر السادس الذي ملأ روما بأبنائه غير الشرعيين، وإذا كنت من المتابعين للصحافة الغربية اليوم فلست في حاجة لأحدثك عن فضائح الكنيسة الكاثوليكية في أوربا أو البروتستانتية في أمريكا، فلعلك تتابع فضائح الدعارة والشذوذ داخل الكنيسة الكاثوليكية وغير الكاثوليكية كما نتابع بملل أحوال الطقس على المناطق الشمالية والجنوبية، ولا يرى القساوسة في هذا الانحلال سوى شريعة الحرية، تلك الحرية أو تلك الشريعة التي أورثتهم تبلداً في الأحاسيس، فاتفق عابدو يسوع وجاحدوه على الإساءة إلى من بعثه ربه متمماً لمكارم الأخلاق.

ولكن العرب وهم أدرى بحال نبيهم من هؤلاء المخمورين بفضائح كنيستهم لم يجرؤوا على الطعن في أخلاقه ﷺ ولا التحدث عن سلوكه

بمثل هذه الروح العفنة، كيف وهم يرونه ﷺ أكثر العرب حياء، وأجمعهم فضائلاً، وقد أجمعت على طهارته ونقاوته كلمتهم، فلم يخرج عن شريعتهم في تعدد زوجاته، وتحت بصرهم تزوج بصورة لا ريبة فيها ولا غموض، بينما لا يستطيع قسيس أن يخبرك بيقين على أية طريقة تزوج داود بامرأة أوريا، ولا يقدر أحد أن يحدثك عما إذا كان يسوع — الذي يعتقدون أنه ثمرة هذا الزواج - قد تزوج هو الآخر أم لا، ربما يقول أحدهم: إنه لم يتزوج، لكن أين اليقين في ذلك، فإن كان يخمن أنه لم يتزوج فلصاحب شفرة دافنشي أن يخمن أنه تزوج بمريم المجدلية، ولا توجد قرينة ترجح هذا التخمين أو ذاك. وربما يخرج علينا أحد فلاسفتهم فيمطرنا تمكماً لأن المسيح إله، والآلهة لا تتزوج، ونقول له: بالحق نطقت، ولكن كيف جاء الإله الابن؟! وكيف صار مولوداً غير مخلوق ؟!

وهناك من النصارى في الغرب من لم يختلفوا حول زواج أو عدم زواج المسيح وإنما حول وجود المسيح كشخصية تاريخية، فبعضهم قطع الشك باليقين، فانحلت الصورة الوهمية التي رسمتها الكنيسة ليسوع على مدى قرون، حتى «**أن الكتاب المعاصرين للمؤلفات المسيحية اللاهوتية يعترفون كلهم تقريباً إلى هذه الدرجة من الاستعداد أو تلك باستنتاج جلي تماماً مفاده أن كل محاولات بعث صورة المسيح التاريخية قد انتهت بالإخفاق من حيث الجوهر، وصار من المألوف تماماً للاهوتيين الذين لا يتطرق الشك إلى تقواهم وورعهم المسيحي التحدث عن**

انحلال صورة المسيح»[1] ذلك أنهم لم يجدوا ما يسجل وجوده في عصر يفترض أنه كان موجوداً فيه، فلو ادعى إنسان أن المسيح ما ظهر على مسرح التاريخ، وأن القصة اخترعها في القرن الثاني بعض القصاصين اليونانيين عن رجل عبراني زعموا أنه عاش في القرن الأول الميلادي، فبأي شيء يمكن تكذيب هذا الإدعاء؟ .

بالأناجيل وهي في الأصل قصص كتبت في القرن الثاني ويصعب عزل الحقيقة فيها عن الخيال، أم بالرسائل ولا يدعي أحد كاتبيها أنه تعرف على المسيح؟ .

وربما طلع علينا أحد دارسي اللاهوت فقال: بالتقليد الشفوي. ولكن التقليد شفوياً أو كتابياً صيغ باليونانية بينما كان المسيح يتحدث الآرامية، ونحن نريد حلقة تربط التقليد اليوناني بالأصل الآرامي لو كانوا يفقهون حديثاً !.

وإذا خرجت من هذا الغموض بين الآرامي واليوناني فستشرق عليك أنوار الهداية القرآنية، فترى بها ومن خلالها صورة إبراهيم خليل الله، وموسى كليم الله، وعيسى كلمة الله، سترى هؤلاء الأنبياء شخصيات بارزة في التاريخ، ثابتة في الجغرافيا، ولن تشك في وجود خاتم المرسلين، حبيب الله ﷺ الذي أطلعك على كل ذلك من خلال كتاب يتحدى بصفة مستمرة الإنس والجن، فلولا إيماني بهذا الكتاب لكنت واحداً من

---

١ - «المسيح بين الحقيقة والأسطورة» أ. كريفيليوف ترجمة رامز نعيمة صـ ٢٠٤ الشعاع للنشر والتوزيع

هؤلاء الشاكين في وجود المسيح، وما أيقنت بوجوده ﷺ في التاريخ ولا في الجغرافيا.

فهل سمعت عن أحد شك في وجود محمد ﷺ؟

إن حياته ﷺ لم تتصف بالغموض الذي يجعلنا نخمن علاقته بزوجاته كيفما يحلو لنا، فعلاقته ﷺ بزوجاته لا تتسم بالإبهام الذي يلف علاقة النجار بالسيدة مريم التي ولدت يسوع. ولا بالريبة التي تميزت بها علاقة بولس بمريم التي تعبت من أجله كثيراً عندما كان يحل ضيفاً عزيزاً عليها في رومية. [رومية ١٦ : ٦].

لقد امتد نشاطه ﷺ وعلاقته في جزيرة العرب وخارجها، وتبادل الرسائل مع رؤساء وحكام عصره، ومن مصر أهديت إليه جارية، فأبت شهامته أن تعامل كجارية، وكان حبه لها وزواجه منها وفق شريعته، ولا يخالف أفضل قوانين قومه السائدة آنذاك، فلم تستغل كخادمة لزوجاته، بل أصبحت أماً لولده إبراهيم ﷺ وأصبح لها في قلب المسلمين مكانة عظيمة، ولو كان تواقاً للنساء ما التفت إلى جارية وأمامه من حرائر الفرس والروم ما يغنيه عن كل ذلك. فكيف يظن هذا القسيس أنه ﷺ يبرر أفعالاً لا يمنعه من فعلها عرف ولا قانون؟ .

فالناس في الإسلام سواسية، وإنما يتفاضلون بأعمالهم، ولا فرق في الإسلام بين حرة وجارية، ولا بين حرة بيضاء وأخرى سمراء، بل إن الإسلام ليعطي لمن يتزوج الأمة بعد أن يعتقها أجرين، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إذا أدب الرجل أمته

فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها كان له أجران»[1].

والرسول ﷺ إنسان بما تحمله الكلمة من معانٍ، لم يحب امرأة لأنها شريفة، ولم يكره امرأة لأنها وضيعة، ولم يتزوج امرأة لأنها مليحة، ولم يعرض عن امرأة لأنها قبيحة، بل تزوج بعد خديجة أرملة مسنة ليست ذات منصب، ولا هي كذلك ذات جمال، بل عجوز مسنة في حاجتها إلى الرعاية أشد من حاجتها إلى الحياة، وكاد أهل مكة لا يصدقون بزواجه ﷺ من أم المؤمنين سودة رضي الله عنها لكبر سنها.

لقد ضرب لنا المثل في كافة جوانب الحياة الأسرية. فاكتملت في شخصه ﷺ كل صور القدوة، فقد تزوج الثيب والبكر، والأرملة والمطلقة، والحرة والأمة، والصغيرة والكبيرة، فتأمل كيف عاملهن ﷺ ؟

إنه ليمنحنا القدوة زوجاً وأباً، قولاً وعملاً، ولم يزل يوصينا: «خيركم خيركم لأهله»[2] .



١ - صحيح البخاري جـ ٣ صـ ١٢٧١ حـ [٣٢٦٢]

٢ - النهاية في غريب الأثر الجزري جـ ٢ صـ ٩١ دار الفكر بيوت

٣- الزعم بأن زينب بنت جحش أسرت النبي بجمالها

يزعم في صـــ ٤١٠ وما بعدها أن النبي قد افتتن بزينب بعد أن وقعت عيناه عليها، وأنه قد ذهب يوماً إلى مترل زيد لأمر و لم يجده، وتصادف أن وقعت عيناه على زينب الجميلة فلم يتمالك نفسه، وجعل يرفع صوته ويقول: سبحان مقلب القلوب كيفما يشاء، ومن وقتها توتر حبها لزيد.

۞ورداً على هذا نقول:

في الشبهة السابقة كان زواج النبي من خديجة ليرتفع شأنه، وهنا يعود القس لإبطال ما حسب نفسه قد بناه، فالرسول تزوج بمطلقة عبد كان ملكاً لخديجة ووهبته له، فمن عليه بالفداء، فلماذا تزوج بمطلقة كانت تحت عبد؟ هل ليحقق ما لم يحققه من زواجه بخديجة من علو ورفعة؟.

لا تكاد تجد كتاباً من كتب المنصرين إلا وفيه الحديث عن زواج النبي من زينب، والمعروف أن جميع الشبه التي يرددها المنصرون تعرض لها كفار قريش، غير ما يتعلق بحياته الخاصة ﷺ فتلك من مبتكرات متقدمي المنصرين، والسبب هو عجزهم عن النيل من تعاليم الإسلام، فلا أقل من أن ينالوا من شخص الرسول ﷺ، وليلفقوا له من التهم ما أرادوا، ولا غرو فكتبهم المقدسة مليئة بالفضائح الأخلاقية، وهم يتعبدون ليسوع بترتيل تلك الفضائح على مسامع الشعب في الكنائس وخارجها، واقرأ حال المرأة عندهم فقلما يذكر اسم امرأة في الكتاب المقدس إلا وتجده مقترناً بفضائح أخلاقية، ولولا الإطالة لسرنا في هذا الاتجاه ولكن لن

نصل فيه إلى نهاية،[1] فحتى معجزة ميلاد المسيح حشروا فيها يوسف النجار، مع أن الحلم الذي رآه من شأنه أن يقوى الشكوك حوله، ولا ينفيها عن مريم، ولهذا لم يلتفت يوحنا إليه ولا إلى حلمه، ومتى يشير إلى أنه كتم الحلم في نفسه، ولم يرد أن يشهرها، أي ولم يرد أن يفضحها، ولكن المزورين يصرون على أن المسيح هو ابن يوسف الذي ستر على أمه، وابن الله الذي تجلى ليوسف في الحلم وأمره بأن لا يفضح مريم، ولو

---

١ - لم تذكر امرأة في شجرة نسب المسيح إلا ولها ماض مزعج، فرحاب زانية مشهورة من أريحا [يشوع ٢ : ١- ٧] وبتشيع: أم سليمان هي المرأة التي اختطفها داود من زوجها أوريا بطريقة مخجلة [٢ صموئيل ١١: ١٢] وثامار زنت مع والد زوجها، فقد أراد يهوذا أن يقيم نسلاً لابنه، وكان أولاده صغاراً فكان يعد ثامار أرملة ابنه بأنه عندما يكبر ابنه فلان سيجعله يقيم منها نسلاً لأخيه الذي مات، ولما أخلفها الوعد ارتدت برقعاً وجلست له على قارعة الطريق، فلما رآه يهوذا حسبها زانية فأخذها وزنى بها؟ [تكوين ٣٨] وإذا أقنع يهوذا أباه يعقوب بجريمته مع ثامار زوجة ابنه فماذا كان موقف رأوبين الذي زنى بسرية أبيه يعقوب بلهة [تكوين ٣٥: ٢٢، ٤٩: ٣-٤] هل كان يبغي هو الآخر أن يقيم نسلاً لأبيه؟ وإذا قلنا إن ثامار زنت مع يهوذا ابن يعقوب ليقيم نسلاً لابنه، فهل كان لسميتها ثامار ابنة داود التي زنت مع أخيها أمنون نفس الآمال؟.

لقد خدعها آمنون موهماً إياها بأنه يريد أن يأكل من يدها كعكاً فأكل شرفها [صموئيل الثاني ١٣: ١٠ – ١٤] فهل تعتقد أن الكتاب الذي يعرض حياة الأنبياء على هذه الصورة هو بالفعل كتاب مقدس؟؟.

حاولت فهم هذه البنوة أو الأبوة فقد أوقعت نفسك بين أصعب أمرين، فإما أن تقتنع بالمستحيل وتمضي، وإما أن تظل حبيساً بين أيديهم حتى يقنعوك..!.

ولن تجد قوماً يدافعون عن التزوير كالنصارى، ولا من يصدق الأباطيل كاليهود، فابن الرجل هو ما كان من صلبه، ولكن جرت عادة اليهود أن يلصق المرء ابنه بغيره، فمن مات ولم ينجب يقوم أخوه فينجب أولاداً على اسمه، وأحياناً يعمل الأب ما لم يصنعه الأخ، وفي الكتاب المقدس صور مختلفة ومنها ما فعله يهوذا بن يعقوب، ومع الأسف نسبت الكتب المقدسة فارص وزارح إلى يهوذا وليس إلي «عير» الذي كان ينبغي أن يقام النسل على اسمه.

وليس حال أهل الجاهلية إلا أخف وطأة من تلك الصور المقززة، فقد جرت عادتهم على إلحاق أولاد الغير بأنفسهم، ومعاملتهم كأبناء حقيقيين، وفي هذا تزوير للواقع أيضاً، وهنا يترل القرآن الكريم آمراً المسلمين بأن لا ينهجوا نهج المزورين، وأن ينسبوا الأولاد إلى آبائهم الحقيقيين، وهذا ما لم يكن يشتهيه النبي ﷺ فيما يتعلق بزيد بن حارثة، فقد ظل يود بقاء زيد ابناً له، وأعلن ذلك أمام الملأ من قومه، ولكن ها هو القرآن الكريم يترل ليبطل ما اشتهاه النبي ﷺ قال تعالى:

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم

بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝﴾ (الأحزاب)

ورغم أن سورة الأحزاب نزلت في ظروف الحصار المطبق على المدينة إلا أنها ترسم صورة دقيقة الأبعاد لعلاقة النبي ﷺ بأمته، ولو فهم القساوسة ما جاءت به هذه السورة من أحكام لحبطت قواهم فما كتبوا ولا طعنوا في أشرف الخلق ﷺ لكنهم لا يرون سوى أن محمداً أنكر التبني لأنه أبصر جمال زينب؟

وكأنه لم يكن يبصر من قبل.

وكأنه كان ينتظر حتى تسوء حالة زينب النفسية، ويذبل وجهها بسبب زواج لا رغبة لها فيه، ليفكر في النهاية في الزواج منها، لماذا يقول لزيد أمسك عليك زوجك لو كان ما يراه المستشرقون حقاً؟

يقولون إنه أنكر البنوة لزيد ليتزوج بامرأته فهل يعاب عليه إنكاره للتزوير والتضليل في كل صوره وأشكاله؟

وهل يعاب عليه أنه أنكر بنوة زيد له أو بنوة المسيح لله؟

❖ **فالقرآن يبطل كل ألوان التزوير سواء ما:**

- اعتاده العرب من جعل الزوجات كالأمهات.
- أو الأدعياء أبناء.

- أو الأبناء أدعياء كما اعتاد اليهود.

فهذه ألوان من التزوير لا يعترف بها الإسلام، ولكن النصارى لا يؤمنون إلا بها، ولا يترددون في تطبيقها على الأنبياء، ولا يستثنون منها الآلهة، فالمسيح هو ابن الله حقيقة لا مجازاً، وهو ابن يوسف رجل مريم، يوسف ابن يعقوب حسب متى، أو ابن هالى حسب لوقا، فإذا ما قال القرآن الكريم قولاً واحداً في المسيح بأنه عيسى بن مريم ظنوا أنه أساء إلى دينهم، وحق عليهم أن لا يتوقفوا عن الإساءة إليه.

وإذا أنكر محمد أبوته لزيد قالوا: «**إنه قد أنكر حقوق البنوة التي ادعاها**»

وهل يلام النبي على إنكاره التزوير؟

هنا يترل القرآن الكريم ليبطل التزوير بالعمل بعد إبطاله بالقول، فلا مجال للتشكيك في واقعية تعاليم الإسلام بأنها أقوال نظرية، أو مثالية مستحيلة التطبيق، ومن أولى بتطبيق هذه الأحكام من رسول الله ﷺ .

يتقدم زيد لمصاهرة أشراف قريش، إنها زينب بنت جحش، ولكن القرشية المعتزة بحسبها ترفض بإصرار، وتفشل كل الجهود لإقناعها، وهنا يترل القرآن الكريم، مكرهاً زينب على الزواج بمن لا تريد، قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾
(الأحزاب ٠٣٦)

ولا يعرف أحد علة لذلك، وربما تحدث البعض عن تحطيم الإسلام للفوارق بين البشر، لكن الموضوع أكبر من مسألة هذا التحطيم الذي ظهر في شكل الدولة الإسلامية وجوهرها، والذي أصبح يشاهد في كل نشاط من أنشطتها.

لقد أخرج البخاري في باب «**إذا زوج ابنته وهي كارهة فنكاحه مردود**» **عن خنساء بنت خذام الأنصارية أن أباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك فأتت رسول الله ﷺ فرد نكاحه**»[1]

فكيف يجبر الإسلام زينب على الزواج، ويرد نكاح أية امرأة غير زينب لو لم تكن راضية؟ كيف يجبر الإسلام زينب على الزواج بمن لا تريد وبغير كفء، ذلك أن المقصد هنا ليس إلا إبطال التزوير بكافة صوره وأشكاله، فلتمض التجربة التشريعية في التطبيق إلى نهايتها.

تزوجت زينب بزيد بعد تردد حسمته السماء، وبدأت بينهما حياة زوجية فاترة، وفجأة تنزل الآيات القرآنية لتخلع عن زيد تلك البنوة المدعاة، ويظهر الاسم الجديد «**زيد بن حارثة**» الأمر الذي أثر في نفس زيد والنبي على السواء، ومما زاد في بؤس زيد أن زوجته ازداد تعاليها عليه، وبدأ الرسول يتدخل بين الحين والحين لإصلاح ذات البين دون جدوى. فكان زيد يثور والرسول يمنيه، ولكن طال عهد الأماني، وضاق بالأمر ذرعاً زيد، في هذه الحال أوحى الله لنبيه بأن دوره في إصلاح ذات البين قد بلغ النهاية، ولم يبق إلا أن يطلق زيدٌ زوجته، إنه لأمر غريب !

---

١ - البخاري جـ ٥ صـ: ١٩٧٤ حـ [٤٨٤٥]

إذ لم يضع لهما خيار غير الزواج، والآن لا خيار سوى الطلاق.

وهنا حدث ما لم يتوقعه الرسول ولا زيد ولا حتى زينب، فأوحي الله إلى نبيه أن يتزوج بمن طلقها زيد، وهنا اعترى الرسول هم ثقيل لهذا الأمر الغريب، وساوره التوجس من الإقدام عليه، بل أخفاه في نفسه خوفاً من عاقبته، فبكل يقين سيقول الناس: «**تزوج امرأة ابنه**» وهي كلمة لا يرغب النبي أن يسمعها أو تدور في خلد أحد من حوله، إنه أشد حياءً من العذراء في خدرها، كيف سيواجه الناس بهذا الأمر الغريب؟ وما سيقولون عنه؟.

لكن هذا الذي سيقوله الناس هو ما قصد الإسلام هدمه، ويجب على النبي ﷺ أن لا يخفيه في نفسه، وأن ينفذه أمامهم دون تهيب. ولو قال الناس: إنه تزوج مطلقة ابنه كانوا مخطئين لأن ادعاء البنوة لون من التزوير ينبغي إبطاله والإقلاع عنه، ولهذا نزل القرآن يلوم الرسول على إحجامه عن وضع هذه التجربة التشريعية موضع التنفيذ، فرغم نزول الآية التي تبطل بنوة زيد لمحمد إلا أنها لا تزال عالقة في أذهان بعض الناس، ولا يزال فيهم من ينطق بها عمداً أو سهواً، فكيف السبيل إلى إبطال ذلك بصورة نهائية؟.

هنا يترل القرآن الكريم ليلوم النبي على توقفه، كاشفاً عن العلة وراء هذا الزواج، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى

ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾

وهكذا يفصل القرآن الكريم بين ما ينبغي وما لا ينبغي، وما يستحي وما لا يستحي منه، فأولى بالأنبياء والمشرعين أن يكونوا هم القدوة، ليكسروا عزوف الناس عما لا حرج في فعله، فلم يقل القرآن **(فلما قضى ابنك..)** وإنما قال زيد، وفي سبب نزول هذه الآية ما يؤكد أنه ﷺ ما تزوج زينب برغبته، ولكن الله فرض عليه ذلك لأغراض تشريعية تتعلق في جانب منها بسد الذرائع إلى الباطل، فلم يكن أمامه من خيار سوى تنفيذ أمر الله، كما لم يكن أمام زينب يوم أن تزوجها زيد من خيار كذلك، ولهذا قال: **(زوجناكها)** ولم يقل تزوجتها، فكانت زينب تفخر على زوجات النبي ﷺ تقول: زوجكن أهلوكن وزوجني الله من فوق سبع سموات[1]

وعلة هذا الزواج: ﴿ لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾

وهكذا تبطل عادة التبني قولاً بقوله تعالى «**ادعوهم لآبائهم**» وعملاً بزواج النبي من مطلقة زيد، ولو كان زيد ابنه حقيقة ما صح هذا الزواج،

١- الترمذي ك / تفسير القرآن ٣١٣٧ وقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

وقد تزوج زيد بعد ذلك من أم أيمن حاضنة الرسول ﷺ ولو كانت أم أيمن أم الرسول حقيقة وزيد ابنه حقيقة ما تم ذلك، وببطلان التبني عملياً ونظرياً تبطل كل صور التزوير، فلا يقولن أحد الآن إن الإسلام عبارة عن مبادئ نظرية، أو مثالية غير واقعية، ولم تكن تلك الرحلة الطويلة والهادفة إلى إبطال التبني بالأمر اليسير، ولكن أرادها الله أن تكون هكذا، فما إبطال التبني سوى واحدة من مسائل الصراع بين الإسلام والمسيحية، فقد أتعب النصارى أنفسهم كثيراً لإقامة التزوير الذي هدمه الإسلام بإبطال التبني، وحاولوا بشتى الوسائل إثبات أن التطبيق العملي المبطل لتزويرهم إنما كان ممن يسعى في شهواته، ولعلك ترغب في معرفة كيف قام تزوير النصارى، وعلى أية أسس اعتمدوه؟.

يستدل النصارى على مشروعية هذا التزوير بالعديد من القصص والحكايات، ومنها ما جاء في إنجيل متى حيث جاء «**صدقيون الذين يقولون ليس قيامة فسألوه قائلي : يا معلم قال موسى إن مات أحدٌ وليس له أولاد يتزوج أخوه بامرأته ويقيم نسلاً لأخيه**»

[متى ٢٢: ٢٣-٢٤]

فهذه بنوة لا أساس لها في عقل ولا دين، ولا يمكن أن يكون موسى قد جاء بها، فلو أقام العالم كله نسلاً لـــ «**عير**» بن يهوذا لا يعتد به، ولكن اليهود ما فتئوا يطبقون تلك الصورة، ويضعونها في توراة موسى، ويصور سندها الشرعي الإصحاح الثامن والثلاثون من سفر التكوين، وخلاصتها أن ثامار زوجة «**عير**» بن يهوذا لبست برقعاً وجلست على قارعة الطريق

فرآها يهوذا فزنا بها، وفي تبرير ذلك يقولون إن ثامار دبرت المؤامرة، وفي تبرير المؤامرة قالوا إن هذا كي يأتي المسيح من نسل يهوذا !

هذا في نظرهم أمر معقول جداً، أما غير المعقول وغير المقبول فهو أن يتزوج محمد ﷺ من مطلقة زيد الذي ادعاه لنفسه لأن مثل هذا الزواج يكون من رجل يسعى في شهواته، وأما يهوذا فلم يكن يسعى في شهواته، بل كان كل أمانيه أن يرزق بنسل يخرج منه إله النصارى، فلا يفرق هؤلاء بين الزنا والزواج، ولا بين البنوة والتبني، وقد استحي النبي ﷺ أن يقدم على الزواج حتى أجبره الله عليه ودافع عنه فيه بقوله: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾ (الأحزاب ٠٣٨)

ثم بين أنه في سبيل تبليغ الشريعة لا ينبغي أن يخشى الرسول ما سيقوله الناس: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾ (الأحزاب ٠٣٩)

وبهذا الزواج وبهذا التشريع أبطل الإسلام التبني وما قام عليه من ادعاء، نسب المسيح إلى يهوذا أو إلى يوسف، حقيقة أم بالتبني، في أول سلسلة النسب أم في آخرها.

فالأناجيل جاءت تعترف بزنى يهوذا بثامار، وسجل متى اسم ثمار الزانية بوالد زوجها في شجرة النسب على هذا النحو «**ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار**» [متى ١: ٣] فثامار هذه أرملة ابنه «**عير**» حقيقة

وليس تبني، ومن هذا الزنا أنجب ولدين هما فارص وزارح، والمفروض أن الولدين ابنا «**عير**» بالتبني لو كان التزوير يسير على منهج واحد، فلماذا نسبهما متى إلى يهوذا بالمخالفة إلى ما ظنوه شريعة موسى؟ .

هل خشي أن يظهر من يشكك في هذه النبوءة بتوهم أن يكون المسيح قد جاء من نسب شرعي؟ .

لا ينسى الشراح الحديث عن الخداع الذي مارسته تلك الأرملة الشابة تجاه يهوذا الهرم، لكن كيف خُدِع وبالتأكيد كشفت له عن وجهها، بل ربما عن كل جسدها، وربما عرفها من صوتها،فلماذا المسيح دون غيره لا يأتي إلا إذا زنى جده يهوزا بأرملة ابنه؟ وجده داود بزوجة جندي من جنود جيشه ؟.

وماذا قالت ثامار لأخوة «**عير**» أبناء يهوذا وقد شاهدوها تأتيهم بالولد بعد الآخر؟.

وماذا قال يهوذا لأخيه يوسف وهو يطلعه على أبنائه بعد أن جمع الله شملهم على أرض مصر؟.

بل ماذا قال ليعقوب وقد انفتح بصره وبدأ يتعرف على أبنائه؟ .

وكيف فرقوا له بين الأبناء والأحفاد؟ .

وبين أولاد الحلال وأولاد الحرام؟.

إنها ليست غلطة عابرة، ولكنها غلطة شنيعة، رتب عليها المزورون أموراً انتهت بألوهية المسيح، فالأنبياء يفعلون ما لا يفعله عوام الناس، فلماذا لا يبطل الإسلام عادة التبني بكل صورها وأشكالها؟ قولاً وعملاً؟ تلك

الصور التي يتذرع بها الضالون، فكل من يريد الزنا يدعي أنه يقيم نسلاً لأخيه، ولا يزال أمامي العديد من الأسئلة التي تتعلق بزواج يوسف النجار، وهل المسيح ابن يوسف حقيقة أم بالتبني؟ .

وبهذه الإشارة تدرك لماذا يصر النصارى على تشويه صورة النبي ﷺ؟ ذلك أنه يكشف ما روجوه من تزوير في نسب المسيح، بعد أن جعلوا له أبوين، بشري وإلهي، ثم البشري جعلوا له نسبين طويلين ينتهي أحدهما إلى سليمان والآخر إلى ناثان. وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق. ظانين أنهم إذا لفقوا ما يثبت أن رسول الله الذي فضح تحريفهم شهواني فقد بطلت رسالته، وثبتت سفاهاتهم، وأصبح المسيح ابن الله هو نفسه ابن يوسف تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

لم يكتف القرآن الكريم بأن يكرر «**عيسى بن مريم**» وإنما قدم التطبيق العملي على بطلان التزوير الذي أدى إلى تغيير النسب الصحيح، قدم التطبيق على يد الرسول وليس شخصاً آخر، حتى يرسخ في النفس، ويستقر في الوجدان، ولا يصير إبطال التزوير كالبند المجهول أو الحكم المنسي من التطبيق.

ولكن اليهود كانوا لهذا التشريع بالمرصاد، فقد استغلوا زواج النبي من زينب وراحوا يؤلفون الحكايات، على غرار ما فعلوه من قصة يهوذا وثمار، فبعدما أجبروا على الخروج من المدينة عقب غزوة الخندق، خرجوا وفي ذهنهم الإساءة للرسول الكريم، لم يكتف اليهود بتحريف سيرة داود عليه السلام، بل طمعوا في تحريف سيرة الرسول ﷺ، وعلى غرار قصة يهوذا

وثمار نسجوا خيوط قصتهم، ولا مانع أن يعلن يهودي إسلامه لترويج قصة تطعن في مقام الرسول، يفسر بها القرآن الكريم، كما فسروا بقصة داود التوراة، ولهذا جاء القرآن الكريم في ختام سورة الأحزاب يحذر من القول بقولهم، أو السير على دربهم، فنزل قوله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ ﴾ (الأحزاب ٠٦٩)

أي لا تؤذوا نبيكم كما فعل اليهود مع موسى حيث قالوا (إنه آدر) وورد في قولهم هذا عن موسى حديث صحيح، قد يستطيع اليهود إدخال مثل هذه الافتراءات على أنبياءهم في كتبهم المقدسة وفي تفسير القرآن الكريم، ولكنهم لا يستطيعون أن يغيروا كلمة واحدة في القرآن الكريم.

لهذا كله جاءت سورة الأحزاب تبطل عادة التبني، قولاً بقوله تعالى **(ادعوهم لآبائهم)** وعملاً بتطبيق النبي لذلك بزواجه الفعلي من زوجة ابنه المدعى بعد أن طلقها.

وجاءت الحكمة في كونها مطلقة حتى لا يتوهم واهم بفكرة إقامة النسل للمتوفى، وبهذا يكون قد أتاهم بحالة مخالفة لما اعتادوه، ليقيم بها عليهم حجة لا تقبل الذرائع.

فليذهبوا يميناً ويساراً فقد أحاطت بهم براهين الحق القاطعة، وحججه الساطعة، وليس لديهم إلا الحسرة والندامة على دينهم المخالف للعقل إجمالاً وتفصيلاً، وعلى دنياهم التي يتمتعون فيها كالأنعام .. والنار مثوى لهم.

❁❁❁

٤- اتهام النبي باتخاذ الوحي ستاراً لإعفاء نفسه من الشريعة

يدعي: أن النبي قد أساء حقوق البنوة التي ادعاها، ليستر إسرافه في حياته الشخصية، فتحت ستار الوحي أعفى نفسه من شرائع أتى بها دينه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ ﴿٥٠﴾ ﴾

هذه الميزة المبالغ فيها التي تمتع بها ربما تناقضت مع ما هو مسموح به لسائر المسلمين، قال تعالى: ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾ ﴾ (النساء)

«لكن القارئ يستطيع من خلال ما ذكرناه أن يدرك كيف استغل النبي نبوته لإشباع الرغبة الحسية». [صـ ٣٥٨ من الترجمة]

۞ ورداً على هذا نقول:

قلما تجد مسيحياً يطعن في الإسلام لا يتخذ من الافتراء على حياة الرسول ﷺ الخاصة منفذاً لذلك، وليس هذا لأن حياته ﷺ كانت مشينة بل لأنها أكثر ما يتمسك به المسلم كبرهان على صدقه ﷺ .

كما أن عرض سيرته دون افتراء يؤثر في نفوس غير المسلمين، وكثيرون يسلمون لله رب العالمين عندما تعرض عليهم مواقف من حياته ﷺ الخاصة، وآخرون يبقون مستسلمين للقلق النفسي إلى نهاية الحياة.

غير أن القساوسة من ذوي السطوة والأناقة لا يدعون موحداً دون أن يشككوه.

ولا عابر طريق إلى الإسلام دون أن يصدوه.

وقد يستغلون ترجمات رديئة لبعض كلمات القرآن الكريم، وأحياناً يضعون الآيات في غير السياق، ليخرجوا في النهاية بصورة منمقة من الأكاذيب علهم يصدون بها من يرغب في توحيد الله تعالى.

ففي البداية يفترضون أن النبي ﷺ كان مسرفاً في الشهوات، ثم لا يحاولون إثبات هذا الفرض، وإنما البحث عن مبرراته، فإن لم يجدوا ما يبرره زعموا أنه كان يحاول ستر إسرافه بالوحي، وعند سوق الأدلة من الوحي قد تعمى بصائرهم وأبصارهم عن بعض الكلمات التي تعود بهم إلى ما قبل المربع الأول، فمثلاً كلمة (أحللنا) في قوله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ﴾

ماذا لو تأملها هؤلاء الواهمون؟ هل يبقى لهم مجالاً للقول؟ إنهم لهذا لا يتأملونها، ويتحدثون وكأن قضية تأليف محمد للقرآن قد فرغوا من إثباتها، ويكرز جهلة مثقفيهم كاشفين عن سعة علمهم أمام العوام المساكين، ودائماً يحرص هؤلاء المثقفون على الحديث وكأنهم يؤلفون كل يوم قرآناً كذاك الذي جاء به محمد ﷺ والمسيحي الذي يتردد على كنيسة يشعر وكأن بطلان الإسلام لم يعد مسألة قابلة للنقاش، في حين أن الإسلام كما هو، ولا يزال القرآن الكريم يتحداهم أن يأتوا بسورة من مثله، والمدهش أنهم يعجزون عن تلبية نداء التحدي ولكنهم لا يعجزون عن مواصلة الشتائم والسفاهات.

ونحن نعلم أن إباحة الزواج للرسول بأكثر مما أباحه الله للمسلم العادي لم يقع برغبته ﷺ ولكن الله أراد له ذلك لأغراض تشريعية مختلفة، فليس النبي كأحد المسلمين، فالمسلم يباح له الزواج ولكن الزواج في حق الرسول فرض: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ﴾ (الأحزاب ٣٨٠)

والمسلم بمجرد أن يتزوج يتمتع بزوجته، ولكن النبي تتوقف تفاصيل أفعاله على أوامر الشرع، فكل أفعاله تشريع أمرنا الله بالاقتداء بها، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ﴾ ومن نظر إلى حياته ﷺ لاحظ فيها تفرده بخصائص تتعلق ليس فقط بعدد الزوجات وإنما كذلك بتفاصيل كل زواج أقدم عليه، فقد تزوج في أفضل أيام شبابه بأرملة في الأربعين من عمرها، ولم يبحث عن غيرها في هذا السن من العمر بل اتجه إلى غار حراء بعيداً عن مكة بمتعها ومباهجها، فزواجه بهذا العدد من النساء في أواخر عمره، بعد أن قضى ما يقارب ثلاثين عاماً من ريعان شبابه وأجود أيامه، مقتصراً على زوجة واحدة عجوز – خديجة ثم سودة- لم يكن لأجل أنه وجد بغتة في نفسه قوة عارمة من الشبق لا يصبر معها إلا بمثل هذا العدد من النساء، بل كانت هناك أغراض أجل وأعظم من هذا، فقد كان من تقاليد العرب الاحترام للمصاهرة، ولا يزال الصهر عندهم باباً من أبواب التقارب بين البطون المختلفة، وكانوا يرون مناوأة ومحاربة الأصهار سُبَّة وعاراً على أنفسهم، فجاء زواجه ﷺ

بأمهات المؤمنين كاسراً سَوْرَةَ عداء القبائل للإسلام[١] .

وحسبي هنا أن أشير إلى زواجه ﷺ بجويرية بنت الحارث سيد القوم، والتي وقعت في سهم ثابت بن قيس فر غزوة بني المصطلق، فادى عنها رسول الله ﷺ وتزوجها، فأعتق المسلمون بسبب هذا التزويج مائة من أهل بينت بني المصطلق قد أسلموا، وقالوا أصهار رسول الله ﷺ.[٢]

وفي بعض الأحيان كانت المرأة تأتي الرسول ﷺ لتعرض عليه نفسها، وكان كرمه ﷺ يرفض أن يردها، فكان يزوجها من يرضاه لها من أصحابه، ولو كان هؤلاء النسوة يعلمن تحديد الزواج بأربع ما عرضن أنفسهن عليه، فلا مفر من القول بأن حكم تحريم الزواج بأكثر من أربع لم يتعلق به، أو لم يكن قد نزل، ولكن نزول قوله تعالى:

﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ﴾ (الأحزاب ٥٢)

يشير إلى إتمام التشريع الإسلامي في جانب من جوانبه، فهو كقوله تعالى:

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (المائدة ٣)

---

١ - انظر الرحيق المختوم صـ ٤٨٠، ٤٨١

٢- الرحيق المختوم صـ ٤٨٠، ٤٨١.

فأين مكان المتعة في حياته ﷺ؟

في السنوات العشر الأخيرة في حياته قاد الجيوش، وتلقى وبلغ فيها القرآن الكريم، وعلم أحكام الإسلام إجمالاً وتفصيلاً، قولاً وتطبيقاً، وفي النهاية لم يزد في الزواج عما أباحه الله للمسلم العادي إلا عندما ناهز الستين، والزوجة الخامسة تزوجها وعمره ثمانية وخمسون عاماً، بينما بقي حتى الخمسين مع زوجة واحدة تسبقه بخمس عشرة سنة، فما الذي يفعله لو كان غارقاً في لذات الجسد وقد بلغ من المكانة والسلطان ما بلغه؟

«لم يكن عسيراً عليه أن يجمع إليه أجمل بنات العرب، وأفتن جواري الفرس والروم على تخوم الجزيرة العربية.

ولم يكن عسيراً عليه أن يوفر لنفسه ولأهله من الطعام والكساء والزينة ما لم يتوفر لسيد من سادات الجزيرة في زمانه.

فهل فعل ذلك بعد نجاحه؟ هل فعل ذلك في مطلع حياته؟.

كلا. لم يفعل شيئاً من ذلك قط بل فعل نقيضه، وكاد أن يفقد زوجاته لشكايتهن من شظف العيش في داره»[1]

فكيف يقولون إنه استغل نبوته لإشباع الرغبة الحسية؟

وهل إشباع الرغبة الجنسية يحتاج إلى استغلال للنبوة أو غيرها؟

وهل يدع استغلال شبابه في أول حياته ليستغل نبوته في أخرها؟

يا عبدة الثالوث: حتى في هذه لا تعقلون!



---

١ - حقائق الإسلام وأباطيل خصومه عباس العقاد صـــ ١٩١ ط/ مطبعة مصر

٥- اتهامه ﷺ بأنه كان يسعى لتخليد ذكراه بعد الممات

يدعي: أن النبي قد حرم على كل زوجاته الزواج من بعده، مع أن بعضهن كن صغيرات السن، لقد التزمن بهذا بعد مماته التزاماً صارماً، وعشن أرامل، ومتن أرامل، والنص القرآني الذي ورد فيه هذا الحكم نص غريب، وسيجعل القارئ يخلص بأن روح الغيرة هي التي أملته، كما كان يقصد به تخليد ذكراه بعد موته. [انظر صـــ ٤١٣ من الترجمة]

۞ ورداً على هذا نقول:

ما كان الزواج في البيئة العربية ولا في غيرها مخلداً لذكر، أو رافعاً لقدر، بل هو في أغلب حالاته معبر عن ضرورة اجتماعية، أو رغبات قبلية، وهو من هنا مؤثر في النفس، وخاصة عندما تحين لحظة فراق الزوج لزوجه، فهل تحريم الزواج على زوجات من أيقن بالرحيل يخلد ذكراه؟ .

لقد رفع الله ﷻ عن نبيه هم التفكير في مستقبل آل بيته، ذلك أنه تولى أمر نسائه في تشريع سماوي معجز، وفي آيات قرآنية تتلى آناء الليل وأطراف النهار، فالمسلمون جميعاً عرب وغير عرب أصبحن أبناء لهن، فلسن كبقية أرامل العالمين، فهن أمهات للمسلمين والمسلمات، ففي سورة الأحزاب نقرأ قول الحق تعالى:

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ ﴿٦﴾﴾

«وأزواجه أمهاتهم» مبتدأ وخبره، فيه حكم الله القاطع بشأن أمهات المؤمنين والمؤمنات، فالسورة التي تبطل التبني تشرع أمومة أو بنوة من نوع

آخر، فزوجات النبي أصبحن أمهات للمؤمنين والمؤمنات حقيقة لا تبني، فكما اختار الله محمداً للرسالة، اختار زوجاته أمهات للمؤمنين بهذه الرسالة، فزوجات النبي أمهات للمسلمين في كل مكان وزمان، فهن أفضل من تلك التي ولدت وأرضعت، حيث يجسدن رابطة الأخوة الحقيقية للمؤمنين والمؤمنات، ويؤكدن الوحدة الإسلامية، التي تجسد روح المحبة بين المسلمين. لهذا يحرم على المؤمنين الزواج بزوجات الرسول ﷺ لأنهن الأصل الذي اجتمع عليه المسلمون، ولا تحريم بين المسلمين ما لم يشتركوا في من أنجبت أو أرضعت وبعض صور علاقات القربى، وشاء الله أن لا ينجب ﷺ من واحدة من اللائي دعين بأمهات المؤمنين ليفسح المجال أمام تلك الأمومة الفريدة، فلا تختلط الحقيقة بالمجاز، أنجب من خديجة وقد ماتت في مكة، ومن مارية وكانت أم ولد، وأما زوجاته اللائى لم يرزقن منه ﷺ الولد فقد أراد ربك أن يهيئهن لأمومة لا حدود لها، أمومة يسمو بها ومن خلالها الوجدان الروحي، لقد وضع الله في قلوبهن رحمة ومحبة لا نهاية لها، وأجمل ألوان المحبة ما كان منبعثاً من أم لأبنائها، وليس أجمل مما ينبعث من أمي التي ولدتني إلا ما فاض به قلب أمي التي جمعتني بكل إخواني المسلمين، لقد تجلت غريزة الأمومة في أكمل معانيها فيهن، حتى لنرى أمنا عائشة تؤثر ابناً من أبنائها عليها في الدفن بجوار حبيبها رسول ﷺ فلو كانت أماً مستعارة ما رضيت بذلك، وقد رأيناها تقود جيشاً عندما فجعت في عثمان ﷺ ولو التفت الناس إلى هذا الجانب لسجلوا الكثير من المواقف، وربما أغرب ما في الأمر أن المسلمين

يشعرون اليوم بأن زوجات النبي أمهات لهم حقيقة لا مجازاً، يشعر بهذه الحقيقة الأبناء والأباء والأجداد والأحفاد على السواء.

وربما ذهب بك الظن إلى أن الرسول بهذا المنطق يمكن أن يكون أباً للمسلمين، وإذ بالقرآن الكريم يؤكد إبطال التبني وإبطال هذا الظن الجديد، قال تعالى:

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ (الأحزاب ٠٤٠)

والفرق بين الصورتين أن أبوة محمد ﷺ للمؤمنين لو أباحها الشرع فستصبح أساساً يبنى عليه كل صور التزوير، فيحرم عليه الزواج بالمؤمنات كما يحرم على بناته الزواج بالمؤمنين، فله ﷺ أن يتزوج من بنات المسلمين ما شاء فيما أحله الله له في قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ﴾.

و لم يكن من المنطق أن يبيح الإسلام له ذلك لو كان أباً للمؤمنين، ولا أن يحرم على المسلم الزوج بنساء النبي لو لم تكن أمهات له، قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾

وبهذا التشريع لم يعد مسلم من هذا العهد وإلى يوم الدين إلا وزوجات النبي أمهات له، فهل يباح لهن الزواج بغير المسلمين؟

هذا والله لهو السفه إن قصد القساوسة أن يقولوا به !

ولم يشر القرآن الكريم إلى أن زوجة نبي قد تزوجت من بعده مكتفياً بأن الذوق العام يرفض ذلك، كما أن تحريم زواج الأمهات لا يخالف فيه دين من الأديان، وحتى الأناجيل وإن لم تحرمه لا تبيحه، ولهذا نعجب كيف يصف القس الآية القرآنية التي تحرم زواج الأمهات بالغرابة؟.

كأنه كان يود نصاً على هواه يبيح ذلك !

فماذا نقول لمثل هذه العقول؟ .

قد لا تتخيل أن في عالم الإنس من يفكر بهذه الطريقة، ولكن ما لا تتخيله نراه في آل بوش، فالأمهات لا يحتجن من أبنائهن أكثر من الرعاية، وليس أمتع لأم ترعى أولادها من أن تراهم وقد حققوا الانتصارات، ونشروا العدل ومضوا على العهد.

فإلى الخلد يا رسول الله.

وإلى الراحة الأبدية.

سيظل المسلمون وإلى يوم الدين ينادون: أمنا زينب وحفصة.. أمنا عائشة وصفية.

سيظل كل مسلم يقول: أمي جويرية وأم حبيبة.. أمي سودة يقولها الأبيض والأسود، أمي ميمونة وأم سلمة يقولها العربي والعجمي.

لهذا كله لم يجد الرسول ﷺ وهو على فراش الموت ما يوصي به غير أن يقول:(**الصلاة وما ملكت أيمانكم**) [1]

فما للنصارى لا يكادون يفقهون حديثاً !

---

١ - النهاية في غريب الأثر جـ ٤ صـ ٣٥٨

فلو سار الأمر على هواهم لكان حال القيم عندنا كحالها عندهم، مخالفة لكافة الطبائع السليمة، والمعاني الإنسانية النبيلة، فتأمل كيف تفترض عقولهم خيالات تعبر عن رداءة طبعهم، وتكشف عن قيمة الدين عندهم، فبينما يحرم الإسلام الزواج بأمهات المؤمنين يحكم النصارى على أم الإله أن تتزوج بأحد عبيد ابنها !

وتمضي الأناجيل فتسجل مواقف مخزية للمسيح تجاه أمه، فقد مات زوجها فأصبحت أرملة في حاجة إلى رعاية ابنها البكر إن لم يكن الوحيد، والاهتمام بها من فلذة كبدها هو أقل ما تطمع فيه، ولكن ماذا فعل يسوع مع أمه، أمه حقيقة لا مجازاً؟

والحق أن الأناجيل لم تسجل أي دور مشرف ليسوع مع أمه!

وسأقص عليك القصة بإيجاز، لقد «**كان عرس في قانا الجليل، وكانت مريم أم يسوع هناك، ودعي أيضاً يسوع وتلاميذه إلى العرس، ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له: ليس لهم خمر. قال لها يسوع: ما لي ولك يا امرأة. لم تأت ساعتي بعد**»[1]

يصور إنجيل يوحنا لنا المشهد على هذا النحو: فقد أسرت مريم إلى ابنها حديثاً، بأن عليهم أن يكتفوا من الخمر عند هذا الحد، حتى لا يتسببوا في

---

١ - يو ٢ : ١- ١٣ وهذه هي المعجزة الأولى للمسيح في رأي يوحنا، ولكن في هذه القصة ما يجعلها متنافرة مع بقية أحداث الأناجيل، فأمامك كلمة (تلاميذه) وبعد هذه الكلمة سيحرص الإنجيل على الحديث عن إيمان التلاميذ، والواقع أنه في لحظة تحويل الخمر أو المعجزة لم يكن للمسيح تلاميذ.

إحراج أهل العريس بطلب المزيد من الخمر، لأن خمرهم نفدت أو كادت، والمفروض أن يسوع قد ناهز الثلاثين من عمره، والمفروض أن لا يسرف في الخمر لو كان من الراشدين، وسواء أكان يسوع مقتنعاً بنفاد الخمر فعلاً أم لا فقد أخذته العزة والإصرار، بينما أخذت زملاءه نشوة الخمر وراحوا يضحكون ويثورون. إن نفاد الخمر هو أسوأ خبر يمكن أن يسمعه أصحاب الكيف والمزاج وهم على وشك ذهاب وعيهم، لهذا أصاب مريم من ابنها ما أصابها، «**مالي ولك يا امرأة**»!

إنها كلمة مؤذية بكل يقين، لكن بجوار هذه الكلمة المؤلمة سمعت مريم بالتأكيد الكثير من الكلام الطيب في هذا اليوم المليء بالبهجة والسرور، سمعت عبارات من المساطيل ومن غير المساطيل، عبارات من نحو (**العاقبة عندك يا مريم**) «**تفرحين بيسوع قريباً إن شاء الله يا مريم**» ونحو ذلك، ولكن ما كان أحدٌ يتوقع أن يحدث من يسوع ما حدث، فمريم التي سمعت كثيراً والممتلئة بهجة وسروراً أسرت إلى ابنها بأن لا يتسبب وزملاؤه المحترمون في إحراج أهل العريس بسؤال المزيد من الخمر إذ بها تقع في ما لم تتوقعه من حرج، إنها تهمس في أذنه، فإذ به يعبس في وجهها، ويرفع صوته عليها، لم يكن أحد يتوقع أن يسمع يسوع وهو يهين أمه على رؤوس الأشهاد، لا شك أن المدعوين الذين لم يسكروا بعد قد صدموا عندما سمعوه يقول لها بأعلى صوته: (**يا امرأة**) بالتأكيد لم يسمعوا أحداً يناديها بتلك الكلمة غير ابنها المدلل.

بوسع يسوع أن يعاتب أمه كيفما شاء في المنزل، أما أن يقول لها «يا

امرأة» أمام زملائه من شباب وشابات قانا الجليل الحلوين فهذا لا يليق ! وقد يكون خوفها عليه وعلى أصدقائه من الإسراف في الخمر هو الذي حملها على إخبارهم بنفاد الخمر، فلماذا لا يقدر إخلاصها ورغبتها في أن لا يلقوا بأنفسهم إلى التهلكة؟.

لكن يسوع يصيح بغضب «**لم تأت ساعتي بعد**»

أي لم أشبع من الخمر ولم أسكر بعد[1] ثم يتسلل من بين المساطيل ليخرج بأواني الخمر المخفية من قبل أهل العريس، ويهتف المساطيل «**عاش يسوع ! عاش يسوع !**».

والغريب أن المساطيل الذين كانوا على وشك أن يفيقوا من سكرتهم بعد إبطاء الخمر عنهم ظنوا أن يسوع حول الماء إلى خمر أعجبت جودتها المعلم الكبير رئيس المساطيل.

والواقع أن فرية صناعة يسوع للخمر ربما ترددت بسرعة بغرض إنقاذ سمعة أم يسوع من حرج اتهامها من قِبَل المساطيل وغيرهم بالكذب، فقد

١- والمضحك أن النصارى يفسرون قوله «لم تأت ساعتي بعد» على أنها لم تحن ساعة عمل المعجزات، وبداية الخدمة الجهرية له، ولم يلحظوا أن ساعته حانت وأن تلاميذه حوله، (حيث دعي يسوع وتلاميذه) فهل كان له تلاميذ قبل أن تأتي ساعته؟ وكيف يقول لأمه (لم تأت ساعتي بعد) ثم فجأة تأتي ساعته، أليس من المنطق أن نقول: إن ساعته لم تأت بمعنى أنه لا زال في البداية ولم يبلغ نشوة السكر بعد، فهو في حاجة إلى بضع كاسات مملوءة بالخمر تبلغ به درجة المساطيل.

أخبرت بنفاد الخمر، وها هو ابنها يخرج علانية أواني مليئة بأجود مما شربوه ! فلتكن مريم صادقة بقوله إن الخمر نفدت، وأما الخمر التي أحضرها يسوع فهي في الأساس ماء كان معداً لتطهير اليهود فحوله يسوع خمراً.

وعلى كل الأحوال انشغل يسوع بتلبية رغبات أهل الكيف والمزاج من شباب قانا الجليل، وتصرف مع أمه بشكل غير لائق، وقال لها (**مالي ولك يا امرأة**) أي لا علاقة لي بك يا امرأة. فهل تقبل أية أم أن يقول لها ابنها ما قاله يسوع لأمه؟

لماذا لم يقابل أمه بحفاوة تليق بها؟

هل نسى أن هذه المرأة حملته في بطنها تسعة أشهر؟

هل نسي أنها أرضعته عامين؟

هل نسي كم تحملت بسببه ومن أجله من سفاهات اليهود؟

هل تلفظ أحد المسلمين بحضرة أمهات المؤمنين بما قاله يسوع لأمه؟

صحيح.. المسلمون لا يسكرون، ولكنهم أيضاً لا يسيئون لأمهاتهم.

هذا هو سلوك المسلم العادي مع أمهات المؤمنين.

وهذا هو سلوك معبود النصارى مع أمه.

ألم تكن مريم أم يسوع حقيقة أم أن كلمة (أمي) لم يكن ليعرفها؟

هل نسي الوصايا العشر (**أكرم أباك وأمك كما أوصاك الرب إلهك**)[1]

---

١ - تثنية ٥ : ١٦

كيف نقول لأبنائنا إنه قدوتنا إذا كنا نرفض منهم مثل هذا الخطاب؟

إن أحدث تفسير صدر للكتاب المقدس هو (**التفسير التطبيقي**) فكيف حل فيه أباطرة الفكر هذه المعضلة؟ يقول التفسير المذكور: إن يوسف النجار كان في ذلك الوقت قد مات، ومن ثم فلعلها (**أي مريم**) اعتادت أن تطلب من ابنها العون في المسائل العويصة، وكان رد يسوع على العذراء عسير الفهم) أ. هـ

أما القس إبراهيم سعيد في شرح بشارة يوحنا فقد بلع ما هو عويص، وهضم ما هو عسير، فاعتبر رد يسوع لائقاً بأمه !

عموماً لا تترعج أيها الأب، ولا تترغجي أيتها الأم.

لا تترعجا. فإن الإسلام ينفي أن يصدر مثل هذا القول عن المسيح، لا إلى أمه ولا إلى غير أمه، لا في أول دعوته ولا في آخرها، وأول معجزاته عليه السلام في القرآن الكريم هي كلامه في المهد، وفيها دافع عن أمه، وأظهر دعوته حتى كاد اليهود لا يصدقون.

ولا تعتبر الأناجيل ما حدث في عرس قانا الجليل غلطة عابرة من شاب مسطول، فكلمة «**يا امرأة**» ظلت تتردد على لسان يسوع من أول خدمته إلى أخرها، في أولها «**ما لي ولك يا امرأة**» وفي أخرها «**يا امرأة هو ذا ابنك**»! فحتى وهو على الصليب لم ينس أن يرسل إليها بتحياته المعتادة، ألفاظ خادشة لحيائها «**يا امرأة هو ذا ابنك**»[1]

فهل إدمان الخمر جعله لا يفرق بين أمه والمجدلية؟

---

١ - يوحنا ١٩: ٢٦

المجدلية يخاطبها بذات اللهجة وقد تكون أخف قليلاً عندما يقول لها:

«يا امرأة لماذا تبكين؟» [يوحنا ٢٠: ١٣، ١٥]

فهذه هي البداية وهذه هي النهاية في دعوة يسوع.

بدايتها خمر ممزوج بسفاهة، ونهايتها خمر ممزوج بمر وخل مع السفاهة أيضاً.

وما بين البداية والنهاية سفاهات لا تنقطع، وحتى لو لم يسكر يسوع، انظر عندما قدمت إليه أمه، لقد رفض أن يخرج إليها، «**وفيما هو يكلم الجموع إذ أمه وإخوته قد وقفوا خارجاً طالبين أن يكلموه فقال له واحد: هو ذا أمك وإخوتك واقفون خارجاً طالبين أن يكلموك. فأجاب وقال للقائل له: من هي أمي ومن هم إخوتي؟**

ثم مد يده نحو تلاميذه وقال: ها أمي وإخوتي، لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي» [متى ١٢ : ٤٦- ٥٠]

فسؤاله: من هي أمي ومن هم إخوتي؟ نكران لجميل من حملته وأرضعته.

فهل أمه وإخوته لم يصنعوا مشيئة الله؟

بعض الكتاب يرى أن يسوع كان معقداً نفسياً من أمه[1]، ذلك أن اليهود كانوا يلمزونه دائماً بالسؤال: أين هو أبوك؟ [يوحنا ٨: ١٩]

وحتى قبل أن يعرف يسوع الفرق بين مشيئة الله ومشيئة قيصر، عندما

---

١ - انظر سر مريم حسني يوسف الأطير صـ ٧٨وما بعدها مكتبة النافذة

كان عمره اثنتي عشرة سنة، كان لا يطيق أمه، وكثيراً ما كان يترك لها المترل، وكثيراً ما كانت تبحث عنه هناك وهناك، باختصار كان دائماً منكداً عليها، ذات مرة «**قالت له أمه: يا بُني لماذا فعلت بنا هكذا؟ هو ذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين**»

فماذا قال لهما؟

«**قال: لماذا كنتما تطلبانني؟ ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون في ما لأبي. فلم يفهما الكلام الذي قاله لهما**» [لوقا ٢ : ٤٨ – ٥٠]

فهذا صبي في نهاية المرحلة الابتدائية يتبجح في أبويه، ولا يود أن يعلما أين هو، ويرد سؤال أمه بسؤالين، وكلمتها بكلمتين، وفي النهاية لم يفهم أبواه !

أعتقد أنه لو كان ابنك حقيقة لهممت بضربه.

وأي شيء يمكن أن نفهمه من هذا النص و لم يفهمه أبواه؟

لقد قالت له أمه كلمة حركت غضبه، «**هو ذا أبوك وأنا كنا نطلبك**» هذه الكلمة «**أبوك**» لا يطيق يسوع أن يسمعها، إنه يقول لها: كيف تقولين عن هذا الرجل إنه أبي، ألا تسمعين ما يقوله اليهود عني، إني ذاهب لأكون في ما لأبي!

أعتقد أن المشهد لو طال لظهرت الصورة أكثر.

أعتقد أن هذا الولد الهارب المتمرد على يقين بأن يوسف ليس هو أبوه.

يا لها من قدوة سيئة ! ولكن أتباعها يتساءلون في غير ما حياء ولا خجل لماذا لا يستبيح المسلمون الزواج من نساء النبي ﷺ ؟.

فهل يستطيع مسلم اليوم أن يقول «**عائشة**» دون أن يسبقها بكلمة «الأمومة» أو حفصة دون أن يقول: «**أمنا حفصة**» الخ؟ فكيف تنقلب الأم إلى زوجة؟ .

القس بوش يعتبر تحريم زواج الأمهات تعذيباً للمرأة، ولم يعلم أن ابتلاء الأم أرملة أو غير أرملة بابن على شاكلة يسوع ينكد عليها كل يوم، ويفرج عليها الناس هو أكبر عذاب لها.

نعوذ بالله أن يكون المسيح عيسى ابن مريم كذلك، وإنما قلنا بمقتضى ما يؤمنون ! .

إنك لو دعوت إلى الفضائل نالك من هؤلاء السفهاء بعضاً مما نال عيسى عليه السلام!.



٦- الزعم بأنه ﷺ يصف الفردوس بما يتلاءم وخيال العرب.

يزعم في صـــ ٢٠٠ من الترجمة أن الأمم الأكثر تحضراً وثقافة تختص بالسعادة الروحية، والعكس بالنسبة للأمم المتخلفة التي قلما تتذوق اللذات المجردة (**غير الحسية**) فتلك - في نظرهم - سمة العرب، ومن ثم حرص النبي على أن يصف الجنة بما يتلاءم مع خيالات الجنس العربي، لأنه يعلم جاذبية هذه الماديات الملموسة فكان لا بد من وصف ثواب الآخرة ممزوجاً بها، فهذا يتناسب مع مزاج قومه.

۞ ورداً على هذا نقول:

لقد رفض النصارى النعيم الحسي في الآخرة وراحوا يغرقون فيه في الدنيا، معتقدين أن مجرد الإيمان بالمخلص كاف في النجاة، وحجتهم في هذا الهراء قول بولس:

(**لأنه بطاعة الواحد سيجعل الكثيرين أبراراً**) (رومية ٥: ١٩)

والواحد هنا هو المسيح الذي أطاع الآب وتقدم في شجاعة ليسمر على الصليب.

وانطلاقا من هذا تتوارد أدلتهم على أن النبي ﷺ وصف نعيم الآخرة بأنه حسي، وهذا غير النعيم الذي يحلم به هؤلاء المتحضرون في الآخرة، إذ هو نعيم معنوي، والأدلة التي تنقض قولهم هنا لا حصر لها، وقد اعتاد علماء المسلمين في هذه النقطة أن ينتظروا إخوانهم المخدوعين حتى يقدموا أدلتهم على النعيم المعنوي في الآخرة ثم يشرحون دليلهم بما يكشف أن

الدليل عليهم لا لهم. ولكن ما حيلتنا والقس بوش لم يقدم أدلة لا على إثبات النعيم المعنوي ولا على إبطال العذاب الحسي !

وعلى كل حال فالمنصرون اليوم يجمعون على الاحتجاج هنا بقول المسيح «**تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله لأنهم في القيامة لا يُزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله في السماء**»

[متى ٢٢: ٢٩، ٣٠]

ولكن عندما نرجع إلى الكتاب المقدس نجد الملائكة يأكلون ويشربون، بل لا مانع إذا قلنا إن الآلهة نفسها تأكل وتشرب. فقد أكل يسوع قبل القيامة وبعدها. [يو ٢١: ١٣]

والغريب أنه ذات مرة حاول أحدهم الاستدلال على النعيم المعنوي بقوله: (**ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها. بل خافوا بالحري من الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم**) وفي لوقا ٢١: ٥

ولم ينتبه إلى أن الدليل يؤكد الهلاك للجسد والنفس معاً في جهنم، والقرآن الكريم لا يقول بأكثر مما عجزوا عن إثبات نقيضه من كتبهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (النساء)

وفي نفس الوقت يتحدث عن النعيم المعنوي، قال تعالى:

﴿ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾ (آل عمران ٠١٥)

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ (التوبة ٠٢٠-٠٢٢)

ويعترف القس بوش صـ ٢٠٢ عقب إثارة هذه الشبهة بأنه لا يمكن أن ينكر أن القرآن يشير إلى بعض أنواع السعادة الروحية قال تعالى :

﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۚ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ (يونس ٠١٠)

ولست أدرى لماذا الإصرار على هذه الشبهة إذا كان الأمر كذلك، هل لأن كتب التنصير القديمة قد نالت القداسة فلا يجوز التعديل فيها، بينما تعديل ترجمات الكتاب المقدس لن يتوقف عند حد!

۞۞۞

٧- الزعم بأن تغيير القبلة أزعج أتباع الدين.

يدعي في صـــ ٢٩٠ من الترجمة أن تغيير القبلة كان مصدر إزعاج لكثيرين من أتباع الدين، إذ كان يعني هذا بالنسبة لهم تقلباً في عقائد النبي، فتخلوا عنه، لكن تنامي كراهيته لليهود جعله يؤكد هذا التغيير.

۞ ورداً على هذا نقول:

هناك فرق بين تغير العقيدة وتغير الشريعة.

في الشريعة التغيير من الأمور المبررة، وهو المعروف بالنسخ، والمسيح ينتهجه كثيراً، كما في الإصحاح الخامس من متى «سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن.

وأما أنا فأقول لكم: إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه.

وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب الطلاق.

وأما أنا فأقول لكم: إن من طلق امرأته إلا لعلة الزنا يجعلها تزني. وهكذا..

فالتغيير في الشريعة وارد، ولا سبيل إلى إنكاره، لأن عليه تعتمد الحياة، وهو لصالح الإنسان لأنه يهدف إلى التيسير عليه، ورفع الحرج والمشقة عنه، ولكنه لا يقع في العقيدة، وإذا سمعت أنه وقع في العقيدة فلا بد أن تحكم بأنه تحريف، ذلك أن العقيدة يجب أن تكون ثابتة لا تغيير فيها، ولكن القس يترعج لتغير اتجاه المسلمين في الصلاة، ولا يترعج لتغير المعبود

الذي يتجه إليه النصارى!

فالمسيح كان يتجه بالصلاة وأمامهم إلى الله فقد قال للتلاميذ «**اجلسوا ههنا حتى أمضي وأصلي هناك**»

وقد علمهم أن يقولوا في صلاتهم «**آبانا الذي في السموات**..» فليس الجالس معهم في عرس قانا الجليل هو إلههم، فماذا يفعل المسيح أكثر من هذا، لم يقل لهم اعبدوني. فالصلاة في الأناجيل يتجه المسيح بها إلى أبيه الذي في السموات قائلاً: «**ليتقدس اسمك وليأت ملكوتك ولتكن مشيئتك كما في السماء على الأرض**» لكنهم حرفوا في هذه الصلاة فأضاف بعضهم في أخرها (**بربنا ومخلصنا يسوع**) .

ومع ذلك فالأناجيل تقول عن المسيح ما لا يقدر أن يقوله القس بوش عن محمد، إنها تتحدث بصراحة لا غموض فيها عن رجوع أتباعه من خلفه، ولكن تأمل القس في مطلع الفصل السادس من كتابه وهو يصف كيف أثارت الزيادة المطردة الواضحة في عدد أتباعه مخاوف زعماء قريش، وقد يحاول أحد السفسطائيين أن يقول إنهم ظلوا يزدادون ثم تخلوا عنه عند تحويل القبلة، ولكنك دونك التاريخ فإنه يشهد كيف أصبحت الجزيرة العربية كلها على دينه، ويسجل القس بوش هذه الملاحظة (**لقد رأى بعض الوافدين إلى المدينة أن محمداً لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه، ولا يبصق بصاقاً إلا ابتدروه، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه فرجع إلى قريش فقال يا معشر قريش، إني قد جئت كسرى في ملكه والنجاشي في ملكه وقيصر في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم**

قط مثل محمدٍ في أصحابه، وقد رأيت قومه لا يسلمونه لشيء أبداً)
[انظر صــ ٣١٩ من الترجمة].

فهل رأي القس بوش أن أتباع المسيح لا يسلمونه كما رأى هذا الوافد على المدينة أتباع محمد ﷺ؟

❁❁❁

٨- الزعم بأن اليهود كانوا هدفاً خاصاً لعداوته.

يدعي في صـ ٣١٧ من الترجمة أن عناد اليهود أدى إلى تحول اتجاه محمد إلى كراهية شديدة، وظل إلى آخر لحظة في حياته يحث على اضطهاد هؤلاء اليائسين اضطهاداً لم يضطهده المسلمون لأي شعب آخر.

لقد عاقب قبائل بني قينقاع وبني قريظة وبني النضير فوقعوا فريسة سهلة في يد جيوشه، وتعرضوا للسلب والنهب والموت على وفق درجة رفضهم لنبوته وتصديقهم لقواته.

۞ورداً على هذا نقول:

لقد كان القرآن الكريم منصفاً مع اليهود، فلم يرمهم جميعاً في سلة واحدة، بل قسمهم أصنافاً، ويتضح الإنصاف لهم من خلال قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [آل عمران]

فاليهود في القرآن الكريم ليسوا عجينة واحدة، بل منهم الأمين ومنهم الخائن، ومنهم المجحف ومنهم المنصف، ولا نعرف سبباً يحمل آل بوش على الدفاع عن المجحفين منهم بهذه الشراسة؟

إنه يدافع عن الذي باع والذين اشتروا المسيح بالفضة، لقد حاول اليهود تكرار ما ارتكبوه في حق المسيح مع الرسول ﷺ ولكن الله كان يوجهه

بالوحي، لم يحاربهم الرسول ﷺ في البداية، بل بذل أقصى جهده ليتجنب آذاهم، ولما شرعوا في الإساءة بدأ يرسل إليهم بالتحذير تلو الآخر، حتى أرسل إلى كعب بن الأشرف من يقتله، ولكن من عادة اليهود أهم لا يعتبرون، وتأمل خلفاء شارون كيف هم ماضون على سنته غير معتبرين بحال من جعله الله عبرة لأهل هذا العصر.

القس بوش يذكر أن معركة الخندق وأحد قد نجا منها المسلمين بإرادة الله، فقد دبرت المؤامرات اليهودية للقضاء على المسلمين، وفي يوم الخندق أيقن اليهود أها مسألة أيام وتنتهي فصول الإسلام، فأرجفوا في المدينة في أصعب اللحظات، فانتهي بفضل الله الحصار واتجه الرسول إلى بني قريظة.

ومع أنه ﷺ كان أمياً لكن الله أمده بما يحتاج إليه في معاملة أولئك الذين تمرسوا على الكذب والنفاق، معاملة على بصيرة، فقبل الهجرة كان القرآن الكريم يعده ﷺ لمواجهة اليهود، فكشف له ماضيهم المخزي، ومستقبلهم المزعج.

أما ماضيهم فتحدثت عنه سورتا الأعراف وطه، وبينت سورة طه أن صانع العجل هو السامري وليس هارون، ولم يجرؤ أحد ممن يؤمنون بالكتاب المقدس أن يظهر أمام الرسول ﷺ متحدياً وهو يقرأ قوله تعالى:

﴿ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ ﴾ (طه ٨٥)

وإذا لم يحدث اعتراض منهم على ما أخبر به من ماضيهم فهل لهم أن يحتجوا على ما يخبرهم به من أمر مستقبلهم؟

نعم. إن جاء على خلاف إخباره لهم، لكن الواقع بحمد الله تعالى لم

يختلف عما أخبر القرآن الكريم. فلم يكن أحد يتوقع أن يتجمع اليهود في دولة، ولم يتوهم أحد أن تكون هذه الدولة هي فلسطين، ولكن تأمل القرآن الكريم وهو يعرض في الماضي ما أصبح حاضراً نعيش فيه ونتفاعل معه، قال تعالى:

﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء]

فالإفسادة الأولى وقعت بعد سنوات من نزول هذه الآيات، فبعد الهجرة كتب النبي ﷺ الوثيقة وفيها سجل اعترافه باليهود كشركاء له في الوطن، لهم حق الحماية والدفاع عنهم كما يدافع عن نساء وأطفال المسلمين، فماذا فعل اليهود لمن منحهم هذه الامتيازات؟

لقد عرفوا أنه هو من بشر به موسى عليه السلام ومع هذا تخلوا عن نصرته، بل وتعاونوا مع أعدائه فكانت النتيجة ما هي إلا سنوات حتى جاس المسلمون خلال ديارهم:

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾ (الإسراء)

أي وعداً منجزاً قريباً، فجاس المسلمون خلال ديار بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع، ولكن ماذا بعد؟.

بعد ذلك يأتي حرف العطف «ثم» ليفيد التراخي الزمني، إنه تراخٍ دام ثلاثة عشر قرناً وشاء الله أن نكون نحن من يشهده، فقد عادت الكرة

على المسلمين، وأصبح اليهود بتعاونهم مع آل بوش أكثر نفيراً في الحرب، وأعلى صوتاً في السياسة:

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ ﴾

وما خير اليهود بين الإساءة والإحسان إلا واختاروا الإساءة، وهنا يقع إفساد اليهود للمرة الثانية، ولك أن تستدل بما هو كائن من خلفاء شارون على ما كان سفهاء بني قريظة وبني قينقاع وبني النضير، وإنما كان هذا ليتحقق فيهم القدر المحتوم، وللقدر المحتوم ميعاد:

﴿ ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ لِيَسُـٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ۝ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ۝ ﴾ (الإسراء)

هذا الوعد القرآني بدأت إرهاصاته بصمود حزب الله في جنوب لبنان، فساءت وجوه الذين كفروا من بني إسرائيل، ولم يبق إلا دخول المسجد الأقصى كما دخلوه أول مرة، وهذا هو مغزى حديث القرآن الكريم عن المسجد الأقصى، وعن دخول المسلمين فيه، هذا هو القرآن الكريم يرسم لنا مستقبل اليهود كما صور ماضيهم، وفي النهاية يخبرهم بأنهم إن عادوا إلى الإساءة عاد الله إلى الانتقام منهم، فهذا هو الماضي وهذا هو التاريخ فأي تحامل على اليهود في أي عهد من العهود؟

❁❁❁

٩- اتهام النبي بمداهنة اليهود والأثرياء.

يزعم أن النبي ﷺ حينما وجه المسلمين لاستقبال بيت المقدس في الصلاة كان يرغب في التقرب من اليهود، لكنه عندما وجد اليهود عنيدين وغير متجاوبين عمد إلى تغيير تلك القبلة إلى الكعبة.

ويدعي أن النبي ﷺ كان يداهن الأثرياء وذوي المكانة (**النبلاء**) وكان يتحمل أهانتهم دون أن يسعى للانتقام منهم

۞ ورداً على هذا نقول:

لم يكن النبي ﷺ في حاجة إلى التقرب من اليهود، فما كانوا حكاماً ولا أصحاب نفوذ، وإنما كانوا كما لا يزالون أصحاب دسائس ونفاق، وقد دأبوا على التفاخر بإدعاء العلم والمعرفة، حتى كره العرب الأميون اليهود وعلمهم.

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [فاطر]

فكان محمد ﷺ هو الرسول الذي أقسموا على الإيمان به، ولكنهم نقضوا أيمانهم، وقد جاء النبي الأمي يسير بتوجيه إلهي دائماً، وأحياناً كان القرآن يترل ليخبره بصورة أو بأخرى بما يضمره اليهود، والمتأمل يجد القرآن الكريم المكي أحياناً يكشف المستور من تاريخ اليهود كعبادتهم للعجل، وفي المدينة يعود إلى إجمال ما فصله من فضائحهم في مكة، مذكراً إياهم بالماضي المشين، قال تعالى:

﴿ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [البقرة]

ولو حاول النبي التقرب إلى اليهود لحذف ما هو غير معلوم من تاريخهم، فقصة عبادتهم للعجل المخزية لم يكن للعرب حاجة في معرفتها إلا إذا قلنا إن الرسول كان لا يحاول التقرب من اليهود، فلو كان الأمر كما يصور المستشرقون لحذفها، أو على الأقل أخفاها فترة طمعه في استجابتهم، ولكن كيف يرغب فيهم وهو يصفهم بالقردة، ويمضي على درب داود وعيسى في لعنهم وكشف حقدهم.

ولو كان الأمر كما ظن بوش لكره النبي والمسلمون المسجد الأقصى كما كرهوا اليهود، ولكن لا يزال القرآن الكريم يربط المسجد الحرام بالمسجد الأقصى فسواء تم التحول من هنا إلى هناك، أم من هناك إلى هنا فالمسجد الأقصى له مكانته الثابتة التي لا تتحول ولا تتغير في قلب المسلمين.

وفي هذا الوقت بدأ النبي يحن شوقاً إلى قبلة جده إسماعيل فأطلعه القرآن الكريم على ما هو متوقع من سلوك اليهود عندما يتحول عن قبلتهم، عندها ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾ (البقرة ١٤٢)

لم يقل من اليهود، لأن من غير اليهود من سيقول بقولهم كالقس بوش

وغيره، و لم يتحدث اليهود عن القبلة والتحول عنها أو إليها يوم أن كان الرسول ﷺ يتجه إلى بيت المقدس، فقد كان يتجه إليه قبل احتكاكه بهم، ولو أراد التقرب إليهم لكان أمامه الكثير من الوسائل، وأهمها أن يكف عن التعرض لتاريخهم، فحديث القرآن المكي والمدني وفي كل مراحله لا ينسجم مع تلك النظرة التي يقول بها المستشرقون، إنهم يتوهمون أن النبي حينما وجه المسلمين لاستقبال بيت المقدس في الصلاة كان يرغب في التقرب إليهم.

والحق أن توجه الرسول إلى بيت المقدس في البداية إنما هو وسيلة أرادها ربك ليبرهن بها ومن خلالها على بعض صفاته ﷺ المتمثلة في هذا التوجيه، فهو وارث لأنبياء بني إسرائيل، وإليه يعود رصيد النبوة السابقة، ومن بني إسرائيل يؤخذ الملك ليعطى لأمته التي تعمل أثماره، إن هذا لأمر واضح في المزامير والأناجيل، ولكن اليهود بدلاً من الإقرار به ازدادوا عناداً، وأصروا على الكفر به واستكبروا استكباراً، وبهذا علم من يتبع الرسول ممن ينقلب على وجهه، وفي كل الأحوال لم يتقرب الرسول إلى اليهود، كما يفعل بوش الابن الذي نراه يدوب كمداً في حب قتلة الأنبياء وراجمي المرسلين، وصالبي الإله الذي يعبده !.

وأما دعواه بمداهنة النبي ﷺ للأثرياء وتحمله لإهانتهم فهي فرية لا يؤيدها دليل، بل إن الأدلة بفضل الله تعالى تنفيها نفياً صريحاً، فقد طلب الكفار من النبي أن يترك الضعفاء والفقراء دعوته كشرط ليفكروا هم في الدخول فيها، وهذا ثابت من قصصهم ومسجل في القرآن الكريم في

مواضع متفرقة وبصور مختلفة، بل لقد ورد الأمر الصريح يوجه النبي ﷺ إلى عدم الالتفات إلى قولهم، قال تعالى:

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ (الكهف)

إن الآية الكريمة تأمره بالصبر مع هؤلاء الفقراء، وأن لا يسعى في إرضاء المترفين الساعين في أهوائهم وشهواتهم، وهذه سنة ثابتة في دعوات الأنبياء، حيث يغلب على أتباعهم أن يكونوا من الفقراء والضعفاء، فأتباع المسيح عليه السلام لم يكونوا سوى مجموعة من صغار الصيادين، هؤلاء لا يرتدون عن الدعوة بحال من الأحوال.

إن القارئ قد يصاب بالصدمة عندما يبصر قلب الحقائق الظاهرة، فمن به بلوى يظن أن كل الناس على مثل بلواه، فهل لبوش العذر نظراً لأن ثقافته تقوم على معرفة كيف ينافق وكيف يدخل على كل فئة بالوجه الذي تقبله به، ورائده في ذلك بولس الذي استعبد نفسه للجميع، ليربح الجميع.

❁❁❁

١٠- اتهام النبي ﷺ بعدم الحكمة.

يدعي في صـــ ٣٠١ من الترجمة أن الرجال الذين حققوا النصر في بدر دفعهم حماسهم وطالبوا بالخروج لمواجهة العدو في أحد، وكان رأيهم هذا مخالفاً لرأي النبي الذي طالب بالبقاء في المدينة، لكنه لم يلبث أن وافقهم، ويقولون: إن النبي لم يكن حكيماً في هذا، فلقد وعدهم بالنصر الأكيد دون حذر، مندفعاً بروح الثقة التي تلبسه.

۞ورداً على هذا نقول:

لقد ضرب الرسول ﷺ أروع الأمثلة في عدم الاستبداد برأيه، وكان في إمكانه أن لا يخرج بأصحابه للقاء العدو في أحد، ولكنه نزل على رغبتهم، وأنت خبير بأن الذي نزل على رغبة أصحابه لا يصح وصفه بأنه وعدهم بالنصر، إذ كيف يعدهم بنصر يتقاعس عن الخروج إليه، هكذا هو حال القساوسة، ولا تتعجب كيف صاغ هذه المتناقضات في سطرين، فالأعجب هو أنه يؤمن بأن الله ثلاثة، فهؤلاء إن قرؤوا لا يفهمون، وإن كتبوا لا يتذكرون، وإن تكلموا لا يصدقون.

أما النصر فيتوقف على مدى تمسك المسلمين بدينهم، والتشبث بأحكام ربهم، فإن لم يكن فالهزيمة لا شك لاحقة بهم، فهذا وعد الله ﷻ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾ ﴾ (محمد)

وإذا تمسك المسلمون بتعاليم دينهم وتحقق لهم النصر، فإن نصر الله إياهم لن يقف عند حدود، فلن ينتصروا على دولة وتنتصر عليهم أخرى، ولن

يهزمهم تحالف أو عصبة، قال تعالى:

﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ (آل عمران)

هذه قاعدة وضعها ربنا، وعليها تسير سنن الحروب، فقد تحقق النصر للمسلمين في بدر وهم قلة مستضعفون يخافون أن يتخطفهم الناس، وفي أحد تحقق لهم في بادئ الأمر، ولحظة أن تخلوا عن أوامر الرسول ﷺ لم يعد ينطبق عليهم وعد الله تعالى.

والحق أنه بينما كان الجيش الإسلامي الصغير يسجل مرة أخرى نصراً ساحقاً على أهل مكة لم يكن أقل روعة عن النصر الذي اكتسبه يوم بدر، وقعت أغلبية الرماة في غلطة قلبت الوضع، وأدت إلى إلحاق الخسارة بالمسلمين، وكادت تكون سبباً في مقتل النبي ﷺ وتركت أسوأ الأثر على سمعتهم، وعلى ما كانوا يتمتعون به من هيبة بعد بدر.

فقد جاء هذا بعد الأوامر الشديدة التي أصدرها رسول الله ﷺ إلى الرماة بلزومهم الجبل في كل حال من النصر أو الهزيمة، وكان النبي سيكون غير حكيم لو لم يحذر أتباعه من ترك الجبل، ولكن رغم هذه الأوامر المشددة لما رأى هؤلاء الرماة أن المسلمين ينتهبون غنائم العدو غلب عليهم حب الدنيا، فقال بعضهم لبعض: الغنيمة الغنيمة، ظهر أصحابكم، فما تنتظرون؟.

أما قائدهم عبد الله بن جبير، فقد ذكرهم أوامر الرسول ﷺ وقال: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ ؟.

ولكن الأغلبية الساحقة منهم لم تلق لهذا التذكير بالاً، وقالت: **«والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة»**

ثم غادر أربعون رجلاً أو أكثر هؤلاء الرماة مواقعهم من الجبل والتحقوا بسواد الجيش ليشاركوه في جمع الغنائم.

وهكذا خلت ظهور المسلمين، ولم يبق فيها إلا ابن جبير وتسعة أو أقل من أصحابه والتزموا مواقفهم مصممين على البقاء حتى يؤذن لهم أو يبادوا.

وانتهز خالد بن الوليد هذه الفرصة الذهبية فكر بسرعة خاطفة إلى جبل الرماة ليدور من خلفه إلى مؤخرة الجيش الإسلامي، فلم يلبث أن أباد عبد الله بن جبير وأصحابه إلا البعض ممن لحقوا بالمسلمين، ثم انقض على المسلمين من خلفهم وصاح فرسانه صيحة عرف بها المشركون المنهزمون بالتطور الجديد.[1]

إنه ليس نصراً للمشركين، ولكن لرفع الهزيمة اللاحقة بهم، (**لكن أبا سفيان لأسباب يتعذر فهمها – على بوش – لم يواصل الحرب منتهزاً المزايا التي أتيحت له، واكتفى بمجرد تحدي النبي بأنه سيحاربه في العام التالي مرة أخرى**) [انظر ٣٠٤ من الترجمة من كتاب بوش].

وأرسل الرسول خلفهم علياً ليجدهم قد قفلوا مسرعين إلى مكة، ولو انتصروا لقصدوا المدينة، ولكنهم استطاعوا تخليص أنفسهم من هلاك بات محققاً لهم بلقائهم المسلمين مرة أخرى.

---

١ – الرحيق المختوم صـ ٢٧٨

إنه تطور من الهزيمة ولكنه ليس إلى النصر، وليس هذا لأن الله أصبح مع الكافرين، ولكن لأن المسلمين لم يعودوا أهلاً لوعد الله لحظة تخليهم عن أوامر رسوله ﷺ فليس الأمر ينحصر في خطأ عسكري ارتكبه هذا الجندي أو ذاك كما يحلل العسكريون، وإنما الخطأ من أي نوع كان يرجع إلى الاستهانة بتعاليم الرسول، وحسبالها أمراً لا يؤبه به، وكثيراً ما تؤتى الأمة من قِبل أناس يفترض فيهم الأمانة على دينهم وأمتهم، ولكنهم لا يكترثون في سبيل الحصول على فرس من هنا أو شاة من هناك.

وها نحن نرى هؤلاء بخداع أعدائهم يتخلون عن أوامر الرسول شيئاً فشيئاً، ويجربون كل الحلول للخروج من أزماتهم، وتحقيق النصر لهم، ولكنهم في النهاية لا يبرحون مكانهم، ولا يحققون نصراً حاسماً في حياتهم، ذلك أن الله قد خذلهم ببيعهم الدين، وسعيهم وراء شهرة أو جاه، فتركوا مفاتيح النصر التي أرشدهم إليها الإسلام كما ترك الرماة الجبل، فلو عادوا لدينهم ما ارتفعت لأهل الصليب فوق جبالهم راية!.

إنها معركة الحياة فإذا ما تخلينا عن أماكننا شغلها أعداؤنا، ثم ما لبثوا أن أذلونا، فهذا لون من ألوان العقاب التي يعاقب الله بها المسلمين المقصرين في فهم الإسلام، والمقصرين في تطبيق الإسلام.



١/١ . اتهام النبي بالخداع والتضليل

يدعي القس بوش في [صـ ٣٠٣ من الترجمة] أن المسلمين حينما نزلت إليهم الهزيمة في أحد اجتاحهم الحزن لفقد أقاربهم ورفاقهم، وحتى يخفف النبي عنهم ذلك ذكر لهم أن لكل أجل كتاب، وأن الذين ماتوا شهداء، وبتلك المراوغة – كما يدعي – تملص من الوعد الذي سبق أن وعد به أصحابه، وغطى على خزي هزيمته.

ورداً على هذا نقول:

كثيراً ما ردد الكفار في مكة وهم في عز قوهم نحن جميع منتصر:

وكثيراً ما رد عليهم المسلمون وهم في منتهى ضعفهم:

﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ ﴾

فأي الأمرين تحقق في النهاية؟

الغريب أن القساوسة لا زالوا يتخيلون أن الذي تحقق هو الأول، انتهت رسالة الإسلام، وعادت كما كانت الأصنام!

أما رسولنا ﷺ فلم يعط لأصحابه وعداً محدداً بنصر حاسم في واقعة أحد بذاهَا، وإنما خرج معهم نزولاً على أمرهم، ولو تركوا له القرار ما خرجوا، وكان قد أخبرهم في مكة وهم مستضعفون أن النصر سوف يكون المآل النهائي لدينه، فهل يضير هذا الوعد عثرة في طريق شاق وطويل؟.

في النهاية لم يكن سوى ما وعد الله به رسوله والمؤمنين:

- استخلاف في الأرض.
- تمكين الدين.
- أمان من كل خوف.

قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ [النور]

فهذه الآية نزلت في مكة .. وقد كان..

وإذا علمنا أن وعد الله بالنصر قد تحقق للمؤمنين في الدنيا، فإن وعده للشهداء لن يتخلف عنهم في الآخرة، قال تعالى:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾

[آل عمران]

أما هزيمة أحد فلو انتصر المسلمون فيها لوجدنا من يقول: إنه لا ضرورة من تطبيق أوامر الرسول ﷺ لأن النصر تحقق للمسلمين الأوائل الذين تركوا تنفيذ أوامر الرسول ﷺ ولهذا فإن النصر في أحد كان سيصبح بلاءً على الإسلام والمسلمين لو تحقق، فلينهزم المسلمون في معركة ولا ينهزم

الإسلام في كل معركة، وهكذا شاء ربك أن لا يمنح المبطلين فرصة للاحتجاج لباطلهم بما هو واقع في تاريخ الإسلام.

فهذا درس يتعلمه المسلمون، فماذا لو انتصروا مع تخليهم عن أوامر الرسول؟ .

بكل تأكيد كان العلمانيون سيرددون صباح مساء: لا تحتجوا بأن التخلف والهزيمة يعودان إلى عدم الالتزام بالإسلام، فالمسلمون خالفوا أمر الرسول وتحقق لهم النصر في زمانه، فعوامل النصر ليست إلا في ترك ما أمر به الرسول ﷺ ولكن هزيمة أحد أصبحت هزيمة ظاهرة للعلمانيين وأعوانهم من المستنيرين إلى يوم الدين.

وإذا كانت هزيمة أحد قد أحدثت تجاسراً مفاجئاً للمنافقين الذين تخلفوا عن الخروج مع رسول الله ﷺ إلا أنها قد أخرست المنافقين والعلمانيين بعد أن أوضحت لهم أن التمسك بالدين يمثل العامل الأصلي في تحقيق النصر للمسلمين، فقد قال المنافقون عن القتلى لو أطاعونا ما قتلوا، ورد عليهم القرآن الكريم بأن عليهم أن يتفادوا الموت، وليمنعوه عن أنفسهم إن كانوا صادقين:

﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ [آل عمران]

وبهذا تعلم جهل هذا النصراني الذي يتصور أن هزيمة نزلت بالمسلمين بعد أن وعدهم الله بالنصر، والذين نجوا اجتاحهم الحزن لفقد رفاقهم الذين راحوا ضحية التضليل بالنصر، غير أنك واجد أن أول ما يكذب

كلامه هذا هو عنوان الكتاب الذي يعتبر أن محمداً هو مؤسس الدولة الإسلامية، فلو انهزم ما أسس دولة، ولا أقام ديناً، فهذه الفقرة أو الفكرة وعنوان الكتاب كلاهما يبطل الآخر، وفي الفصل القادم سوف يأتيك بالمزيد حيث العباس وأبا سفيان حينما رأوا قوة النبي لم يكن أمامهما إلا تسليم مفاتيح مكة للفاتح، فمن هو هذا الفاتح؟.

فهل خدع هذا الفاتح أصحابه وضللهم بالوعود الكاذبة؟.

تأمل قول القرآن الكريم (**سيهزم الجمع**) وأين أصبح الجمع؟

وقول بولس «**وسينقذني الرب من كل عمل ردي**» وكيف أصبح حال بولس بعدها؟.

إن بولس بعد أن كتب هذه العبارة في رسالته الثانية إلى تيموثاوس لم يكتب رسالة بعدها، فلم ينقذه ربه، ولم تنفعه أساليبه الملتوية، فسيق إلى الصليب في رومية ومات أبشع ما يكون الموت وانتهت حياته على هذا النحو من الخزي !



١/٢ اتهام النبي ﷺ بالجشع:

يدعي في صـــ ٢٧٤ من الترجمة أن النبي ﷺ حينما أحس بقدوم قافلة أبي سفيان أخبر جواسيسه بأنها قافلة ثرية، وأنها صيد ثمين، فلقد كانت مثيرة لجشعه، ومن ثم لم تسلم من تعرضها للثأر على يديه.

۞ورداً على هذا نقول:

لعلك تعلم أن مبدأ المعاملة بالمثل قاعدة محكمة في القانون الدولي، وهي قاعدة إسلامية وردت بها النصوص القطعية الدلالة والثبوت، ولها في لإسلام في باب العقوبات مجال واسع. وكان على القس «بوش» لو كان موضوعياً أن ينظر في هذه الدعوى من خلال طرفيها لا من خلال طرف واحد، لأن الحكم الذي أصدره رجح فيه جانب طرف، وأهمل الطرف الآخر إهمالاً كلياً فلم يقم له أدنى اعتبار.

لقد تعاطف بوش الجد مع مشركي مكة كما تعاطف الابن مع إسرائيل، وكان على هذا وذاك أن يقفا طويلاً أمام مشكلة المهاجرين الذين نزلوا المدينة أو المهجرين الفلسطينيين الذين تركوا دورهم وأراضيهم وأموالهم فراراً من بطش اليهود، ولكن هذا دأب آل بوش أن لا يقفوا بجوار مظلوم مرتاع، وأن لا يدافعوا عن حق يتعرض للضياع، لقد تعرض المسلمون لألوان من الاضطهاد والتعذيب قبل الهجرة أكثر من عشر سنوات، وهذا ظلم فاحش وقع عليهم من مشركي مكة، وحين خرج المهاجرون منها لم يتمكنوا أن يأخذوا معهم من أموالهم شيئاً إلا ما خف

حمله، ومعلوم أن المهاجرين كانوا يخرجون خفافاً متخفين من مشركي مكة الذين كانوا يقعدون بكل مرصد.

وإنا لنتساءل لماذا لم تحظ هذه المشكلة بنظرة عطف وإنصاف من جيش المستشرقين الجرار، الذي كرس كل جهوده لإدانة الإسلام؟ (١)

وتأمل القس بوش وهو يصف هؤلاء المساكين أتباع محمد ﷺ فعندما (**رأت قريش أنها لن تصل لبغيتها بالكلمات ولا بالمكر والدهاء لجأت إلى العنف، لقد بدأت قريش في اضطهاد أتباعه لدرجة أن هؤلاء الأتباع لم يعودوا أخيراً آمنين في مكة نتيجة ما يلحق بهم من أذى ، وقد سمح محمد ﷺ لبعضهم ممن لا يلزمونه في تهيئة الحماية له في البحث عن ملجأ يلجئون إليه في أي مكان غير مكة**) وقد تعجب كيف يسجل القس بوش هذا لكن يزول العجب عندما تراه يسعى إلى التأكيد على أن هذا الاضطهاد هو الذي أدى إلى انتشار الإسلام [صـ ٢٢٦ من الترجمة] فالإسلام تبعاً لهذه النظرية العرجاء كان سينتهي من تلقاء نفسه لولا الاضطهاد.

إنه يقيس ما هو ظاهر في تاريخ الإسلام على ما يلف نشأة المسيحية من غموض، وما لحقها من اضطهاد، والحق أن أتباع المسيح لم يحدث لهم ترابط جماعي يضمن حفظ تعاليم المسيح، بل أصبحوا فرقاً ومذاهب لا يحدها حصر، فلم يحدث لطائفة منهم هجرة على نحو ما حصل للمسلمين

---

١ - افتراءات المستشرقين على الإسلام د/ عبد العظيم المطعني ص، ١٧٦، ١٧٧ بتصرف ط/ مكتبة وهبة.

الذين طردوا جميعاً من ديارهم، مخلفين وراءهم المال والديار، فلو بسط المسلمون أيديهم على قافلة يمتلكها أئمة الكفر من أهل مكة فهل تفي إلا بجزء يسير مما تركوه من أموال عند الهجرة؟.

ومع هذا لم يكن هذا هو هدف الرسول ﷺ، ولكن إثر سماع المسلمين بخبر قافلة أبي سفيان أرادوا استعادة ما تيسر لهم من حقهم المسلوب، وأراد ربهم أمراً آخر، هذا الأمر الآخر يجهله أو يتجاهله القس بوش، فالواضح أنه يفهم أن المسلمين أصابوا قافلة أبي سفيان، و لم يكن هذا ما حدث، قال تعالى:

﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ ﴾

لم يرغب المسلمون إلا في مواجهة القافلة التجارية، وذلك لقلة عددها ومددها، ولكن أراد الله أمراً آخر، فالقافلة التجارية «العير» سرعان ما أفلتت، وظهرت أخرى ذات شوكة وشكيمة، أراد ربك أن يكسر بها شوكة الباطل، فكان اللقاء بقافلة النفير، ولو كان النبي مصاباً بالجشع هنا لندم على إفلات قافلة العير من بين يديه، ولرجع حزيناً على ضياع ما يعتبره الجشعون صفقة العمر، فماذا سيأخذ من قافلة حربية أكثر عدداً وأحسن عدة سوى مخاطرة قد لا يرجع منها بشيء؟.

لقد خيره ربه ﷺ بين أن يكون ملكاً نبياً أو عبداً نبياً فاختار أن يكون

عبداً نبياً. ولو كان ﷺ مصاباً بالجشع لقبل الملك وقد عرضه كذلك عليه أشراف قومه، فأي معنى لأن يترك ما هو معروض عليه من ملك وجاه، ثم يخاطر بنفسه في سبيل ناقة أو شاة؟.

إن القس بوش يعترف بأن محمداً (**لم يفزع من هذا التفاوت بين عدد القوات، ولم يمنعه هذا التفاوت من أن يضع مصير دعوته وشهرته وربما حياته في كفة ميزان هذه المعركة**) فأيهما أسهل قبولاً أن تقبل أن يكون ﷺ قد رهن حياته كلها مقابل مبدأ من المبادئ أم مقابل عرض الدنيا.؟ ولماذا رهن حياته هنا ولم يرهنها في أحد، ذلك أن الله وعده هنا بإحدى الطائفتين هنا، وقد كان. وفي النهاية ليست هذه المعركة ولا تلك طلباً للمال، فقد شهد المحيطون به أنه كان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، ولم يأخذ من المغانم ما زاد عن قوت زوجتيه عائشة وسودة، ولم يميز نفسه بشيء منها، وكلها كانت تحت يده، ولو شاء لخص بها نفسه، أو لفرض لأهله سهماً من الصدقات، ولكنه حرمها على نفسه وآل بيته! بل كاد أن يفقد زوجاته أو بعضهن جراء شظف العيش الذي كان يزداد كلما ازدادت الدولة اتساعاً، فلم يعد العيش في داره يحتمل حتى بعد أن فتحت عليه الدنيا، فما كان عيش زوجاته إلا على التمر والماء، فكيف يوصف بالجشع من لم يشبع يوماً بخبز الشعير، ولقد سمعه أنس في آخر حياته يقول: ما أمسى عند آل محمد ﷺ صاع بُرٍّ ولا صاع حَبٍّ وإن عنده لتسع نسوة[1] .

---

١ - البخاري ك / البيوع حـ ١٩٢٧

تأمل.. كم هو مهموم بقوت نسائه، تسع نسوة وليس تحت يده صاع بر، إن هذه رسالة للمترفين، الذين قد يبقي من مخلفات موائدهم ما يطعم أضعاف عددهم من الجياع، وحتى بعد وفاتك يا رسول الله لم تترك لزوجاتك القصور والخدم، ولو شئت لفعلت، ولكنك قلت: «**لا نورث ما تركناه فهو صدقة**»[1] فما بال النصارى يتجاهلون تفاصيل حياته، معبرين عما في جعبتهم من حقد يفوق وصف الواصفين!

❁❁❁

---

١ - مسلم ك / الجهاد والسير حـ ٣٣٠٣

١/٣ الزعم بأن النبي ﷺ كانت تحركه دوافع سياسية.

يدعي أن النبي ﷺ كانت له غايات خاصة كان يريد تحقيقها، السبب الذي جعله يتصف بالصفات النبيلة، من إيثار للفقراء والمحتاجين وغير ذلك، إذ من المحال — في ظنهم — أن يفصل بين دوافع العمل الخيري ودوافعه لتحقيق مصالح سياسية [صـ ٣٥٥ من الترجمة]

۞ ورداً على هذا نقول:

وهكذا يقف النصارى عاجزين عن تفسير الإسلام، فيعللون اتصاف النبي ﷺ بالصفات النبيلة وإيثاره للفقراء والمحتاجين بأنه كان وسيلة لتحقيق مصالح سياسية، ولو كان الأمر كما يقولون لتوقفت الصفات النبيلة بعد إنجاز تلك المصالح، وهنا يدعي القس بوش أن هذا هو ما حدث، وتأكيد للمدح بما يشبه الذم يعترف بوش بأن الكتاب المسيحيين ظلموا محمداً نظراً لمقتهم له، ثم يعلق: (**لكن طالما نحن نبغي الحقيقة التاريخية فيما يتعلق بالإسلام ومؤسسه، فإننا نجد أنه من الواضح أنه كان يمتلك في طبيعته صفات جديرة بالثناء، فيجب أن يتوقفوا عند التعرف عليه في مراحل تطور حياته لأن صفاته السيئة تواكب نجاحاته، وميله لانتهاك القانون زاد كلما امتد به العمر**) **[صـ ٣٥٥ من الترجمة]**

وهكذا بدأ ينتقد المسيحيين في نظرهم إلى محمد ﷺ ولكنه انتهى إلى موقفهم، وهذه هي البراعة ينتهجها عامة المستشرقين قبل عصر بوش بمئات السنين.

ومن الجهل بالإسلام أن نظن أنه لا يستوعب كل جوانب الحياة، السلم والحرب، السياسة والاقتصاد، وقد جاء الدستور الإسلامي ليضمن للمجتمع أن يعيش خالياً من الاستبداد السياسي، والجشع الاقتصادي، والانحلال الاجتماعي. والفساد الإداري.

إن القرآن الكريم ليضع آلية الشورى كنظام يضمن تحقيق مصالح الناس، ففي القرآن الكريم سورة تسمى بسورة «الشورى» ولا عجب فالشورى هي أساس الحكم في الإسلام، وعلى أساسها يتم اختيار الحاكم، فهل في أناجيل النصارى مثل هذه الفكرة التي لم يتقدم الغرب إلا بعد أن اطلع عليها وحول النظرية عندنا إلى تطبيق عنده؟ .

ومنذ اليوم الأول والإسلام ينظم للمسلمين حركتهم، فلا يعطل وظيفة على حساب الأخرى، ولا يوقف التعليم من أجل الجهاد، ولا الجهاد من أجل العمل، ولا العمل من أجل العبادة، قال تعالى:

﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [المزمل]

وهكذا ينظم الإسلام حياة المجتمع الإسلامي، فمنهم قارئ القرآن الكريم، ومنهم المريض الذي لا حرج عليه، ومنهم من يضرب في الأرض من أجل المعاش، ومنهم من يقاتل في سبيل الله، حماية للوطن والمواطنين، وليس من مصلحة المسلمين أن ينفروا كافة للقتال بل تبقى طائفة لدراسة الدين والتفقه فيه لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون.

﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [التوبة]

إن هذه الطائفة التي تفقهت في الدين عليها واجب تبصير الناس بدينهم، وبهذا لا يجعل الإسلام سلطات الدولة في قبضة رجل واحد، ولا فئة معينة من ذوى النفوذ، وإنما المجتمع له مقوماته الأساسية التي تمثل سيجاً على قيمه ومبادئه وتعاليمه. ولكن النصارى دائماً يقصدون بهذا الهراء تخويف الحكام من الإسلام وكأنه ينازعهم الأمر، والإسلام في الحقيقة لا يبغي سوى تطبيق العدل بين رعاياهم وتحقيق الأمن لهم في الداخل والخارج. ولو قصد رسوله بمبادئه تحقيق أهداف سياسية ما استمر هذا هدفاً واضحاً في جوهر وحقيقة الإسلام من بعده.

۞۞۞

٤/١ الزعم بأن لهجته كانت مرهونة بالأحوال المادية.

يدعي بوش في صـــ ٢٧٢ من الترجمة أن النبي ظل طوال الفترة المكية يدعو لدينه بالتي هي أحسن مستخدماً الإقناع والتوسل، فلم يجبر أحداً على التحول للإسلام، بل إنه دفع أصحابه لتحمل الأذى في سبيل دينهم، وبمجرد أن تمكن – بمساعدة أهل المدينة – من مواجهة أعدائه غير لهجته، معلناً أن الله قد سمح له ولأتباعه بالدفاع عن أنفسهم بقوة السلاح، وكلما ازدادت قوته تظاهر بأن لديه إذناً من الله لمهاجمة أعدائه.

۞ ورداً على هذا نقول:

هكذا يبتعد القس عن الواقع ليسبح في كل اتجاه من اتجاهات الضلال، متوهماً أنه في بحر الحقيقة لا في فراغ الخيال، فالنبي من واقع خيال هذا القس المريض بمجرد أن تمكن من مواجهة أعدائه غير لهجته، فما الذي تغير في لهجته ﷺ ؟

هل ترك الدعوة إلى توحيد الله تعالى أم تخلى عن القيام بها بالحسنى؟ .

كان القس سيكون منطقياً لو استطاع أن يقدم الدليل على أن قومه لم يدفعوه ﷺ إلى الهجرة وترك وطنه !.

وكان من الممكن أن يكون واقعياً لو استطاع أن يثبت أن الكفار لم يخرجوا بجيوشهم لتتبع المسلمين الذين فروا بدينهم إلى المدينة.!.

فقريش هي التي بدأت العدوان، وهي التي استمرت فيه.

بل هي التي رحلت بجيوشها تتبع المهاجرين لإلحاق الأذى بهم.

أليس من حقه ﷺ أن يدافع عن دينه؟ .

تساءل كثيراً المظلومون: أليس من الصالح قهر وردع هؤلاء الظالمين عنا؟.

واستمر السؤال حتى نزل قوله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الحج]

وبترول هذه الآية تحققت البشارة، وتحقق ما كان يستفتح به اليهود على الذين كفروا، فقد كانوا ينتظرون نبياً كموسى عليه السلام يجمعهم من الشتات، ويحميهم من الاضطهاد ، وما جاء المسيح لهذا الغرض، وإنما جاء مبشراً بمن يتحقق على يديه هذا الأمل، فعندما أتم رب العالمين الأيام البيضاء والليالي الظلماء ظهر أخيراً محمد فأخرج عباد الله من جوف الحوت الكبير، وأعاد التوحيد إلى الأرض، ورفع الظلم عن الضعفاء، و لم يكن المسلمون بادئين بالعدوان ولكنهم كانوا مبادرين بواجب الدفاع عن أنفسهم، ولا يرى المستشرقون إلا مصلحة الظالمين، فهي عندهم فوق كل اعتبار، واليوم العالم أمام شريعتهم قسمان:

- ظالم لا يرتدع يتمثل في عابدي المسيح وصالبيه.
- ومظلوم لا ينتصف وهم الموحدون لله تعالى.

وبينما يبيح القسم الأول لنفسه الحرب الوقائية لا يسمح للثاني بمجرد الدفاع عن نفسه، فيرميه بالإرهاب، وترفض أمريكا أن تجتمع على كلمة سواء حول معنى محدد لكلمة «**إرهاب**»، لتظل طليقة في بطشها، ومعتمدة على هذه الكلمة الغامضة تستخدمها على أي وجه تشاء.

فكيف يدعي الأمريكان أنهم أتباع المسيح، وأن المسيح هو رسول أو إله الرحمة لم يحمل سيفاً و لم يتورط في معركة؟.

ربما تفاجئ إذا علمت أن لمسيحيتهم تعاليم خفية لا يعلمها كثيرون من أعدائهم، ولا يظهر هذا الجانب إلا لمن يقرأ الأناجيل وليس النصوص التي تحددها الكنيسة لإقامة القداديس، أو تصرفها لخداع التعساء، فهذه النصوص تغيير غير متوقع في لهجة المسيح عليه السلام فتارة كان يقول لأتباعه (اصعدوا أنتم إلى هذا العيد، أنا لست أصعد بعد إلى هذا العيد، لأن وقتي لم يُكمل بعد، قال لهم هذا ومكث في الجليل، ولما كان اخوته قد صعدوا حينئذ صعد هو أيضاً إلى العيد، لا ظاهراً بل كأنه في الخفاء) [يو ٧ : ٨ – ١٠] فقد قال إنه لن يصعد، ثم صعد في الخفاء، فهل فعل محمد مثل هذا الفعل، هل قال لأصحابه لن أفعل شيئاً ثم فعله؟.

والمعروف عن المسيح أنه كان يقول « **سمعتم أنه قيل عين بعين، وسن بسن، وأما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الأيسر أيضاً**» [متى ٥ : ٣٨، ٣٩]

ولكنه فجأة غير لهجته وأعلن رأياً آخر: «**لا تظنوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض، ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً، فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه، والابنة ضد أمها، والكَنَّة ضد حَماها**» .

[متى ١٠: ٣٤، ٣٥]

فهذا هو ما يمكن أن نعتبره تغير في لهجة أو في صلب الخطاب، وهو صريح في هذا التغيير، لدرجة أنه يؤكده بقوله: (**لا تظنوا**) فربما ظنوا من

النص الأول أنه جاء يدعو إلى السلام، فرفع عنهم هذا الظن بكل سبيل، بل وأوحى بأمر في غاية الخطورة وهو محاولة استخدام أساليب الفتنة والإيقاع في داخل البيت الواحد، فالحرب الشريفة إنما هي جيش يقاتل جيشاً، وأما ما أفصح عنه هنا فهو نوع من أنواع الحروب القذرة وهي تخريب البيوت وإشعال نار العداوة بين أبنائها من الداخل، وبالتالي هدم المجتمع على رؤوس أصحابه، وإنما فسر أباطرة الفكر في الكنيسة بأن مقصد المسيح أن الأسرة الواحدة سوف تختلف على نفسها في الإيمان به والكفر، وهذا التفسير يتمسك بالاستثناء ويتجاهل القاعدة، فهناك الأسر التي أجمعت على الإيمان، وتلك التي أجمعت على الكفر. فهذه وتلك تمثل القاعدة، ولكن الاستثناء الذي يمثله الأسر التي انقسمت على نفسها في الإيمان والكفر يأخذ حكم القاعدة، ولهذا لم ينقسم البيت المسيحي على نفسه حين أعلن باباهم باسم يسوع حرباً صليبية لا هوادة فيها على الموحدين، فهم متفقون إذا كانت حرباً صليبية ضد منكري ألوهية المسيح، مختلفون حول طبيعة المسيح، لم يخرج أحد الكرادلة ليقول لباباه إنك تتجاوز نصيحة المسيح التي تقول «**من صفعك على خدك الأيمن فأدر له اليسر أيضاً**» فهذا النصيحة يجب حذفها لاستحالة تطبيقها أولاً، ويجب كذلك أن يحذف نص «**ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً**» لأنه يتنافى مع اسم الإنجيل، وإذا ابتليت أمه بتشريع لم تستطع تطبيقه في حياتها ولا حذفه من نصوصها فليس أمامها سوى أن تتخبط في الضلال كيف تشاء!.

❁❁❁

١/٥ اتهام النبي ﷺ بأنه كان يقاتل في سبيل طلب السلطة.

يزعم القس بوش أن النبي ﷺ بعد أن وضع نظاماً إجرائيا أكثر فاعلية لتحقيق غايته الكبرى (السلطة) بدأ الاحتكام للسيف بناء على تفويض إلهي، وما كان ليترك الذين لا يعترفون بسلطانه.

۞ورداً على هذا نقول:

طلاب السلطة قسمان:

قسم لديه نزعة التسلط فيطلب السلطة المطلقة، وقد قدم لنا القرآن الكريم نموذجاً لهؤلاء الحكام المستبدين، ومن خلال هذا النموذج واجه القرآن الكريم الفرعنة بكافة صورها وأشكالها

وقسم يطلب السلطة المقيدة، وهي إما أن تكون مقيدة بشريعة أرضية كتلك التي رأيناها تقوم في أوربا، أو سماوية مثل الأمم التي حكمت قديماً وحديثاً باسم الدين على نحو ما يظهر من وقت لآخر، مع الاختلاف في الفهم أو في التطبيق.

أما ما جاء به الرسول ﷺ فهو النموذج الذي ينبغي أن يحتذيه هذا أو ذاك، فقد جاء عليه السلام بشريعة محكمة تقيم العدل المطلق بين الناس، أما من يحكم فلا يفرض الإسلام شخصاً محدداً، وإنما للناس أن يختاروا من يأمنوه على مصالحهم.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (الشورى)

فتأمل كيف قرن الإسلام بين الاستجابة لله تعالى، وإقامة الصلاة والشورى في آية واحدة من آياته، فإذا استجاب المسلمون وأدوا شريعة رهم من عبادات ومعاملات، ثم جعلوا الأمة مصدراً لجميع السلطات ومرجعاً لجميع المسئوليات، تحقق لهم النصر والتفوق على أعدائهم.

«لا مصدر للسلطة العامة في الإسلام غير الأمة. ولا مرجع فيه للمسئولية العامة غير الأمة. ولا تعارض بين هذا وبين نصوص الكتاب وسنة الرسول، فإن النصوص والسنن لا تقوم بذاتها، بل تقوم بمن يفهمها ويعلمها، ويعمل بها ويؤديها على وجوهها، وكل أولئك تشمله الأمة بما انطوت عليه من خاصتها وعامتها، وبجملة ذوي الحل والعقد والعاملين من عليتها وسوادها.

فهي التي تأتمر بنصوص الكتاب والسنة، وهي المسئولة عن صوابها وخطئها حيث ائتمرت به، واتفقت عليه أو اختلفت فيه.

وأول ما تكرر من ذلك الحق كان في حياة النبي ﷺ فإنه كان مأموراً بمشاورة أمته، وكان الأمر بينهم شورى في كل شأن من الشئون غير التبليغ الذي خصه الله به، ولولاه لم تكن الدعوة إلى هذا الدين»[1]

لقد سلم الرسول ﷺ بتلك الشريعة وفرض عليه القرآن الكريم أن يشاورهم بالأمر، ولم يخلفه الحكام الراشدون إلا باختيار المسلمين في وقت لم يكن العالم قد عرف فيه هذا النوع من التنظيم السياسي.

---

١ – حقائق الإسلام وأباطيل خصومه عباس العقاد صـ ١٥٩.

والواقع أن النبوة هي مرحلة تبليغ الدين، ثم بعد ذلك قيام الدنيا، على قواعد هذا الدين، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تجعل عاقبة من يرفض شريعة الله الخيبة والخسران في الآخرة.

وبهذا يجب أن نفرق بين الحكم كما جاء به الإسلام، وبين ما هو قائم الآن في بعض البلدان، فالحكم في الإسلام يقوم على أن يكون بحقه من رضا المحكومين، وأن يؤدي الحاكم ما عليه تجاه الناس فيه.



١/٦ الزعم بأن النبي ﷺ اتخذ من الدين عباءة لطموحاته

يدعي في [صـ ٣١٧] أن المسلمين خاضوا سبعاً وعشرين غزوة، وظلوا ينتقلون من مشهد دموي إلى مشهد دموي آخر، ومن مذبحة إلى أخرى، جاعلاً النبي ﷺ دعاوى الدين عباءة يغطي بها طموحاته، ومباهجه الحسية التافهة التي لا حد لها على حد زعمه.

۞ورداً على هذا نقول:

إذا لم يجد المستشرقون في أفعال النبي أو أقواله ما يحرفونه للنيل من الإسلام فإنهم يتجهون إلى نية النبي ليضعوا فيها ما يؤاخذونه عليه، فقد اتخذ الدين عباءة يغطي بها طموحاته ومباهجه الحسية التافهة، و لم يعرفوا أن المباهج الجسدية لا تكون في بيت لا توقد فيه النار شهرين. و لم يعرفوا من هديه ﷺ في المعارك تجنيب المدنيين ويلات الحروب، وأن لا يقتل إلا المقاتل، وأن لا يقتل المقاتل إلا إذا استحال أسره، وأن المقاتل إذا قُتل يمنع التمثيل بجثته، وأن الكافر لو استجار بمؤمن وجب أن يجيره حتى يبلغ مأمنه قال تعالى:

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝ ﴾ [التوبة]

لم يعرف هؤلاء المستشرقون أن من تعاليمه ﷺ للمسلمين أن لا يقتلوا النساء والأطفال والشيوخ الطاعنين في السن، وهكذا العباد في معابدهم بصرف النظر عن دينهم الذي يدينون به، ولهذا فجميع الحروب التي

خاضها الرسول ﷺ لا تصل خسائرها البشرية إلى ما يمكن أن تصل إليه حرب صليبية في القديم والحديث، وتخيل الغرب يقضي على مليون طفل عراقي بحرب حصار بطيئة تهز الضمائر. وبعد عامين من احتلال العراق تعلن أمريكا في خبر عاجل أن من قتلوا في مجازرها في العراق تجاوز المائة ألف من المدنيين، على أن حصيلة حروب الرسول كلها من القتلى لا تعادل حصيلة يوم واحد من ضحايا الاحتلال الأمريكي للعراق.

وهكذا بات واضحاً ثمرة كيدهم، فالدول الإسلامية التي تستعيض عن سلاحها بمعاهدات حماية بينها وبين الصليبيين تكون نهايتها الخذلان المبين، ولا يزال الغرب يحرص على اعتماد المسلمين عليه في السلاح، ويحول دون امتلاكهم لأسلحة الردع، وقد فطن إلى أنه لا سبيل للنصر إلا بحرب ثقافية وإعلامية موازية للحرب العسكرية، فراح يصف المسلمين بأنهم يميلون إلى الدماء، وهكذا أصبح المسلمون متهمين بالإرهاب أرْهَبوا أم أُرهِبوا، وأصبحت دماؤهم تسيل كالأنهار دون أن يتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم، بل إنهم ليعجزون في الكثير من الأحيان عن الاستنكار خشية أن ينعتوا بالإرهاب، إنها فكرة قديمة جديدة، اتهام الإسلام بسفك الدماء، اتهام المسلمين بالإرهاب، ولكن هدفها في القديم هو نفس هدفها الحديث:

﴿ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ﴾ [النساء ١٠٢]

إن أقصى أمنية لضعفاء الفهم والإرادة من المسلمين أن يوصفوا من قبل

أعدائهم بالمستنيرين والمتحضرين، وهكذا قبل المتحضرون التخلي عن السيف الذي أمسك به أعداؤهم، والنتيجة تنصير المسلمين سراً وعلانية بقوة السيف، وظهور القمص زكريا بطرس على قناة الحياة بوجهه القبيح ليطعن في الإسلام إنما هو ثمرة من ثمار امتلاك أمريكا للسيف، ولو ملكنا سيف الردع لما كنا نسمع ما يؤذينا في ديننا ودنيانا من سفاهات هي أبعد ما تكون عن الجدل بالتي هي أحسن الذي جاء به الإسلام.

❁❁❁

١/٧ اتهام النبي ﷺ بسفكه للدماء وقتل الأسرى:

يدعي أن النبي ﷺ تأججت روح الحقد في نفسه بعد انتصاره في بدر، وتجلى هذا في اغتيال كعب بن الأشرف اليهودي، الذي كان بارعاً في الشعر شديد العداوة والمعارضة له ﷺ [صـــ ٢٧٧ من الترجمة]

ويزعم أن النبي ﷺ قد أعدم اثنين من أسرى بدر، كانوا من أخطر الأسرى، بينما افتدى الباقون أنفسهم، حيث افتدى كل واحد منهم نفسه بأربعة آلاف درهم.

۞ ورداً على هذا نقول:

هذا ما يردده المستشرقون منذ أن سمعوا عن الإسلام، وقد ردده صاحب كتاب محمد مؤسس الدين الإسلامي مع أنه يتعارض مع التاريخ الثابت، بل وحتى ما ذكره هو نفسه من أنه ﷺ لم يكن يسعى للانتقام.

والحق أن النبي ﷺ عندما رجع من بدر منتصراً كان لا بد أن يتخذ موقفاً من حبر اليهود كعب بن الأشرف، ذلك أنه أثناء الحرب وبعدها أظهر تعاطفه الشديد مع المشركين، بل وشرع في حملة إعلامية مضللة يصف فيها قريشاً بأنها أهدى سبيلاً من المسلمين، وبهذا لم يكن محايداً، فكيف يصف عُباد الأصنام بأنهم أهدى سبيلاً ممن يوحدون الله تعالى، لقد أراد بهذا التشويه أن يكرر الدور الذي لعبه أجداده مع المسيح، فقد أشاع اليهود أن المسيح كان يشرب الخمر، ووضعوا في نسبه المخترع نساء ساقطات، وحرصوا على وصفه بأنه كان سليط اللسان و لم يعامل أمه بما

يليق بها، وأنه ظل رهن إذلال إبليس أربعين يوماً في الجبل، وأن أتباعه كانوا يرجعون من ورائه، وكل هذه التشويهات لصورة المسيح أخذت طريقها إلى الأناجيل، وبدأت تتكرر بصيغ مختلفة مع الرسول ﷺ إنها الحرب الإعلامية التي لم يتفوق فيها على اليهود قديماً إلا اليهود حديثاً.

وكان كعب من قبيلة طئ — من بني نبهان- وأمه من بني النضير، وكان حصنه في شرق جنوب المدينة في خلفيات ديار بني النضير،[1] وقد رأى النبي في أول الأمر أن يسير جيشاً إلى حصن كعب فيحسم الأمر عسكرياً، ولكنه كان لا بد أن يمر على ديار بني النضير وهم أخوال كعب، وكان كعب بلا شك سيستجير بهم، ولم يكن بنو النضير قد حدث منهم ما يستدعي الدخول معهم في معارك، وهنا لن يكون مفر من حدوث قتال لا يريده الرسول ﷺ، ولو حدث فسيترتب عليه الدماء، وكان ﷺ وهو الرحمة المهداة قد أحزنه كثيراً ما سال من دماء في بدر، وبتدبره للأمر جيداً راح يتساءل كيف يضع حداً لعداوة اليهود للمسلمين دون أن يؤدي ذلك إلى إراقة دماء الأبرياء منهم؟ وحلاً لهذه المعضلة الدقيقة رأى ﷺ أن حسم الأمر يمكن أن يتحقق بقتل رجل واحد هو كعب نفسه، فسوف يجنب القوم إراقة الدماء، وسوف يكون زجراً لليهود إلى الالتزام بعهودهم للرسول ﷺ فعهد بالمهمة إلى محمد بن مسلمة، الذي سرعان ما عاد وقد أنجزها وقتل كعباً، فحسم الأمر دون

---

١ - الرحيق المختوم / صفي الرحمن المباركفوري صـ ٢٦٩ ط/ الوفاء للطباعة والنشر

قتال، ودون إراقة دماء للأبرياء بفضل الله تعالى.

وإذا كان ﷺ قد أمر بقتل كعباً ليتجنب إراقة الدماء في قومه، وإذا كانت شريعته تقوم على: «أن النفس بالنفس» فهل يعقل أن يقتل الأسرى وقد صارت حياتهم في يده؟ للأسف لا زال المستشرقون ينقلون من تراث العصور الوسطى الممتلئ حقداً على الإسلام والمسلمين، ونحن لا نعلم أنه قتل ﷺ أسيراً من أسرى بدر ولا غيرهم، ولا نجد دليلاً على ذلك، وسيرته ﷺ لا تتسم بالغموض الذي يسمح لنا أن نخمن أمراً كهذا، فما لا يوجد في مصادرنا لا نعترف به، ولو استبعد النصارى من دينهم كل ما ليس في الأناجيل ما اعترفوا بألوهية المسيح، ولا عبدوا الروح القدس، ومن خلال تصفحنا لما تحت أيدينا من مصادر لم نجد أثراً لهذه الافتراءات، بل وجدنا ديننا يوصينا بحسن معاملة الأسير عكس ما عند النصارى في دينهم وسلوكهم، وتبلغ روح التسامح الإسلامي بحرص القرآن الكريم على معاملة الأسير كما يعامل المسكين واليتيم، قال تعالى:

﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝ ﴾ [الإنسان]

وهكذا حل أسرى بدر ضيوفاً على أهل المدينة أنصاراً ومهاجرين، وراحوا يتلقون منهم الحفاوة والتكريم، بل بدأ المسلمون يتقربون إلى ربهم بإطعام الأسرى كما يتقربون بإطعام اليتيم والمسكين، فلم يعاملوهم كأسرى في زنزانات الأسر المظلمة، ولم تعرف شريعتنا ألوان وطرق التعذيب التي يستحدثها الصليبيون في العراق، ولم يحدث ما يسمع عنه

العالم الآن في جونتنامو وما يشاهده في أبي غريب مما تطبقه المسيحية المتحضرة وفي ظل معاهدات جنيف، ذلك أن الله تعالى تولى شأن الأسرى وما تركه لقائد المسلمين يرى فيه ما يراه، وحدد لهذه المعاملة أمرين لا ثالث لهما وهما: المن أو الفداء. قال تعالى:

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ﴿٤﴾ ﴾ [محمد]

وقدم المن على الفداء لأن في المن إحساناً أكثر إذ هو إطلاق بلا عوض. وقد حفظ الرسول لمن يجيد الكتابة من أسرى بدر مكانته، وحرص على الاستفادة منه بما هو أثمن من المال، فبالكتابة ربح هذا الأسير حياته، فمن كان على معرفة بالكتابة دُفع إليه عشرة غلمان من المسلمين، فإذا حذقوا فهو فداء له، «**وكان الفداء – لمن لا يعرف الكتابة – من أربعة آلاف درهم إلى ثلاثة آلاف درهم، إلى ألف درهم**»[1] ومن ليس لديه دراهم ولا معرفة بالكتابة من عليه الرسول دون فداء.

ولو قلنا إن مجتمعاً فيه قارئ واحد عهد إليه بتعليم عشرة من الأميين، ثم عهد إلى كل واحد من العشرة أن يعلم عشرة وهكذا فإن مدة يسيرة جداً تلزم للقضاء على الأمية، فهذه هي الحضارة الإسلامية التي تلزم أتباعها بتعلم القراءة والكتابة قبل أن يتعلموا أحكام الدين. ولو ألزمت المسيحية

---

١ - الرحيق المختوم صفي الرحمن المباركفوري صـ ٢٥٦ ط/ الوفاء للطباعة والنشر

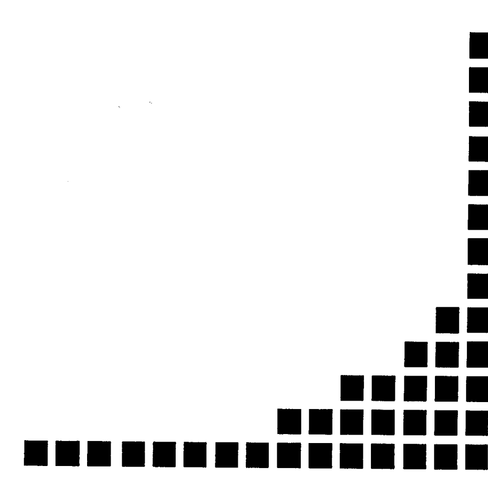
أتباعها بالتعليم لما عانينا من جهلهم بالإسلام، ولما صاروا يتعثرون في كل شيء كالعميان !





الفصل الخامس

الرد على دعواه
حول زوجات النبي ﷺ وصحابته



الفصل الخامس

الرد على دعواه حول زوجات النبي ﷺ وصحابته

لا أود أن أسترسل في الحديث عن فضائل النبي ﷺ وأمهات المؤمنين، والصحابة والتابعين، فهذا موضوع كادت تفاصيله أن تكون معروفةً لدى كبار المكابرين، وكم تمنيت أن لو كان تاريخ المسيحية على هذا النحو من الوضوح، لكنه بكل أسى يسيء إلى المسيح وأتباعه بشكل مفضوح، وكل ما يكرز به القساوسة اليوم ما هو إلا تخمينات صاغتها عقول يهودية مريضة، فليس ما تقصه الأناجيل إلا خيالات وأوهام، وهو غير مشرف بحال من الأحوال، دع عنك حديث الأناجيل عن تنكر بطرس للمسيح، وبيع يهوذا له بثلاثين درهماً من الفضة،[1] وإجماعهم على تركه يواجه المصير الأليم، دون أن يفزعوا إلى نجدته، أو يحرصوا على التمسك بشريعته.

---

١ - ربما يبدأ الشك قريباً في هذا الدور ليهوذا، فقد ظهر أثناء كتابة هذه السطور أخـــبار عن اكتشاف بردية تحمل اسم «إنجيل يهوذا» وهي الآن تحت الترجمة، ولكن الأبحاث التي أجريت عليها تؤكد أن تاريخها يتراوح ما بين ٢٢٠- ٢٤٠ م فهي بذلك أكثر قيمة من الأناجيل الموجودة الآن التي ترجع أقدم المخطوطات لها إلى نهاية القرن الرابع. وربما تكشف هذه البردية في المستقبل القريب جانباً من ماضي المسيحية المجهول.

دع عنك كل هذا، فالأغرب من كل هذا أن هؤلاء لا يوحد صفهم إلا الخمر، في البداية جمعتهم في عرس قانا الجليل، وكلما نفدت خمرهم أخرج يسوع ما أخفوه، واستمر وأصحابه يصولون ويجولون في الأعراس، على الخمر الجيدة يجتمعون، وعندما تفرغ أوانيهم منها ينفضون، حتى وفاهم العشاء الأخير، ففيه سكروا بغير حساب، حيث لم يكن ثمة شرطة تقيم على السكارى عقاب.

وهكذا لم يعودوا يميزون بين خطأ وصواب، فلم يفرقوا بين خبز يسوع وجسده، وخمره ودمه، حتى تخيلوا أن دم يسوع هو ما يحتسون، وإذ أحسوا بنشوة تأثيره في العقول، خاطبهم صانع المعجزات، مستدراً عطفهم قبل الممات، فتلك هي لحظاته الأخيرة، «**من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربها معكم جديداً في ملكوت أبي**»[1]

لكن الخمر أثقلت رءوسهم فلم يبالوا بفعله ولا انفعاله، وظلوا يحتسون غير مهتمين بأقواله ولا بأفعاله، حتى غابوا عن وعيهم فما واسوه، سألهم الوداع فما ودعوه، آثروا لذة السكر على نجدته، لقد سكروا بالخمر الجيدة بعد الدون، ثم تركوه يستغيث دون مجيب، وأخذ من بين أيديهم دون نحيب، كم مرة ناشدهم أن يسهروا معه وما سهروا، وتأمل المسكين يذهب لصلاته ثم يعود، يتفحص وجوههم دون أن يحسوا له بوجود،

١- [متى ٢٦: ٢٧-٢٩] وهل تعتبر رشفة الخمر من الإسفنجة على الصليب تكذيباً لهذا الخبر أم لا؟

يستجير بربه تارة، ويستنجد بأحبائه تارة، يأخذ بأيد أحبائه تارة، ويحرك أجفانهم أخرى، يهمس في آذانهم تارة، ويدوي صراخه في ضيعة جثسيماني تارة أخرى: «**أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة، اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة.**

ثم جاء فوجدهم أيضاً نياماً إذ كانت أعينهم ثقيلة.

فتركهم ومضى أيضاً وصلى ثالثة قائلاً: ذلك الكلام بعينه.

ثم جاء إلى تلاميذه وقال لهم: ناموا الآن واستريحوا»

[متى ٢٦: ٤٠- ٤٥]

هكذا فقد الأمل في إفاقتهم، وأيقن أنهم لا محالة خاذلوه، فتركهم يغطون في ثبات عميق، وتركوه يذهب ويعود مستجيراً دون رفيق، إلى أن أخذ وبيع، وضرب وأهين، كل هذا وهم سكارى لا يعوون، وعمي لا يبصرون، فلا يدرون أين راح يسوع، ولا يعرفون شبعاً من جوع، فلما أفاقوا لم يجدوه بينهم، فأين ذهب المسيح يا يهوذا؟

يهوذا وهو لا يدري أيفيق أم يبدأ نشوة سكره: لقد أمركم أن تأكلوا جسده [متى ٢٦: ٢٦].

التلاميذ: وهل أكلناه؟

يهوذا: أنا مثلكم لا أدري.

التلاميذ: بل أنت بعته بالفضة يا يهوذا.

وتتعالى الأصوات، ويختلط الوهم بالخيال، فتظهر المجدلية بين وجوه ممتقعة، وعيون منتفخة، وأجساد نحيلة، تحكي أين ذهب قليل الحيلة؟

وكيف تمت عملية بيعه وشرائه؟ كل هذا تحكيه امرأة كانت حتى عهد قريب تلبسها العفاريت، والآن يستمع إليها رهط من المساطيل على وشك أن يفيقوا من غفوتهم، لقد شرعوا يتساءلون كم غابوا عن وعيهم، بعضهم ظن أنه نام ثلاثة أيام، وآخر اعتقد أنه نام نهاراً بين ليلتين، أو ليلة بين نهارين، وإذ لم يعرفوا كم ناموا برز من أهل التنجيم من يشبه يسوع بيونان، عله يعرف كم مضى من الزمان، فلا ضير لو استمعوا إلى المجدلية تارة أخرى، فالسكران يظل كما كان في ذمة اليقظان.

لقد ذهبت المجدلية في رحلة مشبوهة، ثم عادت لتجدهم وقد تبددت أوهامهم، وتضاربت أقوالهم، فالخمر أثقلت بطونهم، فما صلوا لله رب العالمين، وما أفاقوا إلا وهم يسمعون حكايات، فراحوا يتخيلون الأحداث، ويحدثون الخيالات، فبنيت الأقاصيص على أوهامهم. ولولا أن اليهود تدخلوا في صياغتها، واليونان دققوا[1] في تفاصيلها لما كانت على هذا النحو من التحريف، وما انقلب توحيد رب العالمين إلى تثليث، لقد رأى بولس أن تحليل الأحداث حتى ولو سار على هذا النحو فهو برهان صدق العقيدة، إذ هي في التصديق بالمحال فريدة، فلا ضير إن شربوا دم يسوع، أو أكلوا جسده بعد جوع !

وليس حياة يسوع فقط هي التي نالت من أوهامهم، بل إنهم ليتحدثون عن نبينا ﷺ بمثل هذه الخيالات، يؤلفون الحكاية ثم ينفونها، حتى يحتار المرء بين من يثبت ومن ينفي، وتغيب شمس الحقيقة بين من يشك ومن

١- أعني لوقا الذي أشار في مقدمة إنجيله إلى أسلوبه في الفحص والتدقيق.

يجزم، فوجود رفاته ﷺ في تابوت حديدي ليس إلا تلفيقاً من بوش وآله[1] وهو لا يقل عن تلفيق الآباء في الكنيسة الأولى، ولا عجب في التطابق بين الأولين والأخيرين، فهم لم يعرفوا في حياتهم سوى الخمر، يعرفون بخبرتهم كيف يميزون الحسن من الرديء، والرديء من الأردأ، ومتى يقدمون الجيد منها، ومتى لا يقدمون إلا الدون؟ وفي أي وعاء يحفظون الجيدة وأين يضعون الدون؟ هذه هي كل خبرتهم في الحياة، فكيف ينقلون دين، أو ينشرون مبادئ أو يقين، فإذا وقع حادث عارض أمام هؤلاء المساطيل رأوه وكأنه معجزة المعجزات، ومعضلة المعضلات، ثم أقسموا بالخمر وشاربيها: إن هذا لهو الحق المبين، والبرهان اليقين.

وتأمل أول معجزة يسجل أحداثها إنجيل يوحنا، نقلاً عن هؤلاء المساطيل أو عن من نقل أو لم ينقل عنهم، إنها ليست إلا برهاناً على كذبهم، فلو كانوا زناة أو لصوصاً لكانوا أولى بالقبول، لأنهم وإن لم يكونوا عدولاً فهم في النهاية واعون، وأما هؤلاء فلا وعي لديهم يفرقون به بين وحي الله تعالى ووحي الخيال، فإذا ثبت أنهم مدمنو خمر - وهذا ثابت بالإنجيل - فلا يمكن أن يقوم على قولهم دين، ولا تحمل شهادتهم على وجه اليقين، لأنهم لا يرون إلا خيالات، فإذا انشقت الأرض وخرجت أجساد القديسين، ورأي المخمورون أجسادهم رأي العين،

---

١ - يحكي بوش الخلاف حول مكان وجود تابوت محمد وأخيراً يرجح أن تابوته في مكة وليس في المدينة. انظر صـ ٣٤٦ من الترجمة] فهؤلاء يجهلون كل شيء عن المسلمين حتى طريقة دفن موتاهم.

فاعلم أن العقلاء لا يرون رأيهم، ولا يبصرون أوهامهم، ويبقى حكمنا على ما توارد إلينا من أوهامهم متوقفاً على إمكانية معرفتنا بمدى تأثير الخمر على عقولهم، لهذا جاء تحريم الخمر في محكم التتريل، فامتثل الصحابة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، فكانوا شهداء على هؤلاء المنحرفين، وأصبح ما يروى عنهم إنما عن عقل واعٍ، وضمير صادق، ووجدان صافٍ، لا تكدره الخمور، ولا تسيطر عليه الخيالات والظنون.

وهكذا لم يعرف المشركون إلى الطعن في سلوكهم سبيلاً، إلى أن لجأ المستشرقون بعد اتضاح عجزهم إلى اختراع ما يشبع حقدهم، فلا يزالون مصرين على تشويه صورة الإسلام والمسلمين، والنبي وأمهات المؤمنين، والصحابة والتابعين، كل هذا بقصد التشكيك في الإسلام وحامليه، فتشويه تاريخهم يفضي إلى التشكيك في دينهم أو في صدقهم، وبأي الأمرين ظفروا فقد نالوا أقصى أمانيهم.

لكنهم بكل أسف لا يدرون أن قضية توحيد الله تعالى أولى البديهيات، فلا يضير صحتها صالح يتخلى عنها، أو طالح يتشبث بها، ولا يؤثر على مكانتها جاهل يعرض أو يقبل عليها، وليس كذلك عقيدة الثالوث، التي يحسب أتباعها أنهم يحسنون صنعاً، وهم الأخسرون أعمالاً وأقوالاً، في الدنيا والآخرة، فعقيدتهم في ذاتها فاسدة، ولو تحلى معتنقوها بالفضائل جميعها، وتخلوا عن الرذائل كلها، ومع ذلك فهم - بفضل الله تعالى - أسوأ الأمم أخلاقاً، وأكثرهم تعنتاً وضلالاً، وإن بدا من صفاتهم أحياناً بعض اللين، فما هذا إلا غطاء لحقد دفين، يظهر أحياناً في كتاب يؤلفه

أحد الحاقدين، أو رسم مسيء للرسول الكريم، وما تخفي صدورهم أكبر مما يظهرون.

وبعد أن حدثناك إجمالاً عن حالهم، انطلاقا من الفهم الظاهر لكتبهم، أشهد الله واشهدوا أني بريء مما يؤمنون، لا أومن إلا بما أنزله أحكم الحاكمين، وسجل كلماته في السطور والصدور من اختصهم الله بتمام الإدراك، وحفظهم من الضلال والإشراك، فما تخيلوا الأوهام حقائق، ولا حملوا الحقائق على وجهٍ غير لائق.

والآن نستعرض بعض أوهام المخمورين، ثم نرد عليها بما يقطع الشك باليقين.



١- اتهام خديجة بالشك في أمر النبي ﷺ في بداية الوحي.

يدعي أن النبي ﷺ حينما بدأ يفضي إلى زوجته بما رآه من رؤى وأصوات اختص بها في معتزله (غار حراء) تشككت في بداية الأمر، ويزعمون أن تشككها هذا ربما يكون متوقعاً، وقد فسرت هذه الرؤى التي رآها بوصفها أحلام خيال مضطرب، أو بوصفها إضلالاً من الشيطان. [صـ ١٦٣ ، ١٦٤ من الترجمة]

۞ورداً على هذا نقول:

من أين لهؤلاء معرفة هذا الشك؟

وعلى أي تصرف بنوه؟

ومن الذي توقع من خديجة أن تشك؟

كيف تشك وهي التي دأبت أن تعد له الزاد كلما هم بالارتحال إلى حراء؟

كيف تشك وهي التي تحملت معه ومن أجله الحصار؟.

من أين لهذه المرأة التي اختارته لأمانته أن تعود فتتشكك فيه؟

وعن أي مصادر نقل القس تفسير ما رآه الرسول بأنه أحلام خيال مضطرب؟

نحن نقرأ العربية وتحت أيدينا المراجع المروية بالأسانيد المتصلة، وما لا سند له ننحيه جانباً، استمع إلى البخاري وهو يروى لك الخبر اليقين:

قال أبو عبد الله: «حدثنا يحيى بن بكير، قال: حدثنا الليث عن عقيل،

عن بن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ. قال ما أنا بقارئ.

قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ.

قلت: ما أنا بقارئ.

فأخذني فغطني الثانية، حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ.

فقلت: ما أنا بقارئ.

فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال:

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ﴾

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زملوني. زملوني. فزملوه. حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر. لقد خشيت على نفسي.

فقالت خديجة: كلا.. والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن عم خديجة، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني،

فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا بن عم اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا بن أخي ماذا ترى؟.

فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى.

فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل على موسى، يا ليتني فيها جذع، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك.

فقال رسول الله ﷺ أو مخرجي هم؟

قال: نعم. لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزرا ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي» [1]

فهل رأيت في هذا غير ما يؤكد إخلاص خديجة رضي الله عنها لزوجها؟

فعندما جاءها ﷺ وقرأ عليها ما نزل عليه من آيات.

وقص عليها ما حدث في غار حراء من أحداث، ماذا كان ردها؟

لقد قالت بملء فيها: «**كلا .. والله ما يخزيك الله أبداً**»

من يقرأ هذه الصيغة ماذا يقول؟

هل يقول إن صاحبة هذه العبارة كانت تشك؟

إنها لا تمارس حتى هذا اللون من الشك المعروف بالشك المنهجي، إن لديها يقيناً يفوق كل يقين، فمن أين لها كل هذه الثقة في صدق زوجها التي تتجلى في كلمة: «**كلا**»

إنها لتنفي أن يقع على زوجها أي لون من الخزي في الحاضر والمستقبل.

---

١ - صحيح البخاري جـ: ١ صـ: ٤

أليس المستقبل بيد الله تعالى؟ فكيف قطعت بذلك؟

تجيب خديجة بخمسة أسباب:

- **إنك لتصل الرحم.**
- **وتحمل الكل.**
- **وتكسب المعدوم.**
- **وتقري الضيف.**
- **وتعين على نوائب الحق.**

فمن يفعل هذه الأمور الخمسة — في نظر خديجة - يستحيل أن يخزيه الله، من أين لها كل هذه الثقة؟

إنها امرأة ولكن تفكيرها يتجاوز تفكير جيوش جرارة من المستشرقين، لقد خبرت الحياة، وعاشت تجاربها حتى حكمت على مستقبل زوجها من ماضيه، وعلى ما سيكون مما هو كائن، فلا غرو إن رأت أن تصحب زوجها إلى ابن عم لها تثق فيه، تستفتيه وتستأنس بخبرته تجاه هذا الأمر الغريب، فهي ليست مصابة بداء الغرور رغم خبرتها الطويلة في الحياة، ولكن لديها قناعة بأهمية سؤال أهل الذكر، فلئن كانت لا تعرف الديانات السابقة فلتسأل من يعرفها، أما القس بوش فيدرس العبرية ليحكم على القرآن العربي !

فعلى أي أساس يبني أحكامه؟

لقد رأى أن يجعل في ديننا بعضاً مما يؤلمه في دينه ودنياه، فلم يجد سوى أن يشكك في إيمان أول من آمن بالرسول ﷺ وقد علق في الهامش بأن «

هذا هو ما ذكره بريدو، إلا أن سيل يقول: لا أعلم كاتباً شرقياً ذكر أن خديجة قد كذبت زوجها في وقت من الأوقات أو شكت في ادعائه)

فـ «بريدو يثبت شك خديجة، وسيل ينفي ما يثبته بريدو، فلماذا هذه المناورة أيها المستشرقون؟

ولماذا تخمنون ما عندنا على ما هو كائن عندكم؟

إني أعلم كم هي مؤلمة لكم قصة المسيح، فقد ظل أصحابه طوال حياته معهم جسديين، ولم يصل إلى علمهم أنه إله إلا بعد أن قام أو بالأحرى أقيم من بين الأموات، وانطلقت المجدلية **(وهي امرأة يعتقد النصارى أنها كانت تحترف الدعارة)** تخبرهم بعد أن أفاقوا من سكرهم أنه قد قام. فلو قرؤوا تاريخ هذه المرأة أو اصطحبوها إلى أحد الأطباء لقطعوا الشك باليقين. وما بقي الشك حتى يسجله أو يخمنه كتبة الأناجيل:

«**حينئذ قال لهم يسوع: كلكم تشكون فيَّ هذه الليلة**»[متى٢٦: ٣١]

وقلة إيمان بطرس: «**يا قليل الإيمان لماذا شككت**»؟

وشك توما أحد ألاثني عشر: «**هات إصبعك إلى هنا وأبصر يديَّ وهات يدك وضعها في جنبي**» [يو ٢٠ : ٢٧]

ولم يكن بطرس ولا توما هما الوحيدين، بل كل التلاميذ كانوا يشكون، لدرجة أنه كان يقول لهم: «**انظروا يدي ورجلي إني أنا هو جسوني، وانظروا الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي**»

وحتى يقنعهم أنه هو بشحمه ولحمه طلب منهم الطعام وأكل.

[لوقا : ٢٤ : ٣٩]

وحتى اخوة المسيح لم يكونوا يؤمنون به، وهذا أمر لن نفتش عنه في النيات، فقد كانوا يقطعون الشك باليقين، «لأن إخوته أيضاً لم يكونوا يؤمنون به» [يوحنا ٧: ٥]

هذا الكفر العارض من اخوته أو الشك الدائم من غيرهم حتم عليه أن يعلن رأيه جلياً فيهم، إن إيمانهم لا يوازي حبة خردل [متى ١٧: ٢٠] ، كتب يوحنا إنجيله وما كانوا قد وصلوا بعد إلى يقين، فسجل ما سجل من معجزات و لم ينس أن يختمها ببيان هدفه في تحصيل ما هو مفقود في قلوبهم من إيمان: «**وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب، وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه**» [يوحنا ٢٠ : ٣٠ ، ٣١]

وهكذا استمروا على هذا الشك أو اليقين بأنه ليس ابن الله قروناً حتى جاء بوش يرمي المسلمين ببلواه، وربما كان الجهل مسيطراً على أمريكا في عصره أكثر مما كان الشك في عصر المسيح.

۞۞۞

٢- اتهام عائشة رضي الله عنها في عرضها

يحكي أنه قد أشيع أن السيدة عائشة رضي الله عنها لم تكن مخلصة للنبي ﷺ ولم تَزُل هذه الوصمة عنها تماماً حتى أيامنا هذه. [انظر صـ ٤٠٩ من الترجمة العربية].

۞ ورداً على هذا نقول:

لقد لفق بنو إسرائيل الكثير من الأكاذيب على أنبيائهم، فيهوذا وهو نبي من أنبيائهم زنا بامرأة ابنه، ولوط بابنتيه، وداود بامرأة أوريا، ولم يتعرض القرآن الكريم للدفاع مباشرة عن هؤلاء بل أدخله ضمن ﴿ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ ولكن عندما طعنوا في المحصنات الغافلات تصدى لهم القرآن الكريم.

ومن واجبي كمؤمن بالدفاع عن الفضائل أن أبدأ بأم المسيح عليهما السلام، فقد نالها من افتراء اليهود ما نال عائشة من المنافقين، وقد لعن الله المفترين يهوداً أو منافقين، وهذا هو أحد الفروق بين القرآن الكريم وبين الكتاب الذي ما سلم فيه نبي من سفاهة كاتبيه، ذلك أن هؤلاء الأنبياء كانوا كلما حاولوا الإصلاح تصدى المفسدون لصورهم بالتشويه، ولعقيدهم بالتحريف، ولم يقتصر الأمر على مريم أو غيرها، وإنما دونك الكتاب المقدس لتقرأ فيه ما أخجل من عرضه.

۞ براءة مريم عليها السلام:

أجمع المسلمون على براءة مريم من مقالة اليهود، مؤمنين بأنها أفضل

نساء العالمين، ولم يكن المؤمنون بأنها والدة ربهم على هذا المستوى من الغيرة والدفاع عنها، إنهم قد يجمعون على براءتها ولكنهم يصرون على التمسك بما يلطخ سمعتها، فليس لهم من دليل على طهارتها سوى حلم رآه رجل على علاقة خطوبة بمريم، فهو داخل خارج، يراها ويبصرها، وفجأة تجد مريم نفسها حاملاً، وتمضي الخطوبة بصورة طبيعية دون أن يبصر الخاطب بلوها، أو يسمع شكوها، وفي النهاية تلد يسوع، وبأعصاب باردة يخبرها بأنه علم بحملها عن طريق حلم كان قد رآه، فقد رأى منذ أشهر فيما يرى النائم كذا.. وكذا..

فتأمل الحكاية، وحاول أن تصدقها، فهل هي معجزة أن يرى هذا الرجل أو يدعي أنه رأى حلماً؟ فلماذا لم ير اليهود وغير اليهود ممن تقولوا ولا زالوا يتقولون عليها هذا الحلم حتى تخرس ألسنتهم ؟.

إنهم لا يعلمون عن مريم أكثر من أنها مخطوبة، وفجأة يظهر حملها، ثم ولدها، فعلى من يضحكون لو ادعوا أنها لا زالت مخطوبة؟.

إن أبسط ما يقوم به الأهل والجيران هو أن يهنئوها ويعتبوا عليها الزواج دون علمهم؟.

وفي النهاية لا بد من الدعوة لها بهدوء السر وراحة البال.

فهل يستطيع يوسف أن يخرج ليحكي هذا الحلم على الملأ؟.

وهل تتخيل اليهود يقبلون حلمه لو أقسم عليه مليون مرة؟.

تأمل معجزة المعجزات لدى النصارى، يوسف يرى حلماً «**ملاك الرب.. قائلاً: يا يوسف بن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن**

الذي حبل به فيها هو من الروح القدس» «**فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر»** [متى ١: ٢٠-٢٥]

هذه هي كل الحكاية، من يسمعها ماذا يظن، هل يثق في حلم يوسف، وماذا تقول مريم لمن حولها؟ ولماذا ينسب يوسف ابن الله أو ابن الروح القدس إلى نفسه؟ أليس ظهور الحلم في خياله خاصة من شأنه أن يقوى الشكوك ولا ينفيها؟

هنا يتصدى جهابذة الفكر من النصارى فيدعون أن لم يكن ثمة شك في حمل مريم بطريقة مشروعة أصلا، ولكن الحمد لله اليهود لا زالوا أحياء ومصرين على قذفها بالزنى، ولولا القرآن الكريم لاستحال البرهنة على براءتها.

لقد نزلت سورة كاملة في القرآن الكريم باسم مريم، يسجل فيها الحق جل شأنه براءتها في كتاب يتحدى الذين لطخوا والذين قبلوا تلطيخ سمعتها عليها السلام. وتأمل القرآن الكريم وهو يحكي براءتها:

إن إثبات الزنا على مريم قائم بوجود الطفل على ذراعيها.

ويشاء ربك أن تتحقق براءة مريم بإبطال دليل اتهامها.

فمريم هي التي تواجه قومها بنفسها.

ولا يظهر معها يوسف ولا غير يوسف.

وليس معها من يتحدث عنها أو يدافع عن ابنها، فما هو دليل الإدانة؟

﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ ﴾

لقد جاءت تحمل دليل إدانتها بين يديها.

يرى القوم هذا الدليل ﴿ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) ﴾

هنا مريم، فقط تشير إلى طفلها: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ﴾

يتعجب اليهود، أأنت خرساء تكلمي:

(من أين هذا الطفل)؟

﴿ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) ﴾

وهنا تقع المعجزة فيتكلم الطفل ليبرئ أمه أمام أرجاس اليهود:

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) ﴾

وهكذا تبرأت مريم بكلام المسيح في المهد أولاً. فبهت اليهود وانقلبوا صاغرين، ولكنهم سرعان ما عادوا إلى ضلالهم القديم عندما بدأ المسيح يتخذ طريقه إلى الرشد الطبيعي، فكلما مر بهم يتغامزون. فلما ابتدأ دعوته قالوا له: أرنا من أبوك؟ ولما جادلهم كثيراً وذكرهم بكلامه في المهد تمادوا في الجدال والنكران، حتى قالوا له يا عيسى هل يمكن لهذا الطير الذي يطير في الهواء أن يخرج من الطين؟.

قال لهم نعم: وهنا أجرى الله على يديه جرت أول معجزاته عليه السلام، برهاناً على براءته من الانتساب إلى يوسف، وإذ فشل اليهود في مواجهة المسيح فقد عزموا على التحريف، فتتدخلوا في صياغة القصة، وحشروا فيها حلم يوسف، وحذفوا منها ما يبرئ مريم عليها السلام، وقنع النصارى بما يلطخ سمعة والدة ربهم، وباتوا يتعبدون لله بتلاوة الأحلام آناء الليل وأطراف النهار.

وهنا نزل القرآن الكريم ليتحدث عن كلام المسيح في المهد، وعن أول معجزاته خلق الطير من الطين. فتحداهم أن يأتوا بمثله، فعجزوا عن التحدي واستمروا في سفاهتهم حتى الآن كما ترى بيقين.

براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها :

كان من شأن المنافقين مع أم المؤمنين عائشة ما كان من شأن اليهود مع مريم، وكما نزل القرآن الكريم ببراءة مريم نزل كذلك ببراءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فأصبحت براءة هذه وتلك قرآناً يتلى، يتحدى الإنس والجن إلى قيام الساعة. ولو كان محمد ﷺ هو مؤلف القرآن الكريم أو متصنع للوحي على نحو ما أورده بوش في تقسيم الغنائم لخلا إلى نفسه وخرج بآيات تتحدث عن براءة زوجته، ولكن سرعة نزول آية الغنائم وتأخر نزول هذه الآيات كان لحكمة دفعت بالمنافقين إلى التمادي في أكاذيبهم، وفي النهاية ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (الأنبياء ١٨)

هذا هو دأب أعداء الفضيلة، ليس مع نبينا فقط، بل ومع أنبيائهم، وكل

من يدعو إلى فضيلة وينهى عن رذيلة سوف يناله منهم آذىً كثيراً، ولهذا أخبرنا القرآن الكريم بما سنراه من هؤلاء المكذبين، عندما قال:

﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [آل عمران]

وها هو أذى آل بوش لا ينتهي، وسخافاتهم لا تتوقف، إنهم لا يملون من تكرار وقاحتهم، وقد شاء ربك أن يتكفل بالرد عليهم، فأنزل براءة عائشة في آيات قرآنية، ثم تحداهم بتلك الآيات، ولا يزال التحدي قائماً، لم يكن التحدي مثل المبارزات البشرية التي تتقيد بفترة زمنية، في نهايتها يُعْلَن فوز من فاز وخسران من خسر، فالتحدي لا نهاية زمنية ولا مكانية له، لم ولن يتوقف، ليبقي الفائز فائزاً، وليظل الخاسر يجاهد للفوز إن استطاع إليه سبيلاً.

والغريب أن القرآن الكريم اعتبر الطعن في أم المؤمنين عائشة خيراً للمسلمين، وقد اتضح لنا ذلك عندما شاهدنا من خلف حفنة المنافقين طوابير لا تنتهي من المنصرين، فلتحسم المسألة بكلمة ربك صدقاً وعدلاً، ولتكن براءة أم المؤمنين في قرآن يتلى يتحدى المفترين، ويتعبد به المسلمون لله رب العالمين، فالمسلمون يتعبدون بكلام أحكم الحاكمين، وأهل الضلال يتعبدون بتلاوة ما يلطخ سمعة من فضلها الله على نساء العالمين.

قال تعالى في سورة النور:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا

تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾

وبعد .. فهذه هي قضية الافتراء الكبرى على أم المؤمنين وأم المسيح وقد حسمها ربك من فوق سبع سموات، فإذا تمكن المفترون من إخفاء معجزة كلام المسيح في المهد من أناجيلهم فلن يستطيعوا حذف حرف واحد من القرآن الكريم.



٣- الزعم بوجود عداوة بين علي وعائشة رضي الله عنهما.

يدعي أن عائشة كانت تعادي علياً عداوة شديدة، وعندما تبوأ الخلافة خرجت على رأس جيش لمحاربته، و لم تنجح حملتها، لكنها استطاعت بعد ذلك أن تجد الوسائل لإثارة الفرقة بين أتباعه وانفضاضهم عنه، مما أدى في النهاية إلى دماره ودمار أسرته. [انظر صـــ ٤١٠ من الترجمة]

۞ورداً على هذا نقول:

كلما طعن قسيس في الإسلام، أَفْتحُ كتابه المقدس لأجد ما يلصقه بنا من عيوب ثابتاً باللفظ الصريح لما يتخذه من دين، لم تختلف تلك السنة في مسألة واحدة حتى الآن، وربما لا يمتدح بوش أكثر من المحبة التي كانت تجمع رسل المسيحية، ولا يذم أكثر من العداوة التي فرقت بين الصحابة في صدر الإسلام، ولكن انظر !

الإصحاح الثاني من رسالة غلاطية، عنوان تتفنن الترجمات المختلفة في صياغته «**بولس يواجه بطرس**» فهذه المواجهة القائمة والممتدة بين هذين الرسولين الكبيرين لم يخمنها أحد، وإنما مسجلة في الوحي المقدس عن أولئك الذين يسمون برسل المحبة، لم تتورط فيها عناصر خارجية مغرضة، وحسبك أنها بين رسول وآخر، و لم تحدث حول قضايا السلطة والسياسة، وإنما تتعلق بصميم تعاليم الدين الموحى به من الله تعالى.

وإذا كانت العداوة بين الرسولين «**بولس وبطرس**» ظاهرة إلى هذا الحد في الكتاب المقدس فإن ما بين أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها والإمام

على كرم الله وجهه ما هو إلا ثمرة تحليلات وهمية لبعض سيئي الفهم أو القصد، ذلك أنهم تخلوا عن المصداقية عند تحليل ما جرى عقب استشهاد عثمان ﷺ ولو أن ما حدث من فوضى يحدث الآن لما كان ثمة خلاف على أن سببه هو الفراغ المفاجئ في السلطة، وهو أمر لا يحاسب عليه ولا على ما ينتج عنه أحد، وإنما سلوك أناس حديثي عهد بالجاهلية لم يتعودوا على هذه الصور الحضارية، فلا مسئولية دون تكليف، ولا مسئولية حتى يوجد من يسأل ويسير الأمور، وهنا ظهرت عقبات تعوق إنجاز ما هو ضروري وملح لتفادي الشغب والاضطراب، فإجراء البيعة في دولة شاسعة دون وسائل اتصال ليس أسهل من إجراء انتخابات عامة الآن في ظل اضطرابات أمنية، وغياب تام لكافة أشكال السلطة التنفيذية.

وربما اعتقد عثمان أن الشورى كفيلة بحسم كل نزاع سياسي من بعده، وهو وإن كان على يقين بأنه سينال الشهادة إلا أنه لم يكن ليتحسب أن يخرج من يطالب بالثأر من قاتليه، لقد أحس بدنو ما بشره به الرسول ﷺ من نوال الشهادة عندما رأى الخارجين عليه، فرد عرض معاوية بإرسال فرقة من الجيش لحمايته، معللاً رفضه بأن مهمة الجيش الإسلامي هي الدفاع عن الدولة وليس شخص الخليفة، والغريب أن عثمان الذي جهز جيش العسرة بثلاثمائة بعير تساءل: من أين يطعم هذا الجيش الذي سيتحول من المهمة العامة إلى مهمة اعتقد الخليفة في هذا الوقت أنها خاصة؟.

والملاحظ أن التطور التنظيمي لطريقة انتقال السلطة قد استقر على

صورة واضحة بعد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، إلا أن هذا كان يعتمد على تنظيم الخليفة ، وتعيين من يقوم بالأمر حال غيابه، لكن ما الحل إذا لم يعين الخليفة من يقوم بالأمر؟

لم يهتم الصحابة ببحث هذه المسألة الافتراضية، فأبو بكر وعمر تمكن كل منهما من ترشيح الخليفة من بعده، ومن ثم تم عرضه على الأمة للمبايعة العامة، ولكن باستشهاد عثمان حدث شكل مختلف من النظام، إذ أصبحت الخلافة فجأة دون خليفة ولا نائباً عن الخليفة، والفترة ما بين انتهاء خلافة عثمان وقيام خليفة جديد لا يمكن أن يحدث فيها سوى الفوضى، وبكل يقين كان الوضع سيختلف لو مات عثمان ﷺ كما مات أبو بكر، أو قبض على قاتليه كما حدث لقاتلي عمر، في هذه الحالة كان مستشارو عثمان أو أهل الحل والعقد سيجتمعون دون إبطاء ليختاروا الخليفة الجديد، ثم تجرى المبايعة العامة بعد مراسيم البيعة الخاصة، ولكن هذه الترتيبات تلاشت من ذهن أولئك الذين روعهم قتل الخليفة، فأول ما انصرفت إليه الأنظار هو الجناة، من أين أتوا وإلى أين ذهبوا؟ وربما كان القليل هم الذين اتجهت أنظارهم إلى الخلافة في الأيام الأولى، ومنهم على الذي أدرك حجم المسئولية، ومدى أهمية تعيين خليفة، وإتمام البيعة له لممارسة مهامه قبل الانشغال بقضايا جنائية لا يتعلق بها المحافظة على كيان الدولة التي لا يزال يتربص بها الأعداء، ولكن ما كادت الأنظار تتجه لمبايعة على كرم الله وجهه حتى دفعت الصدمة بكثيرين إلى الخروج للمطالبة بمعاقبة الجناة، فخرجت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على

رأس مجموعة صغيرة للمطالبة بقتلة عثمان، ونفس الطريق سلكه معاوية دون اتفاق، لكن الخارجين هنا وهناك يطالبون من بمحاكمة من؟.

إن كانوا يطالبون علياً باتخاذ هذا الإجراء فليمنحوه الصلاحية التي تخوله ذلك، لكن معاوية ربط البيعة بمحاسبة قتلة عثمان، وهي مهمة رأى معاوية ﷺ أنه من الممكن أن يقوم علي بها، ولكن علياً لم يجد لنفسه صفة شرعية تخوله ذلك، وفي ظل الجدل بين المطالبين بدم عثمان والمطالبين بمبايعة الخليفة اختفى قتلة عثمان، وبهذا لم يعد بالإمكان تجاوز هذا المطلب بعد أن ظهرت ردود فعل متناقضة، فانقسم المسلمون إلى حزبين كبيرين، منهم من يؤيد علياً في طلب البيعة، ومنهم من يؤيد معاوية في الإصرار على محاسبة الجناة.

وأما أمهات المؤمنين وهن جزء من نسيج هذا الشعور العام فقد أحسسن بالصدمة وتأنيب الضمير، فلا لوم عليهن لو خرجن مع المطالبين بقاتلي عثمان ﷺ ومن حقك أن تسأل: لماذا لم تتخذ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هذا الموقف عندما استشهد عمر أو على رضي الله عنهما؟

عليك أن تتذكر أن ظروف استشهاد عثمان اختلفت عن هذا وذاك، ولهذا لم يكن خروج أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بسبب الخلافة، ولا بغضاً لعلي كرم الله وجهه، وإنما كان احتجاجاً على جريمة شنعاء ارتكبتها عصابة بطريقة استفزازية ثم اختفت دون محاسبة.

علينا أن لا ننسى أن العالم كان يخطو أولى خطواته نحو الحرية السياسية، وأن تجربة اختيار الحاكم لم يكن قد عرفها العالم من قبل، ولكن

المستشرقين يتخذون من تلك الإيجابية ذريعة لتشويه تاريخ الإسلام، ولا يكفيهم تحليل الأحداث بل يخمنون ما في صدور صانعيها، وهذا التخمين يختلف بين مستشرق وآخر على قدر ما يتغلغل في صدورهم وما يتفاعل فيها من أحقاد، بالإضافة إلى أنه ليس لديهم مراجع ثابتة ينطلقون منها أو يعودون إليها، فما يخمنونه يعبر عن تصورات ذاتية متباينة، وليس حقائق موضوعية ثابتة في كتب التاريخ، فكل يدلي بدلوه على قدر اجتهاده أو أحقاده، والاجتهاد أو الحقد يتجنب السؤال لماذا خرجت أم المؤمنين عائشة؟ .

وبعض مروجو الفتنة خمنوا أن يكون علي قد أشار على النبي ﷺ بطلاق عائشة ليتحرر من شائعة الإفك، وما كان علي كرم الله وجهه وهو المشهود له بالذكاء ليقع في خطأ يتسبب في جرح مشاعر رسول الله ﷺ وهو يعلم أن إيمانه بنبوته ﷺ يوجب عليه التسليم بطهارة آل بيته، فليس من المقبول أن تكون زوجة نبي بغي في مذهب العقلاء في أي حال من الأحوال.

وعلى هذا فالأدلة الموضوعية تؤكد أن عائشة لم تخرج مع ولا ضد أحد بذاته، فما كانت البيعة قد تمت لعلي حتى نعتقد بخروجها عليه، ونحن لا نعرف في ديننا ولا دنيانا ما يحكيه القسس من أنها كانت تعادي علياً، أو أنها استطاعت أن تجد وسائل لإثارة الفرقة بين أتباعه، فليس أمهات المؤمنين باللائى يفعلن شيئاً من ذلك، لقد اختارهن الله أرق نساء العرب قلوباً، وأكثرهم إخلاصاً، وهؤلاء لا يجوز اتهامهن بالعداوة الظاهرة أو

الباطنة لأبنائهن المسلمين، فإن الله تعالى قد كشف عما هو كامن في صدورهن من رحمة الأمومة، كما فضح ما في صدور المنافقين من أحقاد وضغائن، ووصف القرآن الكريم لهن بـــ «**أمهات المؤمنين**» هو حكم صريح على مشاعرهن تجاه المسلمين بالسوية، فلم تكن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لتفرق بين أبي بكر وعثمان، ولا بين على ومعاوية، إنها لا تفرق بين مسلم عربي وغير عربي، فهي أم لجميع المؤمنين.

ولمصلحة من تنحاز إلى هذا دون ذاك؟ .

هل كان في ذهنها مشاريع سياسية؟.

❁❁❁

٤-الزعم بأن زوجاته كن يطالبنه بالأثواب تعويضاً عن فراغ جنسي

يدعي القس بوش أن نساء النبي كن يعانين من فراغ جنسي، ولذا أصبحن أكثر اهتماماً بأمور أخرى أكثر من اهتمامهن بأنفسهن، ورحن يطالبنه بتعدد الأثواب، وكان من الحكمة بحيث لم يسمح لهن بذلك، وقد تعرضن للتوبيخ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) ﴾ (الأحزاب)

[صـ ٤١٢ من الترجمة]

۞ ورداً على هذا نقول:

وهكذا حال النصارى مع أم المسيح عليه السلام، ومع زوجات أكرم الخلق ﷺ فهذه لم تكن مصدقة برسالته، وتلك لم تكن مخلصة في ولائها له، فخديجة رضي الله عنها لسنها يناسبها من افتراءاتهم أن تكون شاكة فيه، وعائشة يناسبها من افتراءاتهم أن لا تكون مخلصة له، أما بقية نسائه فمنهن من كانت في نهاية أو منتصف العمر فاخترع لهن من الفري ما قرأته في هذه الفرية.

لعل من أصعب المحن أن تبتلى بالرد على مثل هذه السفاهات..

ولكن ماذا نقول؟

لا حول ولا قوة إلا بالله !

يحكي القس بوش هذه الشبهة على طريقة المستشرقين من استخدام **(لعل وربما)** وقوله: «**ويبدو أنه نتيجة عدم الإشباع الجنسي إلى حد ما أصبحن أكثر اهتماماً بأمور أخرى**» يناقض ما حاول تصويره فيما سبق من أن الرسول كان رجلاً شهوانياً، ولا نعرف كيف بدا له ذلك مع أن هذا العدد الكثير من النسوة لم يكن مع النبي إلا في آخر حياته، ولم يكن صغيرات حتى يخطر ببالهن أن يطالبنه بما هو غريب على بيئتهن العربية التي لا تعرف الموضة ولا تعدد الأثواب، كن أرامل حاملات هموم كـ « **أم سلمة**» التي تزوجها ثم شرع يفكر في زواج أبنائها. فانتقلن بزواجهن من شظف إلى شظف أشد، حتى عجزن عن تحمل قسوة الحياة في بيته ﷺ وهنا أمره ربه أن يخيرهن بين هذه المعيشة الجافة والفراق بإحسان، وهذا تخيير لا توبيخ فيه ولا إذلال، واقرأ الآية لتفهم ما ترمي إليه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾

فبدأ بعائشة، فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة، ثم اختارت بقية النساء ما اختارته عائشة رضي الله عنهن جميعاً [1]

لقد اختارهن الله أمهات للمؤمنين فاخترن الله ورسوله عن أي لون من ألوان المتع الدنيوية وكن لأبنائهن القدوة الحسنة في كل شئون حياتهم،

١- الترمذي ك تفسير القرآن حـ ٣١٢٨ وقَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

فلم يترك لهن القصور والخدم، ولو شاء لفعل، ولكنه قال: «**لا نورث ما تركناه فهو صدقة**»[١]

لقد كاد ﷺ أن يفقد زوجاته كلهن أو بعضهن من شظف العيش في داره، فما كان عيشهن إلا على التمر والماء، وهذا ما تقسم عليه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لابن أختها عروة بن الزبير[٢] فكيف يتلذذ بالحياة من لم يشبع يوماً بخبز الشعير، ولقد سمعه أنس يقول: ما أَمسى عند آل محمد ﷺ صاع بُرٍّ ولا صاع حَبٍّ وإن عنده لتسع نسوة[٣] .

نعم تسع نسوة، كان بإمكانه ﷺ أن يتزوج بواحدة، وبدلاً من أن تجد ثلاث تمرات في الفطور ستجد عشرين تمرة، كما يرى أصحاب النظريات الحديثة في السعادة الزوجية. ولكن ربك فرض عليه الزواج بهذا العدد ليقدم لنا من خلاله القدوة الحسنة، لم يفرض عليه الزواج بأربعة مثل أفراد أمته حتى لا يظن من لديه قدرة على تعدد الزوجات أن في الأربعة خصوصية له ﷺ فيمسك عن ذلك، فميز الله خصوصيته بالعدد الأكبر من النساء، وبقي على المسلم الميسور الحال أن يكون له في رسول الله القدوة الحسنة إلى الحد الذي قرره الله تعالى، كثيرون يعيشون مترفين، وهناك أرامل لا يجدن سبيلاً للعيش الكريم، الرسول ﷺ لم يتزوج إلا بكراً واحدة، وكأنه يشجع زواج الأرامل والمطلقات، وبهذا التشجيع القولي

---

١ - مسلم ك / الجهاد والسير حـ ٣٣٠٣

٢ - مسلم ك / الزهد والرقائق حـ ٥٢٨٢ والبخاري ك / الرقاق حـ ٥٩٧٨

٣ - البخاري ك / البيوع حـ ١٩٢٧

والعملي لا يعرف الإسلام الفراغ الجنسي، ذلك أنه شرع الزواج بواحدة وبأكثر من واحدة، ويسر سبله، وجعل من رغب عنه مبتعداً عن منهج رسوله، وإنما عرفت الإنسانية الفراغ الجنسي أول ما عرفته عن طريق الرهبنة المسيحية بمناهجها المختلفة، والمسيحية كديانة حرمت التعدد، بل كادت أن تحرم الزواج كذلك، وكلام بولس لم يكن قاطعاً ولكنه على العموم يميل إلى التحريم، وهذا ما يوصي به أهل كورنثوس بحذر، فقد خيل إليه أنه إنما ينزل عليه وحي، ولكنه بدأ يتكلم على غير طريقة أهل الوحي، فماذا يقول بولس لأهل كورنثوس ارتجالاً؟.

يقول: «**وأما العذارى فليس عندي أمرٌ من الرب فيهن، ولكني أعطي رأياً كمن رحِمَه الرب لأن يكون أميناً، فأظن أن هذا حسنٌ لسبب الضيق الحاضر، إنه حسن للإنسان أن يكون هكذا:**

أنت مرتبط بامرأة فلا تطلب الانفصال.

أنت منفصل عن امرأة فلا تطلب امرأة.

لكنك وإن تزوجت لم تخطئ.

وإن تزوجت العذراء لم تخطئ.

ولكن مثل هؤلاء يكون لهم ضيق في الجسد» .

ثم يضيف بولس: «**إذاً من زوَّجَ فحسناً يفعل ومن لا يُزَوِّج يفعل أحسن.**

المرأة مرتبطة بالناموس ما دام رجلها حياً ولكن إن مات رجلها فهي حرة لكي تتزوج بمن تريد، في الرب فقط.

ولكنها أكثر غبطة إن لبثت هكذا بحسب رأيي وأظن أني أنا أيضاً عندي روح الله» [1]

فبولس يظن أن لديه أيضاً روح تستحسن للمرأة أن تظل في فراغ جنسي، والسبب حسب رأيه أو حسب الروح الذي يلبسه أن الزواج يسبب للعذارى ضيق في الجسد، وربما يطلبن الكثير من الثياب حتى يتسع الجسد وينبسط، فبولس بما لديه من خبرة يضع القاعدة التي تقول: «أنت متصل فلا تبغي الانفصال، أنت منفصل فلا تبغي الاتصال» وهذه القاعدة لا تقيم للغريزة وزناً، وتؤكد جهله بالغرائز الإنسانية، وربما وجد من الحكمة أن لا يفاجأ أهل كورنثوس برأي قاطع قبل أن يقف على ما لديهم من ثقافة، ويبدو أنهم أرسلوا إليه يطلبون خبرته الجنسية، و لم يفطن إلى قصدهم، فأخذ جانب الحذر وراح يطرح عليهم رأيه المبني على الظن الفضفاض في الزواج، وهنا يجتهد في الحديث بما يرضي كافة الأذواق، وبما يمكن حمله على كل اتجاه ! وكان من الحكمة أن يظل بولس على العهد مستعبداً نفسه للجميع ليربح الجميع، وليفتح الباب أمام من يحب ومن لا يحب الزواج، وبين من يقتصر على امرأة بالزواج ومن يفضل أن يظل طليقاً ينقلب من امرأة إلى أخرى وهو مرح يعني بدون زواج !

وأني لأتساءل ما الفرق بين المرأة أرملة أو مطلقة في هذا العذاب المهين إذا كانت المسيحية تتجه إلى تحريم الزواج ابتداءً وبتاتاً بعد الطلاق؟

لقد وجدنا الأناجيل تأمر الرجال بالاختصاء:

---

١ - رسالة كورنثوس الأولى الإصحاح السابع راجع أعداد من ٢٥ إلى ٤٠

«لأنه يوجد خِصْيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم.

ويوجد خِصيان خصاهم الناس.

ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات، من استطاع أن يقبل فليقبل»[1]

فالناس أنواع ثلاثة:

الأول: ولدوا من بطون أمهاتهم خِصْياناً، أي بلا شهوة جنسية.

الثاني: خصاهم الناس وهم العبيد.

الثالث: خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات.

والأخير هو الذي رغب فيه المسيح بقوله: «**من استطاع أن يقبل فليقبل**»

وهكذا لا تجد المرأة في الأنواع الثلاثة من تقضي معه وطرها، فهل يمكن لها أن تختصي هي الأخرى حتى لا تتعذب في غريزتها؟.

هناك الذين لم يختصوا لأجل ملكوت الله ولا غيره، و لم يكبتوا غريزتهم، فهل يمكن لهؤلاء أن يلبوا مطالب المرأة الجسدية؟.

لقد عجزوا حسب نص الإنجيل ومعناه عن قبول ملكوت السموات، ومن ثم انقسموا مجموعات متعددة كلها تتفنن في استغلال المرأة جسدياً.

بعضهم التزم بالشريعة فلم يزد عن واحدة.

وبعضهم لم يجد لذته في الجنس فتبلدت أحاسيسه وضعفت غريزته،

---

١ - إنجيل متى ١٩ : ١٢

وآخرون ملوا، وربما استخفوا بالغريزة، فدخلوا الأديرة وتركوا المرأة تتخبط خارجها. ثم أغروها باللحاق بهم داخل الأديرة، فكاناً رهباناً وكان راهبات، وهناك كان ما كان من المساكنة الروحية وما خفي عنا كان أعظم مما ظهر لغيرنا.

وبعد عصر حافل من حركة الديرية، وانتشارها في أوربا الغربية والشرقية، ظهرت بشائر تحرير المرأة، «**فظهر من يزعم أن الدين يكبت النشاط الحيوي للإنسان، ويظل ينكد عليه حياته نتيجة الشعور بالإثم، ذلك الشعور الذي يستولي على المتدينين خاصة فيخيل لهم أن كل ما يصنعونه خطايا لا يطهرها إلا الامتناع عن ملذات الحياة**»[1] ولكن الخلاص كان في التحرر من كافة القيود الأخلاقية، ففتحت البرلمانات المسيحية في الغرب طريق الشذوذ المسدود، وأباحت الحضارة المسيحية الشذوذ، وتركت المرأة لتبحث أو لا تبحث عمن تقوم لها بدور الرجل؟

أباحت الحضارة المسيحية للرجل أن يتزوج برجل، فأصبح الرجل في الغرب رجلاً وامرأة، والمرأة امرأة ورجلاً، فحرموا المرأة المرأة أو المرأة الرجل من الزواج العفيف الطاهر، وحاولوا استغلالها دون زواج، فأصبحت التعيسة كالليمونة تنتهي عند انتهاء عصرها، فإذا ما انتهت متعتهم ألقيت على قارعة طريق، ليس لها زوج يخاف عليها، ولا أولاد يعملون على رعايتها.

أما المرأة التي تمسكت بالدين فلم تكن بأفضل حال، فهي إذا ما تزوجت

---

١ - شبهات حول الإسلام/ محمد قطب صـ ١٧١ط/ دار الشروق.

تجد المسيحية لا تسمح لها بالطلاق إلا في حالة الزنا، وإذا وقع الزنا طلقها زوجها ثم حرم على المؤمنين بألوهية يسوع الزواج بها، هذه هي شريعة الأناجيل التي قد يتجاوزونها باختراع أساليب فوق الخيال لتعذيب المرأة في غريزتها تارة، وفي حيائها أخرى.

وهكذا حرمت المسيحية تعدد الزوجات، وانطلق جند الرب يسوع يبيدون الرجال الموحدين لله تعالى بالملايين في الحروب في البوسنة والعراق وأفغانستان، لتبقى مخلفات حروبهم جيوشاً من الأرامل والأطفال !

وفي النهاية يتحدثون بلا خجل عن حقوق الإنسان !

❁❁❁

٥- الزعم بأن العباس وأبا سفيان أسلما كرهاً.

يرى القس بوش أن العباس وأبا سفيان حينما رأوا قوة النبي تتقدم صوب مكة لم يكن أمامهما إلا تسليم مفاتيح مكة للفاتح، والاعتراف بالدعاوى النبوية لسيدهما الجديد، والإقرار بأنه رسول الله.

ويدعي أنه يمكنه أن يفترض هنا أن إسلامهما كان بالإكراه تحت وطأة سيف عمر المرفوع. [صـ ٣٢٩ من الترجمة].

۞ ورداً على هذا نقول:

لم يكن العباس وأبو سفيان إلا مدافعين عن تقاليد آبائهما، وهي خرافات لا تقل ضلالاً عن تلك التي لا زال يدافع عنها النصارى إلى اليوم، فالعرب علموا من حال تقاليد الجاهلية ما ظل يجهله النصارى إلى اليوم في تقاليد آبائهم ، فهذه أصنام ظلت تشكل كل مظاهر الحياة باتت تتهاوي أمام أعينهم في كل مظهر من مظاهرها.

ورغم أن هذه الحقيقة بدت واضحة للعرب جميعاً إلا أن أبا سفيان صاحب الزعامة فيهم لم يكن مسرعاً في الاعتراف بها، بينما أبدى العباس حماسه للإسلام بما لا يدع مجالاً للشك في عدم إكراهه على ذلك.

ولا يعني هذا أننا نشك في حسن إسلام أبي سفيان، ولكن ربما كان هناك بعض نقاط تحتاج إلى توضيح وبيان، فالقضية تنطلق من واقع أن إسلام أبي سفيان شكل التغير الرسمي لدين العرب، فليس الأمر مجرد إسلام رجل من العرب أو الأعراب لا ينظر لأمره، ولا يؤبه لقوله، وليس

على كل حال ذا مساس بعقيدتنا، فسواء أسلم أبو سفيان طوعاً أم كرها فذلك راجع إلى أبي سفيان نفسه، ولا يؤثر على صحة أو عدم صحة وحدانية الخلق جل في علاه.

وليس الأمر هنا بالغموض الذي يظهر عليه تاريخ المسيحية، فالتاريخ يسجل بدقة كيف وقف أبو سفيان أمام الرسول ليعلن ما لم يتيسر له أن يعلنه أمام هرقل يوماً ما، ولكن معاصرو المسيح لم يعلن أحدهم الإيمان أمام المسيح ولا الكفر أمام بيلاطس بتلك الصورة من الوضوح،[1] بل لم يؤمنوا بألوهيته وهو بين أيديهم لا طوعاً ولا كرها، ولا يستطيع قسيس أن يبرهن على أن أحداً قد صلى للمسيح أو أعلن إيمانه بالثالوث أمام أو خلف المسيح، بل إن المسيح تركهم وهم سكارى، وذهب ليصلي لله تعالى، فبأي وجه يحكمون بهرطقة من يوحد من كان يصلى له المسيح عليه السلام ؟ .

أما العرب فلما لم يجدوا وجهاً معقولاً يحملهم على الدفاع عن آلهتهم

١- يعتقد النصارى أن بطرس أعلن إيمانه أمام المسيح بوضوح فقد قال له (أنت المسيح ابن الله الحي) ويشرحون قول بطرس ويبنون عليه كل شيء، مع أن هذه العبارة لا تدل على أن بطرس آمن بالتثليث وإنما فقط ترد على الذين يطعنون في نسب المسيح من اليهود، ولم يؤكد بطرس عبارته تلك بالصلاة للمسيح على نحو ما يفعلون اليوم، ولا يمكن لأحد أن ينكر الشك البارز في الأناجيل من قبل تلاميذ المسيح، وقلة إيمانهم، وكمثال انظر (متى ١٤ : ٢٦ – ٣١) كما تفيض الأناجيل في وصف التلاميذ بعدم الفهم، وكمثال ارجع إلى (مرقص ٩: ٣٢، متى ١٥: ٦، يوحنا ٨: ٢٧، ١٠: ٦، ١٢ : ١٦ ، ١٣: ٢٨، ولوقا ٩: ٤٥، ١٨: ٣٤، ٢٤: ٢٥)

تخلوا عنها، و لم يكن أبو سفيان ولا غيره من العرب ممن ينطبق عليهم قوله تعالى: «**لا إكراه في الدين**» ذلك أن الدولة الإسلامية قامت على عدم السماح للعرب بغير الإسلام، وإن سمحت بوضوح لأهل الكتاب — عرباً وغير عرب – أن يعيشوا فيها بحرية وسلام، وهذا يفسر قول الرسول ﷺ «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**» فليس الناس هنا من سبق وسمح لهم بالحرية الدينية من اليهود والنصارى، وإنما هم أهل الوثنية في جزيرة العرب، وأما أهل الكتاب فلهم قانون خاص يتمحور حول منحهم الحرية التامة لممارسة دينهم حسبما يعتقدون، ولكن لماذا لا تمنح تلك الحرية لقريش؟.

ذلك أن قريشاً وقد نزل القرآن الكريم بلسانها، وأقيمت عليها الحجة مباشرة لم يعد لها أن تحيد عن دورها الذي ارتضاه لها خالقها كأمة مؤمنة بوحدانية الله، آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر، ولا يعنينا كثيراً أن يقوم العرب بهذا الدور طوعاً أو كرهاً، ولكن يعنينا الآن الحديث عن أبي سفيان كمسئول عن دولة الشرك، فهذه المسئولية جعلته يبدي بعض الفتور أمام الإقرار بالدين الجديد، وربما جعلته حنكته السياسية يرى المحافظة على الزعامة السياسية تكمن في المحافظة على دين الآباء، لكن لسان حاله بدأ يتبدل بعد أن رأى من جيش المسلمين ما رأى:

«يا قوم لقد اخترنا الدفاع عن آلهة تتهاوى من حولنا، لقد أصبحنا ندافع عن آلهة لم يعد لها وجود إلا في أوهامنا» .

فكيف يطلع أبو سفيان على قومه مجاهراً بتلك الحقيقة؟

إنه ما فتئ يضرب به المثل في الدفاع عن الوهم القديم.

إنه كعربي يحب الفخار بالدفاع عن دين آبائه ليل نهار.

ليس من السهل أن يقر فجأة بانهزامه في معركة ظل يكرس لها جل حياته.

في البداية تردد بين المعرفة والإقرار،والآن يقف متردداً بين الإقرار والاعتقاد.

و لم يمهله القدر طويلاً في هذا التردد، إذ سرعان ما وجد نفسه وجهاً لوجه أمام أكرم وأحلم الناسﷺ هذا المشهد يجب أن نسجله بعناية، فأبو سفيان الذي قضى عشرين سنة في حرب الإسلام ها هو يقف أمام الرسول ﷺ، فماذا فعل معه الرسول ﷺ؟.

لقد رأى ﷺ أن يمنحه فرصة للتفكير بهدوء، وليحسم قراره بحرية تامة، ولو أظهر ﷺ أكثر من رغبته في إسلامه ربما فضل الموت على تغيير دينه، ولكن الرسول وهو الرحمة المهداة حاول أن لا يؤدي تعامله مع الرجل إلى إحياء نعرة العناد فيه.

هنا نرى الرسول ﷺ يتحلى بالصبر والحكمة مع أبي سفيان فيقول للعباس:

«اذهب به يا عباس إلى رحلك، فإذا أصبحت فأتني به.

فلما رآه في الصباح قال: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟

قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، لقد ظننت أن

لو كان مع الله غيره لقد أغني عني شيئاً بعد.

قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟

قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، أما هذه فإن في النفس حتى الآن منها شيء».

لماذا هذه بالذات في النفس منها شيء؟

ذلك أن أبا سفيان لا زال في نفسه شيء من تلك النهاية السريعة لزعامته، وقد رأى في نهاية ليله الطويل ما رآه في بدايته، وها هي اللحظة التي يفيق فيها لأول مرة من حلم الزعامة، ومع ذلك لم يتحمس لوضع شروط تؤخر من تلك النهاية، ولكنه ربما طمح لبعض لحظات وهو بين يدي الرسول ﷺ أن تتأخر هذه النهاية بما يحفظ عليه ماء وجهه، فهل من الممكن أن يحصل على ذلك الآن؟ .

والسؤال بصيغة أخرى: هل من الممكن أن يمنح الرسول — ولو لبعض الوقت - دين قريش وضعاً كالذي منحه أهل الكتاب في المدينة؟.

هذا ما كان يود زعيم قريش أن يكون، فوجهه الصادق يتأبى أن يحرض قومه بإصرار على القتال بالأمس، وإذا به اليوم يقدمهم إلى الاستسلام.

لقد أصبح الأمر متروكاً للرسول ﷺ وليس أمام غريمه المهزوم سوى أن يردد عبارة: «**بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك**».

ومن خلال قراءة دقيقة وتحليل سليم لهذا العبارة يتضح أن أبا سفيان لم يعد أمامه عائق لإعلان إيمانه برسول الله ﷺ فهو على استعداد أن يفديه بأبيه وبأمه، فلماذا لم يعلن إسلامه إذاً؟ إن الحياء لا زال يسيطر عليه،

فكيف ينقلب من موقف إلى ضده، فأبو سفيان لم يكن بولس يتشكل لكل جماعة بوجه، ولم يكن مثل أولئك النفر الذين اشتهروا في المدينة بتعدد الوجوه:

﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾.

فزعيم قريش تربى على أنه إذا قال كلمة اعتقدها، وإذا اعتقد عقيدة مات في سبيلها، ولم يعرف أن يأتي هؤلاء بوجه وأولئك بوجه آخر، وكان من الصعب عليه وقد طلع على قومه بالأمس بوجه أن يطلع عليهم اليوم بوجه جديد، ولم يكن العباس ليدعه يسترسل في ظنه وأمانيه، فقدم إليه النصيحة التي وفرت له شيئاً من الدعم النفسي الذي سهل عليه اتخاذ قراره الجديد «**فقال له: ويحك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله، قبل أن تضرب عنقك، فأسلم وشهد شهادة حق**»[1]

وهكذا أسلم مكتفياً أن تتلخص أمانيه كلها في أن من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ونحن لا نستغرب أن يكون زعيم قريش بهذه الصورة من الصدق والصراحة، فرغم أنه كان مشركاً إلا أن فضائل المشركين الأخلاقية تجسدت فيه، وإن أشارت زوجته إلى بخله عليها، فإن هذا كان لون من ألوان الشدة على أهل بيته، ولا أعتقد أن قريش أسخي من بذل يتسيد عليها من ليس على سجيتها في الكرم.

---

١ – انظر تفاصيل أكثر في الرحيق المختوم صـ ٤٠٦، ٤٠٧ ، ٤٠٨

وقد كان أبو سفيان يفهم جيداً وصفه الاجتماعي ودوره السياسي كزعيم لقريش، وأن إسلامه ليس إسلام فرد بل إسلام العرب عن بكرة أبيها، واللحظة التي ينطق بتوحيد الله تعالى فيها سوف يسجلها التاريخ كلحظة النهاية لتاريخ طويل، ولو افترضنا أنه دفع إلى الإسلام بطريقة ما فهذا لأنه لم يعد ينفع منه غير ذلك، فها هو الدين الذي حاربه طويلاً قد ظهر على كل دين، وطالما أن القس بوش يفترض أن إسلامه قد تم بالإكراه، فلنا أن نفترض أنه تم دون إكراه، فكيف نتحقق من أحد الفرضين؟.

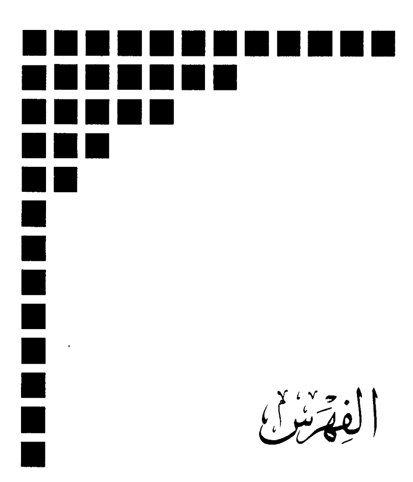
إن إسلام المكره غير معتبر في الإسلام، فلو أسلم مكرهاً فإن إسلامه لا يعتبر منجياً شرعاً، ولكن طريقة إعلان أبي سفيان للإسلام تختلف عن طرق المنافقين، فالتردد في قبول الدين ليس من خصائص المنافقين، المنافق عودنا أن لا يتأخر في الإعلان عن إيمانه وربما التباهي به في كل مناسبة، وهذا ما يصوره القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ۝ ﴾ [المنافقون]

فالمنافقون يبادرون إلى الإقرار بالإسلام وإن لم يطلب منهم ذلك، فكانوا كلما جاءوا إلى الرسول شهدوا أنه رسول الله، إن إسلام هؤلاء لا يمثل في واقع الأمر شيئاً، ذلك أنهم مع الناس إذا أمنوا، ومع الناس أيضاً إذا أشركوا، ولهذا كذَّبهم القرآن الكريم مع أن قولهم يطابق الواقع، ولكنه لا يطابق ما في

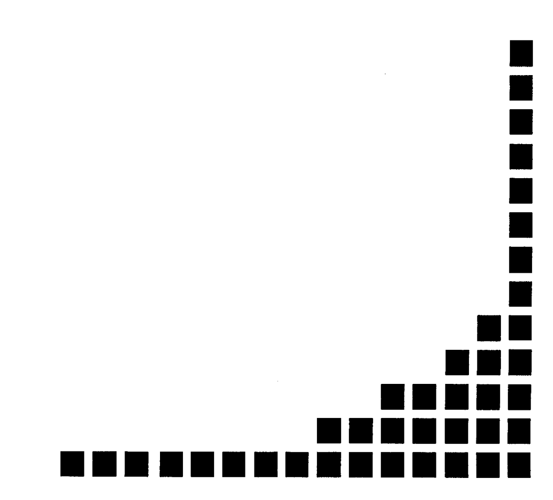
ضمائرهم من كفر، يجوز أن تطلق على هؤلاء «مسلمين» لكن القرآن الكريم لا يعتبرهم بحال من الأحوال مؤمنين.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [البقرة]

ولم يكن أبو سفيان كهؤلاء الذين أسهل ما عندهم هو أن يقولوا «آمنا» فهو على العموم لم ينهج نهج الكاذبين، ولم ينطق بكلمة التوحيد حتى استحضر معناها في فكره وقلبه، وهذا ما عبر عنه راوي القصة بقوله: « فأسلم وشهد شهادة حق» ولو لم يكن إسلامه حقاً لما كرمه الرسول ومنح بيته خصوصية الملاذ الآمن، ذلك أنه ربما توهم الجنود المنتصرون أن بيت زعيم دولة الشرك قد أصبح مباحاً أمامهم في نشوة النصر، فإذا بهم يجدوه آمناً، وتحديد الملاذات الآمنة إجراء اتخذه الرسول لتأمين حياة الناس لحظة تحول السلطة في مكة من الشرك إلى الإسلام، ولو كان ﷺ متعطشاً للدماء كما يروج النصارى لامتلأت شوارع مكة بالدماء في هذا اليوم، وما غرد أهل مكة بدخول الرسول ﷺ المسجد الحرام في فضاء الحرية طلقاء.

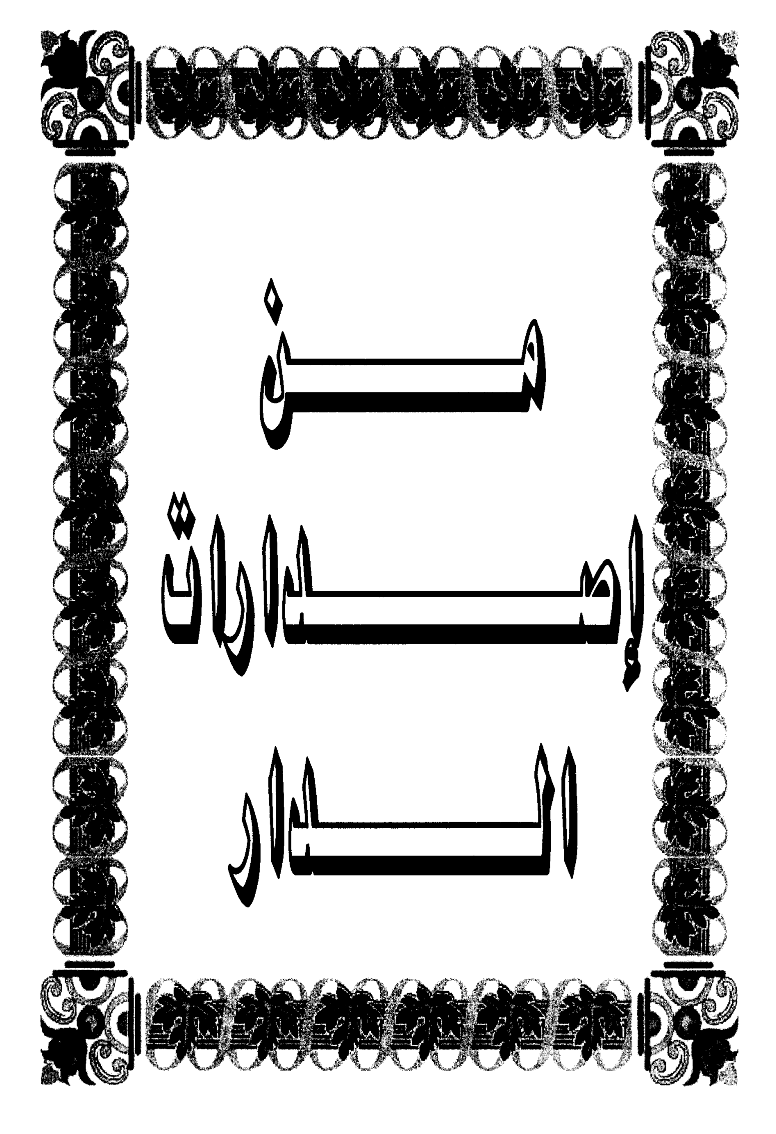


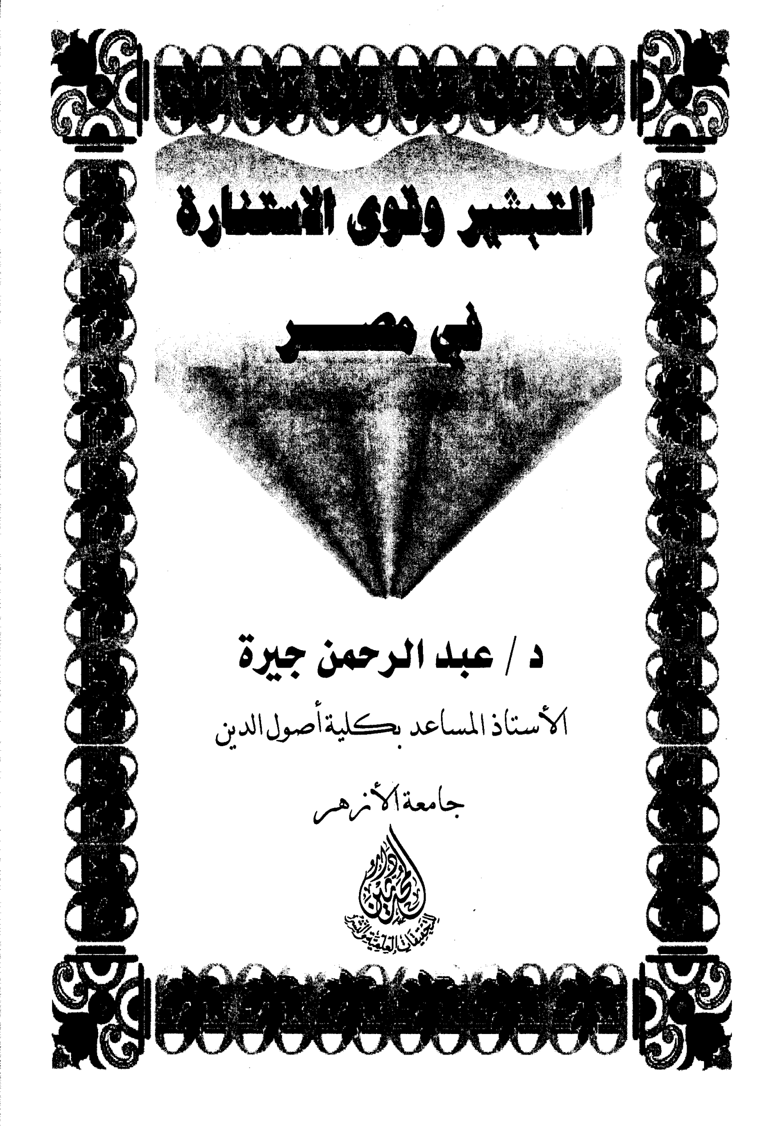
الفهرس

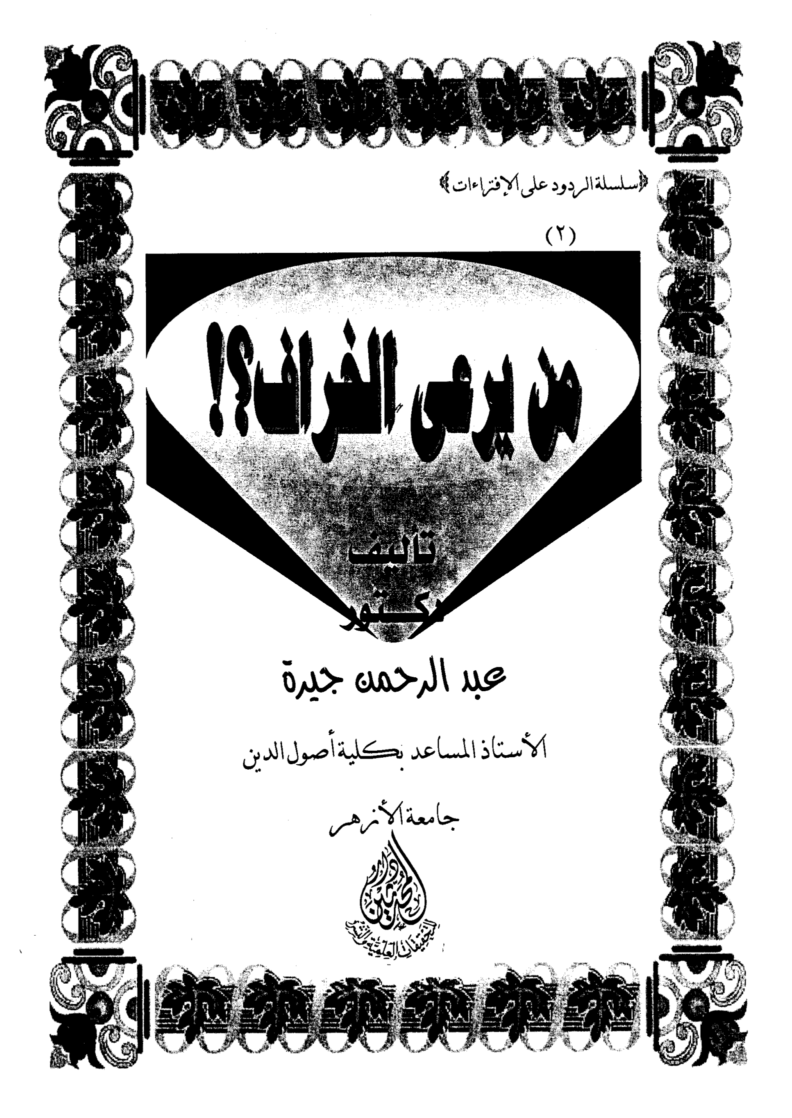


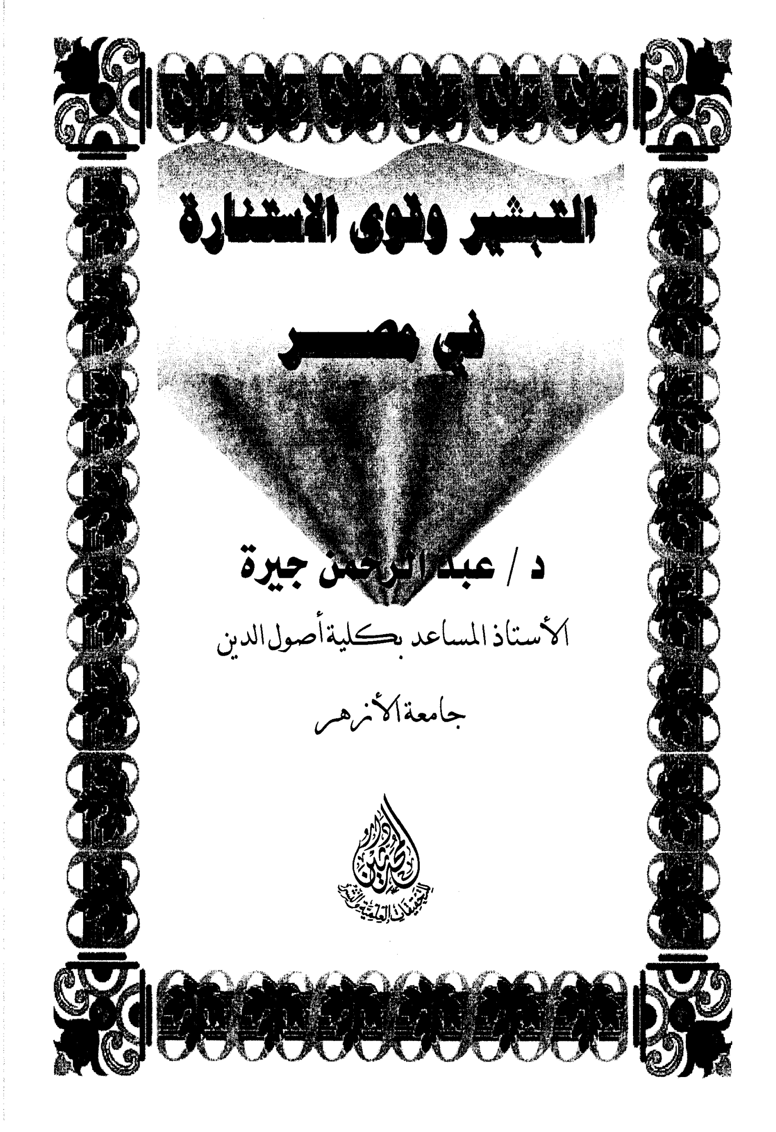
فهرس

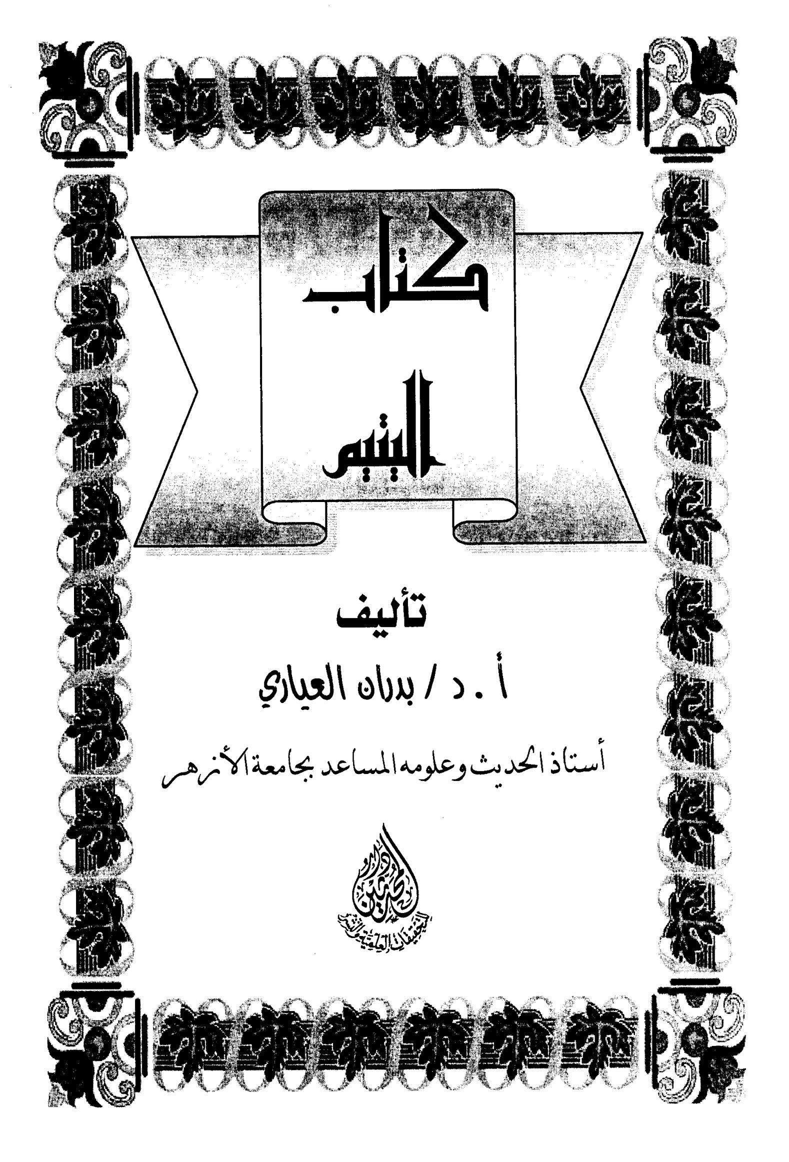

تم بحمد الله

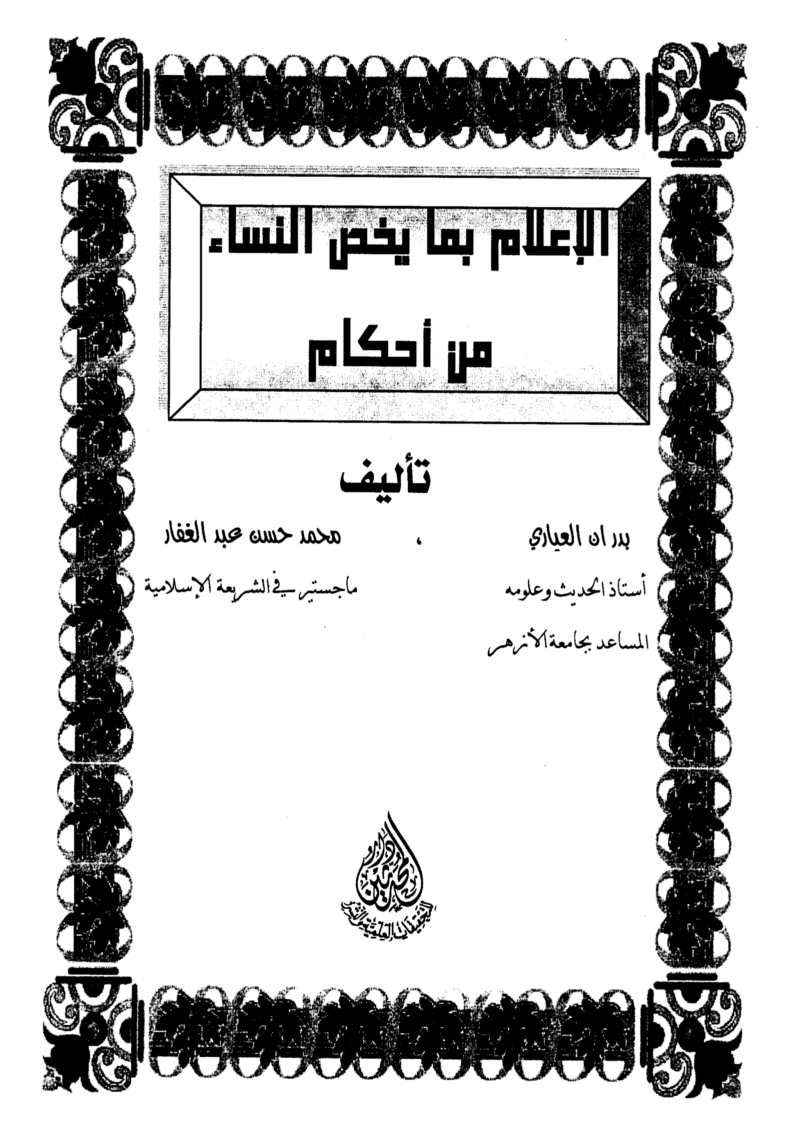

من
إصدارات
الدار


التبشير وقوى الاستنارة
في مصر
د / عبد الرحمن جيرة
الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين
جامعة الأزهر


«سلسلة الردود على الإفتراءات»
(٢)
من يرعى الخراف؟!
تأليف
دكتور
عبد الرحمن جيدة
الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين
جامعة الأزهر


التبشير وقوى الاستنارة
في مصر
د / عبد الرحمن جيرة
الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين
جامعة الأزهر


كتاب
اليتيم
تأليف
أ . د / بدران العياري
أستاذ الحديث وعلومه المساعد بجامعة الأزهر



الإعلام بما يخص النساء من أحكام

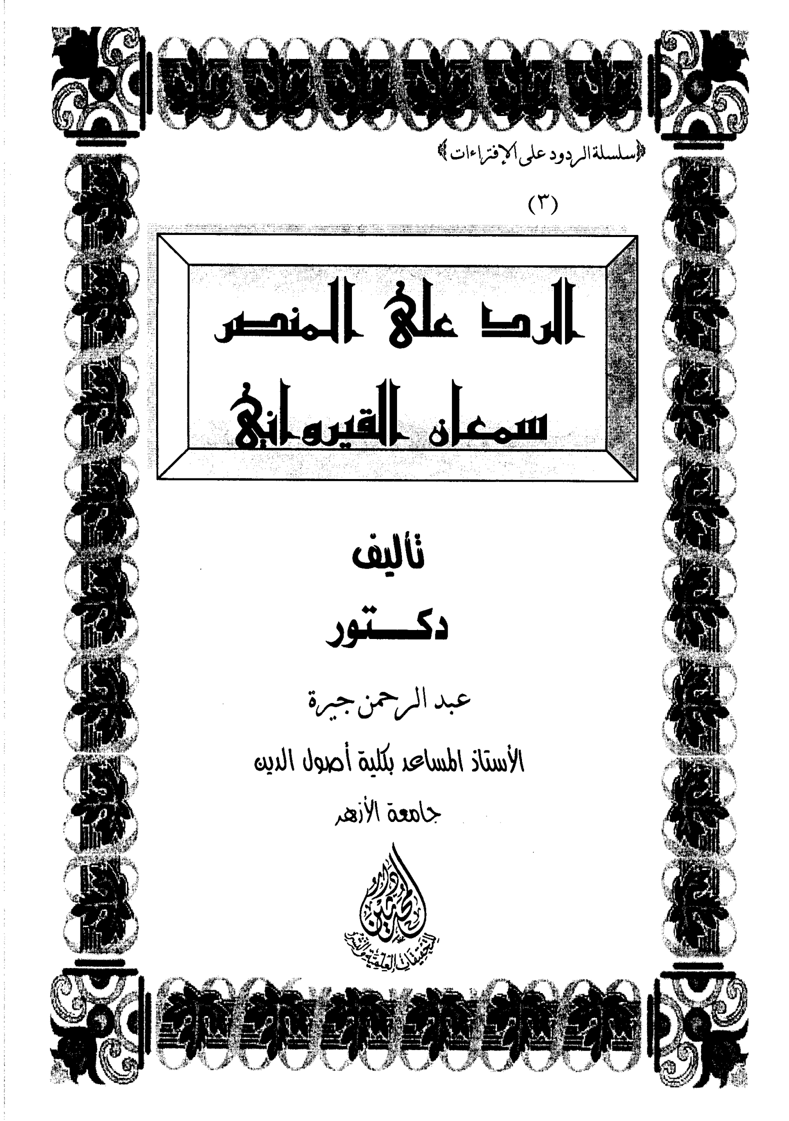
تأليف

بدران العياري ، محمد حسن عبد الغفار

أستاذ الحديث وعلومه المساعد بجامعة الأزهر

ماجستير في الشريعة الإسلامية


المأمول
من معارج القبول
تهذيب وتعليق
الدكتور بدران العياري
أستاذ الحديث وعلومه المساعد بجامعة الأزهر



«سلسلة الردود على الافتراءات»

(٣)

الرد على المنصر سمعان القيرواني

تأليف

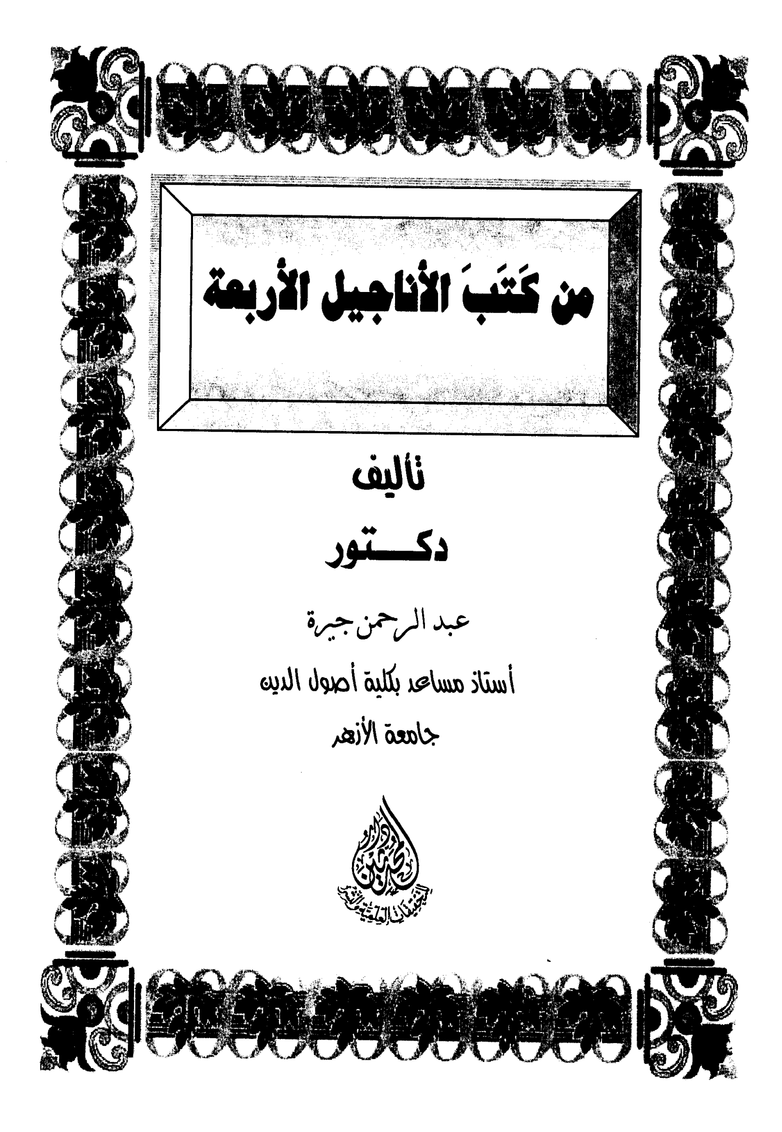
دكـــتور

عبد الرحمن جيرة

الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين

جامعة الأزهر


لباب إحياء
علوم الدين
لأبي حامد لغزالي
تحقيق فريق العمل بدار المحدثين
بإشراف وتقديم ومراجعة
أ . د / بدران العياري
أستاذ الحديث وعلومه المساعد بجامعة الأزهر



من كَتَبَ الأناجيل الأربعة

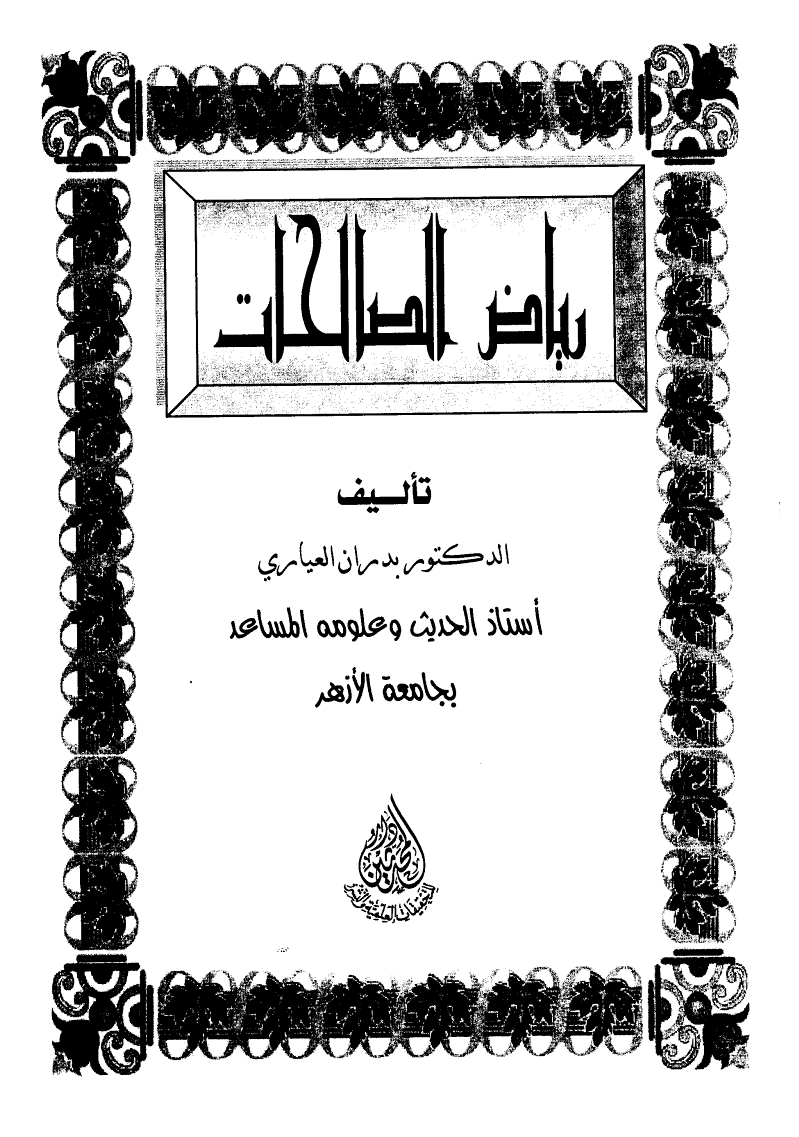
تأليف

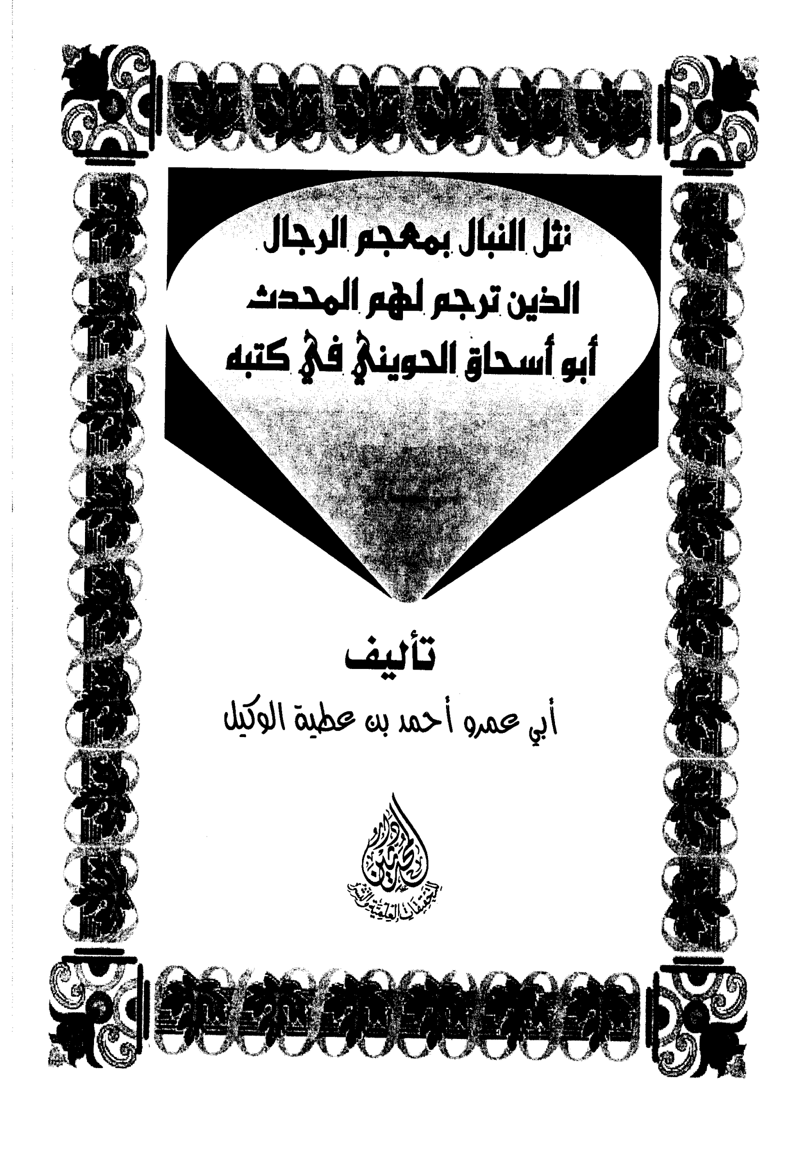
دكـــــتور

عبد الرحمن جيرة

أستاذ مساعد بكلية أصول الدين

جامعة الأزهر


رياض الصالحات
تأليف
الدكتور بدران العياري
أستاذ الحديث وعلومه المساعد
بجامعة الأزهر


نثل النبال بمعجم الرجال
الذين ترجم لهم المحدث
أبو أسحاق الحويني في كتبه
تأليف
أبي عمرو أحمد بن عطية الوكيل